

كتاب الموسم
يسقط الطاغية
تَنظِيرُ التغيير
النظرية التكاملية للتغيير السياسي الاسلامي
الشعب يريد الحرية
محمد أحمد الراشد
نَنصحك بشراء ثلاث نُسخ من هذا الكتاب
وسيكشف لك المستقبل سبب ذلك

إحياء فقه الدعوة

تَنظِيرُ التَغيير

النظرية التكاملية للتغيير السياسي الاسلامي





الغلاف من فن الراشد . . على خلفية تجريدية
والإيماء يكمن في أنّ:

" شمس الحرية ترتفع . .
بعد أن أدّت الثمن الأحمر . .
فَبَــدَت بهجة الغد الأخضر . .
تنسينا أيام القاع الداكن . .
وحشود الشباب الحُر تدفع قدر السوء بقدر الخير . .
ومفردات كثيرة أظهرهَا الزمان أو المكان تشابكت . .
فكانت العاصفة . . وما تزال مستمرة
والحاكم الفاشل يجلس على كرسي انكسرت قوائمه غير واحدة . .
فهو يتشبث ، وكان قد عتّم نوافذه لا يريد أن يرى الواقع . .
ففجأه ارتفاع البدر والفراشات السلمية . .
وسطع النجم . .
ففغر الخاسرُ فاه . . ولات ساعة مندم "

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

مقدمة

❑❑ المعاني والرؤى والتحليلات التي في هذا الكتاب: كانت موضوع محاضرة طويلة استغرقت ساعات عديدة ألقيتها على عشرات من القيادات الدعوية بعد تنازل طاغية مصر عن عرشه بقليل ، وأردت لها أن أن تشيع بين العرب والعجم ، لأهميتها، وأن تكون هي الدليل الحادي لشباب التغيير في كل مكان ، وان تهبهم فوق الفقه والفكر عاطفة تدعهم يواصلون الاقتحام وتحقيق المكتسبات ، اقتباساً من حماسة اعترتني عند الإلقاء ، فهدرتُ هدراً ، وارتفع صوتي ، وأرعدتُ ، وسيطر عليّ حزم وعزم وإصرار وتوكيد ، فكنت أضرب المنضدة بكفي عندما أصل الى الاستنتاجات الجازمة ، ويتسارع قولي ، فتستجيب قلوب السامعين ، وتتصاعد الهمم، وكل ذلك مصور بالصورة والصوت من قبل مصور فني استأجرناه من شركة متخصصة ويستعمل أرقى كامرا ، ثم انتظرت نشرها طويلاً ، فكان الجواب أنها ضاعت ، وكانت الصدمة ، فأصابني الذهول شهوراً ، وليس من السهل إعادة تسجيل المحاضرة بنفس العواطف والحماسة ، لإنها نتاج ذاك الظرف حيث سالت قريحتي بقيادة الفطرة والتأثر الصادق ومواكبة المسيرة قلبياً ، وافتعال الحماسة ثانية في استئناف للتسجيل امر غير حميد وفيه تزوير ، وتأباه نفسي ، فاسترسلت مع الغضب ومع الشعور الآسِف ، مُضرباً عن الكلام ، حتى شفع شافعون ، فصارت هذه المدونة في (تنظير التغيير) ، رجاءَ أن يكون فيها بعض التعويض عن تلك النبرات العالية الضائعة ، وهيهات ان تهب السطور مثل تلك الروح في تلك اللحظة ، وانما الأمل في تسديد ومقاربة ، لعلّ وعسى.

❑ والمعنى الذي استولى عليّ: ان نجاح المرحلة الاولى من يقظة العرب سنة ٢٠١١، وسقوط الطاغيتين في تونس ومصر ، ثم لجوء طاغية ليبيا الى نفق المجاري واظهاره الجبن قبل مقتله: كل ذلك يوجب صياغة " نظرية التغيير " لتكون هادية لثورات اخرى هبّت في اليمن وسوريا ، ولثورات

يجب ان تقوم في كل بلاد العرب ، وفي إيران والكثير من بلاد المسلمين، وذلك أن الشروط والظروف الموضوعية التمهيدية قد انضجت الامور ، وحصلت تطورات تراكمت ولا يمكن الانتظار ، فبدلاً من أن تستثمر هذا النضوج مجموعات ساذجة ليس لها فقه ثوري ، أو تنحرف الى ان تقع في الأيادي الإنتهازية: يليق أن تسارع المجموعات الدعوية والعناصر النظيفة الى قيادة الظاهرة التغييرية وفق خطط ونظرية مؤصلة شرعاً ومنطقاً ، وعلى خلفية تجريبية وافرة ، وتعليلات فلسفية ، واستمداد من علم " حركة الحياة ".

❑ وأنا مؤمن والى درجة اليقين: ان الجيل الاسلامي الحاضر ، العرب والأعاجم منه: سيرى النصر والتمكين على الرغم من نواقص كثيرة تعتريه ، في وصف درجة تمسكه بالدين والأخلاق ، أو مستواه العلمي والمدني والحضاري ، وعقيدتي في ذلك تخالف أقوال الوعاظ الذين يمارسون التبكيت له ، واللوم والتقريع العنيف إزاء ما يرونه من نواقص ودنيويات هابطة في النوايا والممارسة العملية ، والسبب أني أفصل ما بين القول التربوي والوعظ والنصيحة ، وبين فهم فقه التغيير والحياة في حركتها الدائبة، الخافضة ، الرافعة ، وكُلنا في قبضة القدر الرباني ، ونحن جميعاً تحت رقابة الله في كل أمر جليل أو دقيق، والموعظة الاسلامية الايمانية الاخلاقية حق وواجب تشترطه الشريعة علينا ، وأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، وأنا أُشارك في ذلك ما استطعت ، قولاً وكتابة ، ولكني أيضاً وفي نفس الوقت اعتقد ان الله أرحم بعباده، وأن الله تعالى إذا وجد في كل أمة رهطاً من الدعاة ينصرون دينه ، ويقيمون الصلاة ، ويحرصون على الالتزام الاخلاقي الصارم ، وتمثيل العفاف ، ويكون لهم نجاح في اجتياز المغريات والفتن والمحن والسجون والقتل ، والتعالي على المصاعب والمصائب: فانه يكون مُنزلا لانواع النِعَم عليهم ، من حُسن السمعة ونقاوة الفكر وصواب الاجتهاد وسواء النفس ، مع هيبة واحترام وتأييد وسعة في دائرة الولاء ، ويهب اسواء بقية الجيل ونقصهم وكسلهم في العبادة ورخاوتهم في الالتزام للإحسان الذي يتحلى به الدعاة ، فيعفو عن كثير ، ويذيقهم حلاوة الحرية والعدل. وهذا الفهم لهذه الانواع من الرحمة الربانية: ليست من نسج خيالي ، بل عندي الدليل الذي هداني

ربي سبحانه إليه واعتبره اعظم وأثمن اجتهاد في الفكر التغييري الاسلامي توصلت اليه وانفردت به وأراه سيكون بالتدرج المفهوم الفاصل وزاوية التحول الى الايجابية في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر ، ويكمن هذا الدليل في قصة موسى، وخلاصته: أنه عليه السلام بقي ولبث يشتغل لقضية بني اسرائيل ويقاتل ويريد أن يفتح الفتوح ويقيم لهم دولة على الرغم من انحراف اكثرهم وعبادتهم العِجل وجبنهم وقولهم له: اذهب انت وربك فقاتلا ، فقعدوا ، وقاتل خلفاؤه بالشباب التغييري الذين همّ ذرية بني اسرائيل العصاة ، الذين خلدتهم آية القرآن (فما آمن لموسى إلّا ذرية من قومه) ، فقادة الدعوة يكفيهم أنهم أعانهم الله فأتقنوا تربية جيل عريض من الشباب الاسلامي الذين هم مادة هذا الإعصار الثوري ، وقولهم الوعظي ماضٍ ومتصل مستمر ، ولكنهم اليوم لا يمارسون تبكيت الناس ، بل يدعونهم للرفل بعطايا حرية أنشأوها لهم بتوجيه حركة الشباب ، المنتمي صراحة لهم ، أو المتباعد الذي يبرأ منهم ولا يلحظ أن فكره وسلوكه هو نتاج إيحاء خفي تراكمي للفقه الدعوي والمواقف الدعوية الكبرى وكلمات سيد قطب وأمثاله من مفكري الدعوة ، أو أشعار الشعراء الذين حركوا القلوب: وليد والاميري وأضرابهما ، أو الحان المنشدين لها: كأبي الراغب وحوّى ، أو تقارير الاعلاميين ورنين حروف الخطباء ، أو مناظر دماء الشهداء في سوح فلسطين والعراق والافغان وجنوب السودان ، وصعود كل هذه الانواع الخيرية من التأثير بنسبها الشريف الى القدحة المباركة التي قدحها الامام الشهيد حسن البنا ، وكل ذلك قد نضج على طريقة الصبر الواعي الدعوي على ظلم الظالمين الذين غشتهم وصايا رجال مخابراتهم فأغرتهم بأن يزيدوا من الظلم من غير أن يفطنوا أن الله يمهل ولا يهمل ، وان تراكمات الاستبداد والجور تظل دائبة في التأثير التصاعدي حتى تبلغ مستوى الانفجار المعاكس واستطابة بذل الدم ثمناً للحرية.

- ان الله تعالى لا يشترط أن يكون كل المجتمع نماذج عالية في الايمان والعبادة والخضوع للاحكام الشرعية حتى يأذن بنزول رحمته التي تكون الحرية السياسية شكلاً من أشكالها ، بل هو أوفر رحمة ، وأحنى ، واعظم شفقة ، وتكفيه وترضيه سيرة إيمانية مزدانة بفقه العمل تظهرها أرهاط من الناس ، فيهب المسيء للمحسن ، فتشرق انوار الحرية في الآفاق ، والذي

يشترط إيمان الجميع متنطع ، بل لا يفهم الحياة ، لان الله خلق الهمم والعقول والقلوب درجات ، وحسب الدعاة أنهم يقودون الطاقات ، والصور النموذجية التي يحشدها الواعظ في وعظه كانت على مدى أجيال كثيرة ، واجتمعت من كل جيل صورة أو صور قليلة فتكونت الصورة الكبيرة ، ونحن نرى فيها حزمة أبطال، لكنهم لم يجتمعوا في جيل واحد، وجيلنا قامت فيه معاني البطولة والفقه والمنهجية والتخطيطية والعقلانية والعاطفية بشكل لو أنك جمعتها في نسق تكاملي لكانت كافية مهما بقيت في الحواشي عناصر معيبة ، والتجربة والتحليلات المنطقية تفيد بأن ارهاط الدعاة لو حرصوا على التكامل فقبلوا التعاون مع أنصاف وأثلاث وارباع حَمَلة هذه المعاني الايجابية لتضاعفت قوة التأثير أضعافاً ، وبذلك يصح أن لا يلجأوا الى التغيير الذي يوصل الى الحكم الاسلامي فوراً، بل بتدرج تكون درجته الاولى ومرحلته التأسيسية: توفير الحرية والحقوق السياسية وتكريم الانسان وتشجيع المواهب الابداعية ، ثم تكون مراحل من الاستدراكات العلمية والمدنية والحضارية ، ومراحل من النهوض الاقتصادي الاستثماري والتعدين والصناعة ، ومراحل من اكتساب العلوم الفيزياوية والهندسية ، ثم من بعد ذلك يكون إعلان تطبيق الشريعة والاحكام ، وليس للاستعجال مبرر قوي، إذ التنمية ضرورة ، والقضاء على البطالة فرض ، وتمكين المنهجية العلمية في كل نواحي الحياة هي الخطة الناجحة قبل التمكين الجهادي ، والمهم أن يكون المسلم الواعي أو الحر المخلص الوفي للأمة هم مادة القيادة ، واثناء السير من خلال مراقبة الداعية المسلم للمسيرة وعبر نصائحه وملاحظاته ونقده البناء: تتعدل تصرفات الشركاء وتقترب بالتدريج من الصواب والصفة الحضارية والشروط الشرعية ، فاذا انحرف شريك: كان استئناف ثورة التصحيح أسهل من تأسيس ثورة التغيير ، وبمثل هذا الفقه التدرجي نطق الاستاذ راشد الغنوشي في اول شهر نوفمبر ٢٠١١ ، بعد اعلان فوز حزب النهضة في تونس باكثر من ٤٠% من مقاعد البرلمان في الانتخابات الحرة ، وانا له مؤيد ، وبمثل قوله أقول ، وانتهت قناعتي التجريبية الى تصويب هذا الفكر السياسي الاسلامي الجديد المنكِر للفورية في تطبيق احكام الشرع ، والمخالف لاجتهاد جبهة الانقاذ الجزائرية حين فازت ، وقد كتب المخابراتيون من

رجال الفكر والقلم في الخليج مقالات إرجافية تنذر بأن الاسلاميين سيتهورون ، وليس لهؤلاء حجة ، وأفصح د. الرميحي عن تخوفه من فوز حزب النهضة وأنه متشائم ، مع اننا نملك المنطقية التي يحويها الاسترسال الثوري الفطري الذي حركته مظالم الطغاة ، وإنما هو يعبر عن وجهة نظر الحكومة الكويتية تجاه الاحداث ، وتمكينها له معروف مشتهر ، وعلمانيته غير نقية، وإنما هي مشوبة بولاء لحكومة تتخوف أن يصلها المد الثوري.

❑ إن من المهم ان تدرك مجاميع الشباب التغييري أن الثورات ما كانت لتحصل لولا التراكمات الكثيرة المتلاحقة الكثيفة للمعاني التي اوردها الاسلاميون في كتاباتهم، ثم لجمهرة عظيمة واسعة من البحوث والتقارير والقصص والاشعار التي قدمها (مسلمون غير منتظمين) إن صح التعبير ، وهم مسلمون غير دعاة ، من ابناء جلدتنا وأمتنا ، فيهم المصلي ، والمذعن لاحكام الاسلام بصورة عامة ، والذي يدعي العلمانية ، والذي لا ينتسب لفكر ولكنه متخصص بعلم أو نهج جادٍّ أو ملمح حضاري ، وهم الذين نقول عنهم أنهم أرباع وأنصاف ، فكل أحد من الاسلاميين أو من هؤلاء أضاف معنىً نافعاً صواباً حتى تراكمت المعاني فعصفت ، فكل الاحرار شركاء في التأجيج ، والمعنى الصغير الى مثله ثم الى أُلوف مثله يكون معنى كبيراً وخطة ثورية ، وكنتُ قد اشرت في كتاباتي[1] أن تكوين داعية واحد وتربيته تترجمه عملية واسعة من التأثيرات الصغيرة من المربين والوعاظ والمفكرين الكاتبين تبقى تتجمع وتتراكم حتى يحصل نضوج الداعية ، وقد تصل إلى الف تأثير حين نحصيها، فكذلك النضوج الثوري واندلاع الشرارة الأولى وقابلية الاستمرار الثوري: تصنعها الوف التأثيرات الصغيرة من أحرار كثير عددهم، فيهم الاسلامي والعلماني ، وبينهما أصناف، هم الأثلاث والأنصاف ، ووسائلهم شتى ، منها: الأدب والقصة ورسوم الكاريكتير والافلام وبرامج واخبار المحطات الفضائية ولقطات الكامرا وعمليات الإحصاء ، وأهم من كل ذلك: السجناء السياسيون الذين هم قُدوات حية ، والمنفيون والقادة الذين اختاروا الهجرة ، ومناظر الفقراء والعاطلين عن العمل ، وتماثيل الطغاة التي تستفز نفوس الناظرين إليها

(١) منهجية التربية الدعوية / ٤٥٢ مثلا.

فتهمس شفاه الاحرار بشيء حين المرور تحتها ، وتداول أخبار الفساد الاداري وفقدان التخطيط التنموي ، فكل ذلك مقدمات ثورية دائبة الترسّب في قلوب الاحرار حتى يصل الحال الى مستوى التذمر والرفض ، فيلحظ قيادي نضوج القضية ، فيطلب النزول الى الشارع ، فتكون الاستجابة ، فيلعلع رصاص الجلاوزة ، فيسقط شهداء ، فيكون الدم سبب الاستمرار والإصرار.

• انظر مثلاً: قصة الطيب صالح: (الهجرة الى الشمال) ، والتي تحكي حال سوداني يهاجر الى اوربا طلباً للرزق ، فيتطبع هناك بشيء من طابع الغرب ، وما هو بمستعد ليحمل كل ثقافة الغرب ، فيأبى فيعود الى السودان ، فيتضايق ولا ينسجم ويجد نفسه أنه أوعى من أصحابه ، ويصير اسير حالة فقدان الهوية ، فلا هو بالذي ذاب في الغرب ، ولا هو القابل بأعراف وثقافة قومه ، في قصة تلخص جناية ضياع المنهجية التربوية والفكرية ، والمتاهة التي تنتجها الازدواجية النفسية، والمسؤولية في ذلك تقع على الحاكم البليد غير المثقف.

• وشاهد فلم (حد السيف) حين يضطر وكيل وزارة يهوى العزف على آلة القانون الى أن يعزف في حفلات الاعراس لراقصة من أجل توفير نفقة دراسة الطب لابنته ، فيتنكر ، حتى عرفته بنته حين حضرت حفل زفاف صديقتها ، وكانت الراقصة الخليعة في كل مرة تقف وتضحك وتقول: (رئصني عَ الآنون) فيعزف لها ، اي: اجعلني ارقص على انغام القانون ، وذلك شكل من محنة العصاميين الذين لا يمارسون الفساد الاداري.

• وهل رأيتَ عميداً في الجيش ، بل اللواء الركن: يقف في بعض بلاد الطغاة في الطابور من أجل شراء طبقة بيض أو كيلو عدس ! ! ! ولو فحصتَ لاقتنعت بانتفاء أي أزمة ، ولكن رغبة الطغاة هي إذلال الناس ، ويتبجحون في مجالسهم ويقولون: أجع كلبك يتبعك.

❑ ولو استطردنا لأتينا بألوف من القصص والمناظر المؤلمة ، ولكننا نكلك الى رصيدك من العلم بالواقع ومعرفة خبر الشعوب ، والطاغية يذهل عن أن انعكاسات احوال السوء تبقى تترسب في ذاكرة الشعب حتى تكون الثورة،

وقد يكون الطاغية ضحية تقارير رؤساء مخابراته التي تكرر (كل شيء تمام) ! ! وغنّى نوري السعيد قُبيل الثورة (دار السيّد مامونة).

الحياة جميلة ورائعة ، كما قال الفلاسفة والشعراء.

لكنها قبيحة أيضاً وظالمة . . .

وهناك إرهاق للفقراء ومصّ دمائهم ، ورصيد بعض الطغاة ١٧٠ مليار دولار.

وهناك أمراض نفسية وإحباط . . .

وبنتُ صديقي كانت الاولى على الجامعة ، فأخّروها وقدموا غيرها من أعضاء الحزب الحاكم ، فأصابتها صدمة أنتجت فشلاً كلوياً ، فماتت.

وفي كل صدر: الف قصة ظلم شهدها وعاينها ، وفي ضمير كل شعب ملايين القصص .. وذكريات المناظر البشعة .. والحرمان والعدوان.

❑ ولذلك: فان من حقائق وموازين التنظير: انه يصعب التمييز والتفريق بين حدود العملين الاجتماعي والسياسي ، فالاول خادم للثاني وجزء منه ، كما أن الثاني يؤثر في تشكيل الاول ، والتداخل بينهما واضح عند من ينظر النظر المنهجي ويحلل المقدمات والنتائج ، ولكن البعض يحرص على أن يبرأ من السياسة ، ويصف عمله بانه اجتماعي أو علمي ، أو أدبي ، وفيما يزعمه خطأ، فإن الحياة واحدة ، وكل المواقف الاجتماعية والأدبية تصب في الوادي السياسي ، شاء أم أبى ، ولذلك خير لكل صاحب نشاط مهما كان نوعه أن يتقنه ويبالغ في إخراجه بأحسن شكل ، لأنه سيؤثر في المسيرة السياسية ، والدعاة في هذا الإخراج أمهر من السائبين الفرديين ، لوجود خطة تنسق أعمالهم وتستثمر صغيرها وتضيفه الى أمثاله ليكون كبيراً.

❑ عواملُ تكاملت كان منها التصعيد .. فالثورات

ويمكن رصد تسعة عوامل على الأقل تولّت إنضاج الظرف للتحرك ، ومَهّدت ، وتدخّلت في تكوين عقول الثائرين وطالبي الحرية ، في تأجيج

مشاعرهم وتشكيل الموقف النفسي المعنوي وقذف الشجاعة في قلوبهم الى الحدّ الذي يسوقهم نحو البذل السخي للأرواح والدماء ، ثم الاصرار على المواصلة على الرغم من فداحة الثمن ، وكان البعض يتوهم أن عشق الحرية قد ماتت عروقه في العرب والعجم من أُمة الاسلام ، فإذا بتصاعد الاحداث يبرهن على كذب هذا الظن ويقيم الدليل على ان الشعوب بخير وأنّ طبيعتها الانسانية قائمة ، وانّ انتسابها الشريف الى الاسلام أقوم وابقى، وعاد الشعار العتيد " الله أكبر " هو الذي يقود.

❑ وأول هذه العوامل وأقواها: ان الدعوة الاسلامية من خلال مفكريها وقادتها وخطبائها: نجحت في طرح نظرية تامة كاملة للتغيير الآمن المنضبط بقواعد التخطيط والحكمة والعقلانية ، بحيث اضمحل مجال التهور والارتجال والعفوية، واتضحت بدل ذلك معادلات سياسية تستند الى الخلفية التنظيمية وصارت هي اساس الاصلاح.

هذا الوعي الذي صاغ النظرية لا يمكن نسبته الى داعية واحد ، بل هو حشد واسع من الكاتبين والخطباء والشعراء والمنشدين وقام بالمهمة على مدى جيلين، أو ثلاثة، وكان منهم إبداع وتفنّن في الكشف عن اجزاء النظرية وأدلتها وحيثيات التغيير ، وازداد الأمر وضوحاً في السنوات الاخيرة من خلال تقارير الباحثين في مراكز الدراسات التخصصية ، وتصريحات الساسة الاسلاميين ، والبرلمانيين ، والمحاضرات في المؤتمرات والندوات العلمية ، بحيث نتجت كمية هائلة من التحليلات والملاحظات النقدية الهادفة صارت جذوراً للوعي السياسي ، فهي صياغة جماعية مشتركة ، وانتظم الف من الدعاة ربما في دائرة لا تعرف لها طرفاً، وكلهم نطق وكان له دور وبيان وإيضاح واستدراك ، والقارئ او السامع تترسب عنده فحوى اقوالهم ، حتى كملت النظرية السياسية الاسلامية في التغيير ، ولكن كما أن محيط الدائرة يمكن تمييز نقاط الأرباع فيه: فإن دائرة أهل الفضل الألفية برزت في نقاط تمثل المهمات التأصيلية لبعض المفكرين الفقهاء ، والكتب الأخيرة بخاصة لعميد الوسطية فضيلة الشيخ القرضاوي تحتل الشطر الاوفر من العمل التأصيلي ، وكتابه عن " الاسلام والدولة " فصيح جداً في تقرير التغيير ، وفيه يذهب الى ابعد من المعارضة السلمية فيجيز

استعمال القوة ويقول: (وهذه التعبئة المستمرة للانفس والمشاعر والضمائر: لابد لها ان تتنفس يوماً ما ، في عمل إيجابي ، قد يكون ثورة عامة، او انفجاراً لا يبقي ولا يذر ، فإنّ توالي الضغط لابد أن يولد الانفجار: سنة الله في خلقه.)[1].

وبمثل هذا نستطيع أن نقول: ان الدعوة الاسلامية ، بكل جماعاتها واحزابها ، وبجمهرة الدعاة المستقلين: قدمت تصوراً جاهزاً هو الذي تولى تحريك القوى المشاركة في الثورات ، وكان محور خططهم ومواقفهم ، فكل من قال شعراً في الحرية ، أو بَحَثَ في الحقوق الدستورية من اساتذة الجامعات والمحامين ، وكل من أشار الى علم نفس ثوري ، أو بيّن خلل الاقتصاد والفساد الاداري والممارسات الطغيانية للاحزاب الحاكمة: هو مشارك في التنظير للثورة ، حتى اليساري منهم ، وننظر الى انه حليف لنا في النقطة التي أجاد بحثها ، مع أن صغار اليساريين وقعوا فيما وقع فيه الطغاة من تلفيق أخبار عن الدعاة وتشويه سمعتهم، حتى طبعوا دولاراً عليه صورة قادة الدعوة بدل فرانكلين ، وأكاذيب كثيرة في مواقعهم الانترنيتية ، ولم يفطنوا الى ان الطغاة إنما نزلوا عن عروشهم لما خالفوا شرع الله وكذبوا على الدعاة وزوّروا ، وأن كل كاذب سينزله الله ايضاً عن عرشه ولو كان ثورياً ، وان الاخلاق الايمانية الموافقة للفطرة ولإجماع الأُمم حتى البوذي منها هي الميزان والملجأ ، وعليها الاعتماد، ويجب أن يتحلى بها كل ثوري ، وأما الاسلوب الشيوعي في الكذب واختلاق الاخبار فهو سبب لغضب الله تعالى ، وسيمحق ذلك ويبطله.

فجزء من نظرية التغيير: تربية الثوار على " ادب الخلاف " ، لان الثورة جامعة، فيها عدة جماعات اسلامية ، واحزاب علمانية ، وشلل شبابية ، وافراد لهم مبادرة ذاتية ، فمن المنتظر ان تتعدد الاجتهادات ووجهات النظر، ويكون من اللائق ضبط ذلك بأخلاقيات عالية تبرأ من الاتهامات والتخوين والالفاظ النابية ، وتميل الى العفاف وحُسن التأويل والتماس العذر ، والصبر على الانصات لمن يشرح مسوغا موقفه ، واحترام الكبير والفقيه والمفكر ، وتوقير اهل السابقة من المخضرمين والقدماء والرعيل

(١) من فقه الدولة / ٩ / ٩٤

الأول ، ومَن كان مسجوناً بخاصة وناله ظلم الطغاة.

كان إعلام الطغاة يقوم على توزيع الاتهامات وبذر الشكوك والتنابز في الألقاب والسخرية من كل ناصح وواعظ ، فانتقلت هذه الطباع الى الجيل الذي صنع الثورات من حيث لا يشعر ، ثم اخذت وسلبت مواقع الانترنت والفيس بوك كل وقت هذا الجيل فهبط حجم وقت لبثه في المساجد وتلاوته للقرآن ، فدبّت لغة الاتهام دبيباً ، وحصلت قسوة في القلوب ، وزين الشيطان الغيبة ، وصار تحدي الاساتذة وكبار السن مستساغاً ، وكل ذلك خطأ ، وعلى جيل شباب الثورات أن يرجع الى الاستغفار ، ويسوم ثمنه بإنصاف ، ويعترف بالرواد الذين ايقظوه ، ويوسع صدره عند الاختلاف ، فان التجربة عند الاساتذة والشيوخ أوفر ، ومن الغرور القبيح ان يتعالى شاب على مخضرم لمجرد انه نجح في النزول الى الساحة قبله بيومين ، من دون ان يجد في وعثاء سفر طويل قطعه المخضرم عذراً له ، واخلاق التواضع يجب أن تسود ولم تلغها الانتصارات ، والكِبْر: غمط الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاحتكار من جيل الشباب لتقدير الموقف هو من فروع غمط الحق ، أي حق القادة والرعيل القديم في نقد الأداء ووعظ الثوار بالتأني والعدل في الحكم والحذر من الوقوع في مثل أخطاء الطغاة ، والظلم يذهب بالبركة الربانية التي تتولى التيسير ، وحظوظ النفس وترداد: أنا ، أنا: توشك أن تنقض ما أبرمته الهمم الثورية ، وأشنع الظلم: الكذب في الرواية عن عمد ، وتزوير الحقائق، ولم يدمر الطغاة غير افترائهم على الدعاة الى الله ، فان الله يغضب إذا لحق بأوليائه الأذى ، والمؤمن له في التاريخ موعظة ، وأما العلماني فيشهد الزور أحياناً إذا نسي ان الله تعالى يراقب الخلائق ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وبقيت من التربية الشيوعية بقايا بعد زوالها: أهمها هذا النمط الذي يضيق ذرعا بوجود الاسلاميين ، فيكون الكذب عليهم والاستهزاء والغمز واللمز ، وتلك اخلاقيات هابطة لم تتعودها أمة الاسلام ، وتؤدي الى انحراف الثوار المتعاطين لها ، وكل الفلاسفة والحضاريين يزدرون هذه الاساليب وليس رجال الاسلام فقط ، وخير للملحد العربي من ذلك ان يكون شجاعا ورجلاً وصادقاً ويترك الالتفاف والكذب والكيد ويواجه المنافسين بصراحة واستقامة ، ومن

العسير أن نقنعه بان الله جبار منتقم لا يحب الجهر بالسوء ، لانه لا يؤمن بالله أصلاً أو يؤمن ولا يفقه من إيمانه شيئاً كثيرا ، ولكن عليه أن يعلم ان الصدق فضيلة عند كل الامم وما حاد أحد عنه فنجح في مسعاه ، بل أخبار التاريخ كلها تؤكد فشل الكاذب في النهاية والمزور والغشاش ، وربما كان هناك الف فلم سينمائي يصور هذا النمط المتكرر ، والف قصة مطبوعة ، ومائة الف بيت شعر ، فوا أسفاه ان تبقى بقية عربية تدين حتى الأن بدين الكذب والتدليس وتخالف السلوك المدني الحضاري وتنكر دَور الاسلاميين في الثورات والتمهيد لها والصبر على أذى السجون والحرمان والإقصاء.

• أعود فأقول: نحن دعاة الاسلام لم نكن في غفلة ، بل انتجنا نظرية كاملة للتغيير السياسي ترسبت مفرداتها في قلوب الشباب فكان التغيير في فلسطين وتونس ومصر وليبيا ، والأمر مستمر ، وكل زخم النشريات والكتب والمواقع والاشرطة البصرية والسمعية كان حاضراً يوم الفصل ، وانظر كلمات الاستاذ الغنوشي وبقية قادة حزب النهضة على مدى ربع قرن: كم كان لها من اثر في تشكيل النفوس الثورية التونسية ، وكم كان لها من أثر في توجيه الناخبين في الانتخابات الحرة بعد زوال الطاغية، واجعل ذلك مثالاً لفهم مجرى الاحداث في الاقطار الاخرى.

• وفي هذا الكتاب: اقدم نفسي كمثال آخر للنجاح في تدوين نظرية كاملة في التغيير خلال كتاباتي كلها على مدى أكثر من ثلاثين سنة ، وهو ما سأسرده بالتفصيل في جميع الفصول القادمة ، ولستُ بالمحتكر ، ولكني أنا الأعرف بنفسي وبكتاباتي وبمواطن التنظير الثوري فيها ، وأهيب بالأذكياء من الدعاة أن يشاركوا في البحث ، ويكتبوا كتباً عن مشاركات المفكرين الآخرين في صياغة النظرية وتكاملها ، والأمر واسع ، وليس فيه سِرّ ، ولولا أن المصلحة تقضي بوجوب الاسراع في طبع كتابي ليواكب مسيرة الثورات المستمرة ويشارك في توجيهها: لقمتُ أنا بواجب التعريف بأدوار الجميع في إنضاج النظرية ، ولكني فضلتُ الاسراع ترجيحاً للمنفعة، آملاً أن يكون كتابي " الزناد " القادح لهذا النوع من البحث في نظرية التغيير ، فتتوالى الشهادات والتحليلات ، فيزداد الوعي التجريبي في

المحيط الدعوي ثم عند عامة الناس.

• وفي كتابي " منهجية التربية الدعوية "[1] قلتُ أن تكوينَ داعية واحد وصياغته وتربيته هي عملية معقدة ويمكن أن نحصي ألف سبب تأثيري فيها ، منها أقوال المفكرين ، ونبرات الخطباء ، وتصريحات القادة ، وهمس المبلّغين المتعرفين الذين يتولون الاتصال الفردي ، ثم منطق المربين ، وألحان الاناشيد ، وفن الرسّامين ، والمعماريين ، والجماليين عموماً ، ثم كلمات الاعلاميين الاسلاميين في الصحف والمجلات والمواقف والقنوات التلفزيونية ، وعذوبة تلاوة الامام للقرآن في الصلاة أو الحياة المسجدية كلها ، والمواقف الاخلاقية والإغاثية للدعاة ، في سلسلة عريضة من أنواع التأثير وتعدّد الاشخاص الممارسين لكل نوع ، ثم يسندها بالمقابل رد الفعل إزاء ظلم سائد وواقف متخلف وفوضوية فكرية وتنمية تائهة ، فوق ضغوط البطالة ، وقصص الفساد الإداري ، والتلوث البيئي ، وطاعة الحاكم لرغبات الدول الاستعمارية ، أو سياسات التطبيع مع اسرائيل ، فكل ذلك يعمل عمله بتدرج ويقوم بتكميل شخصية الداعية ذات الألف جزء.

فكذلك أمر نضوج النفس الثورية وقيام الشباب بخاصة وعامة الشعب بالنزول الى الشارع والتظاهر والجهر بضرورة التغيير وتبديل الحاكم الذي انكسرت ثلاث من قوائم كرسيه وأصبح يتشبث يظن إمكان الاستمرار إذ بدر الحرية بازغ مرتفع ، فهذا النضوج الثوري تصنعه مئات أو الوف من عوامل التأثير الصغيرة والكبيرة ، ففكر المفكرين ، وفقه المجتهدين ، وبرامج الاعلاميين في القنوات الفضائية ، والتغطية الدقيقة للأخبار وتصوير الاحداث ، وأبيات الشعراء ، وجماليات الفنون التشكيلية ، والمؤتمرات الجامعة ، والندوات ، والبيئة الجامعية البحثية ، والسياحة ، وضغوط الواقع المتردي ، والهزائم العسكرية ، وما يقابلها من روح جهادية شعبية ، والنظر النقدي الذي يقارن أوضاع التخلف عندنا بنجاح الخطط التنموية في آسيا وبعض العالم الثالث فضلاً عن الغرب: كل ذلك أنضج النفوس الثورية وشاع الوعي وعادت الى الاسلاميين وغيرهم روح التحدي والنهي عن

---

(١) منهجية التربية الدعوية / ٤٢٥

المنكر والنزعة الجهادية ، ولما بلغ السيل الزُّبى ومقداره الاعظم: تفجّرت الطاقة المخزونة ، وانطلق البركان وعصفت الزلزلة ، وساعدت التكنولوجيا الحديثة على ذلك ، وقام الكمبيوتر بدوره ، ونبضت مواقع الانترنيت ومحتوياتها من البريد الالكتروني والفيس بوك واليوتيوب ، وصار حتى البدوي والجبلي يرسل الرسائل عبر الموبايل ويطيل التشاور مع أصحابه ويشاهد القنوات الفضائية ويعلم بالوقائع لحظة وقوعها في أنحاء الأرض جميعاً، ثم عَمّت التربية الإبداعية والتدريبات الادارية ، ولذلك نضج الظرف للتحرك الشعبي العارم ، والظالم لا يدرك الاسباب ومثل هذا التحليل ، وإنما هو أسير وصايا رجال مخابراته الذين ما زالوا على الوعي القديم ويزينون له استعمال السلاح والقتل بلا رحمة ، فازداد التحدي بالمقابل ، وتضاعف المدّ الثوري واكتسح ما هنالك وزَفَرَ وهَدَر.

● وكنتُ – والفضل لله تعالى – حاضراً ولست بغائب طيلة هذه العملية الطويلة البطيئة التي حدثت فيها ترسّبات المعاني في النفوس والعقول ، وتوسعت صراحتي من بعد إيماني ، وجهري من بعد همسي ، وكانت مدارك بعض الدعاة أقصر من أن تدرك مغزى حروفي وإشاراتي ، وإنما أدركها الشيخ ربيع المدخلي في تقريره المرفوع الى وزارة الداخلية في الرياض حول تقويمه لكتابي " المسار " قبل ربع قرن وتحذيره وتوصيته بمنع تداوله بسبب (تحريضه الشباب على الثورة) كما في تقريره المخابراتي الآنف الذكر والبالغ ثمانين صفحة واطلعت عليه ، وقد أثاره قول الامام ابن حجر العسقلاني عن (مذهب السيف) الذي يؤمن به المحدث صالح بن حي انه (مذهب قديم معروف في السلف) ورَفَض ابن حجر تضعيف من يعتنق هذا المذهب، وحاجَجَ أجداداً لربيع المدخلي مالوا قبل ألف سنة الى ترك حديث هذا الشيخ المحدث الذي يرى السيف والثورة على الظالم ، والفاجعة التي فجعت المدخلي والذين وراءه ان ابن حجر وَصَفَ مذهبَ التغيير بأنه " سلفي " وما هو ببدعي . . ! ! فكما خرج موسى عليه السلام من بيت فرعون: خرج مذهب الثورة من القصر السلفي ، وهنا كمنت المفاجأة التي حوّلت الربيع خريفاً يابس الأوراق ، ثُم مع الأيام جعلته الشتاء الزمهرير . . !

وجميع الفصول القادمة من هذا الكتاب مرصودة للتعريف بحيثيات مذهب التغيير في كتب " إحياء فقه الدعوة " ، فلينتظرها القارئ ، وأما الآن فنعود الى تعداد العوامل التي صنعت ربيع العرب الثوري عام ٢٠١١ فنقول:

- العامل الثاني: عامل انعكاسات الخطة الاستعمارية الاميركية وغرور رامبو، وهي قصة قديمة ولكن فصلها الأخير بدأ بعد تحرير الكويت من احتلال صدام حسين لها، فكان الحصار الظالم على شعب العراق ، وتجويعه ومنعه من الدواء وضرورات الحياة، وموت مليون طفل وفقير بسبب الحصار، وتخريب البنية التحتية العراقية بالضربات الجوية المستمرة، ثم غزو العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ لتدمير بقية البنية التحتية ، ومنع الخدمات عن الشعب ، وتسليط المخابرات الايرانية لتعيث فساداً في أرض العراق ، وتمكن الاحزاب الطائفية ، فحصل القتل الذريع في أهل السنة ، فانطلقت العمليات الجهادية ، فانتقمت أميركا بتخريب الفلوجة وحصد أرواح شبابها، وأذى مدن عديدة أخرى ، وامتلأت السجون ، وقصص التعذيب في سجن أبي غريب مشهورة ومعها صور تقشعر لها الأبدان ، وكانت كل هذه الأحداث واخبارها تنطبع في ذاكرة الجيل العربي، فتصاعد وعيه ، ورأى خذل الدول العربية للعراق ودخولها ضمن المخطط الأميركي ، فازداد الشباب نقمة ووعياً سياسياً ، ثم جاءت أحداث دارفور وجنوب السودان لتتأكد القناعة بأن أميركا وراء كل شر وانفصال ، وصار اتهام الشباب لدولهم الخاذلة المتخاذلة وانتقدوا حلفها مع أميركا ، فصار تصاعد الشعور الثوري وقابليته للاشتعال بأدنى سبب ، فلما بدأت تونس قدحَ الشرارة: سرعان ما جاوبتها البلاد الاخرى ، فصار المَدُّ واتسعت العاصفة ، وكانت تجارب أميركا المريرة في الافغان والصومال قد ضاعفت تأثيرات صدى ما يحدث في العراق ، وانكشفت أسواء خطة الامارات في التمكين للفكر الاميركي أن ينتشر ويكون منهجاً تربوياً في المدارس والجامعات ، متزامناً مع إقصاء العناصر الاسلامية وفصلها و (أمركة) الحياة الثقافية والنفسية والسياسية ، وبدأت بلاد أخرى تحذو حذو الامارات ، فانضافت هذه الحقائق الى بعضها ليتكون من مجملها تصديقٌ لمذهب فقه التغيير ، وصارت الاحداث شواهد وأدلة تتولى إثبات صحة

منحى اليأس من الحكام والإيمان بضرورة تغييرهم ، فصار الانفجار العظيم، وكتابي " بوارق العراق " ثم سلسلة رسائل " حركة الحياة " ورسائلي الجهادية " سيوفنا الخمسة " و " صولة الأصالة " و " المحارب المحرابي " وغيرها التي جمعتها في كتاب " أخبار عراقية ": كلها تشرح قصة الاستعمار الاميركي واستهتار جنود المارينز بالأرواح ، واتصل كل ذلك بذكريات فيتنام.

وانظر آخر الاستهتار: القضية الاخلاقية التي اشتهرت في وسائل الاعلام يوم ١٣ يناير ٢٠١٢ ، وهي قضية تبول مجموعة من جنود المارينز على جثث شهداء من الافغان ، والتقاط صور لهم إذ هم يفعلون هذه الفعلة النكراء المنافية للذوق الانساني وإجماع الامم على احترام الميت كائناً من كان ، وعندي كتاب إداري يتغنى بنجاح المارينز ويقول : ان السبب وراء النجاح هو الالتزام الاخلاقي الصارم المتوارث بين أجيال المارينز على مدى قرنين ، وذلك كذب تفضحه هذه الفعلة الساقطة ، وكنا في شبابنا نقول: ان الإستعمار البريطاني سيء ، وإنما الاستعمار الفرنسي أسوأ منه وأقل التزاماً بالاخلاق ، وسياق الاحداث في العراق والأفغان يوجب ان نقول: ان الاستعمار الاميركي أردأ منهما ولا اخلاق له بتاتاً.

- العامل الثالث: الآثار التصاعدية الحماسية لوقفة حماس الجهادية في غزة الشامخة، وعجز جيش اسرائيل عن اقتحامها ، ومعجزة الأنفاق الإبداعية في الفن الحربي التي توصّل لها ذكاء قادة الجهاد ، وطيش الجيش الاسرائيلي في تغطية عجزه بالضرب العشوائي الإنتقامي ، مما جعل افئدة الاحرار في كل العالم تقف مع صمود غزة وتؤيدها وترسل المعونات لها ، وليس المسلمون فقط ، ثم زاد الالتفاف الشعبي بالموقف العدواني الذي وقَفه حسني مبارك وحصاره الشديد لغزة وتعاونه مع دُمى الأرجوز في السلطة الفلسطينية الهازلة: عباس ودحلان ومَن لفّ لفّهما الخياني ، ثم الانحياز الاميركي الأعمى لاسرائيل اثناء كل ذلك ، مما جعل قلوب الشباب العربي تفور وتغلي ، وتريد الانتصار لغزة ومعاقبة الطغاة الذين تحالفوا مع اسرائيل فضربوا الجهاد من الخلف ، وإيقاف ضبع المخابرات عمر سليمان عند حدّه ومعاكسة خططه التنسيقية مع الموساد ، ولبثت

العواطف تتصاعد حتى أوقد شعلة الحرية الفدائي الذي أحرق نفسه بتونس، فسرت نار الثورة الى الاقطار الاخرى ، وارتفعت الوتيرة عندما انفضح أن نشاط عصابات دحلان التي حاولت احتلال غزة كانت بتمويل إماراتي وتدريب مصري ، وما كان لمرتزقة ديدنهم الفسوق أن يصاولوا الأحرار يوماً ما ، ولكنها مجازفات رعناء لدوائر المخابرات التي لا تفهم من قصة حركة الحياة شيئاً ولا تعرف الطاقة العظمى الكامنة في الاستعلاء وقابليته في قيادة النفوس الشريفة نحو البذل وتقديم الدماء رخيصة في درب العِزّة ، وكانت الخطوة الجبروتية التي نواها حسني مبارك بتحريك فِـرَق الدبابات المصرية لاحتلال غزة وتقديمها هدية الى اليهود مما فكّر به في يناير ٢٠١١ هي الخطوة التهورية الحاسمة التي جعلت الشباب ينزل الى ساحة التحرير بالقاهرة ويصر على رحيل الطاغية ، مما صادف رغبة عند حسين طنطاوي وزير الدفاع فعاون على أن يتغدى بمبارك قبل أن يتعشى به ، ونجحت الثورة في مرحلتها الاولى ، وانتظرت شهوراً ، حتى عادت للتحرك في نوفمبر ٢٠١١ مطالبة الجيش بتسليم السلطة الى المدنيين ، واثبتت هذه العودة أن شباب الثورة يحوزون وعياً جيداً ، ويخشون أن يسرق الثورة سارق ، فواصلوا نفيرهم واستعدوا لما بعد الثورة أيضاً ، وهذا السياق وملاحظته منذ بدايته يوضح كيف أن جهاد حماس وصمود غزة ووفود التأييد العالمي لها المتمثل بسفن وقوافل النجدة العديدة: كان من الاسباب القوية لانفجار النزعة الثورية في عامة الاقطار، فلما حكمت حماس في الظروف الصعبة وعدلت وقضت على الفساد الاداري: ظهرت بوادر تنموية جيدة على الرغم من قلة المال ، وارتضى أغلب أهل غزة حكم حماس وصبروا على شدائد الأيام والحصار ولم يتذمروا ، لتمييزهم إخلاص المجاهدين واكتشافهم نوعاً جديداً من الحاكمين وافر النظافة والجدية ، فتضاعف الشعور الثوري في البلاد العربية من خلال مقارنة نجاح الحكم الفقير المرهَق بأعباء المعركة بفشل الحكومة الغنية في بلادهم ، والسبب هو الفساد المستشري ، وإذا كان رئيس يتخذ عصابة للنهب وتهريب المليارات: فإن الوزراء والجنرالات والمدراء كلٌ يتخذ له عصابة خاصة له سهماً في الغنيمة الحرام ، ويكون الشعب بعمومه هو الضحية ، ولذلك قلت في شعري في تحية " مِشعَل " الثورات:

غَــزَّةٌ صــارتْ مـثـالاً أقْـمَـرا
لـجـهـادٍ يُـتْـبِـعُ الـهَـدمَ الـبِـنـا

استمِرْ "خالدُ" عَصْرَ النُصْرَةِ
يومُ فَتحِ القُدسِ أوْرى ودَنا

يـا نَـسِـيـمـاً مـن جِـنـانٍ داعبـا
عِـن أُبـاةً يـرفـضـونَ الإنـحِـنـا

نحنُ جَمْعُ الحُبِّ في اللهِ لَنا
سُـمْـعَـةٌ حُـفَّـتْ بـأصـلٍ زانَـنـا

كُـلـنـا مـحـضُ حـلالٍ قُـوتُـهُ
سُـحْقَ غِـرّ ٍمِن حرامٍ سَمِنا

إن رأسَ الـفـضـل في مَـنـهـجِـنـا
دَفعُ غزوٍ: قَـتْلُ عِلْجٍ رَاعَنا:

وبلغني أن كتابي " رؤى تخطيطية " الذي تولى التأصيل للتنمية الاسلامية الدعوية الشعبية: يوجد على مكتب كل وزير ومدير في غزة ، يقتبسون منه الروح التنموية ، وهم فقراء ، ولكن الطموح والإبداع يقودان الأحرار الى التحدي ومغالبة الصعاب ، والبركة الربانية إذا حَسُنت النوايا: تجعل الضيق واسعا ، والقليل كثيرا ، بعكس الظلم الماحق للموجود ، والبدعة الغليظة البهائية التي يعتنقها محمود عباس الايراني الاصل هي سبب العثرات ، بل عقيدة جَدّه ميرزا زوج اخت البهاء المدعي للنبوة وخليفته هي كفر محض، وكان الشاه الفارسي قد نفاهم عن بلاده فسكنوا بلدة عكا في فلسطين وأسسوا محفلهم البهائي هناك ، ومحمود من ذريتهم وهم اخواله، وخبر تعاونهم مع دولة اسرائيل حين قامت خبر مستفيض مشهور ، وآل السرطاوي من حواشيهم ايضاً ، واشتهر منهم عصام السرطاوي ، وكان من أعوان ياسر عرفات ، لكنه درس في العراق فأثرت فيه الثقافة العراقية وكأنه رجع الى الاسلام ، وأبدى معارضة لسياسة عرفات ، فقتلته الموساد في فرنسا ، وكان ابوه يزور مجلسنا الخاص في المقهى ببغداد وأعطانا كتاباً

من تأليفه يروّج لدين البهائية ، واستمر مدافعاً عنها ، مظهراً الولاء لذرية البهاء وميرزا ، ولي معه مواقف جدال وإنكار عليه ، وكان صريحاً جريئاً في ذلك وليس كمحمود الذي يتخفى.

❑ العامل الرابع: تراكمات نتائج العمل الدعوي الاسلامي واستمراره وثباته وتصاعده، ومواقف المعارضة التي وقفها ، والتضحيات التي قدمها وضرائب السجون والاعدام والهجرة ، وذلك في كل البلاد العربية ، فانجمعت التأثيرات الى بعضها ليتولد زخم شديد في النهاية قوامه الأفكار والالقاءات النفسية والعواطف والحماسة والروح الثورية، فقدمت الدعوة شهداء ، ووصل طيش القذافي مثلا الى قتل (٦٥٠) ستمائة وخمسين سجيناً سياسياً اسلامياً في سجن ابوسليم في ساعة واحدة ، ولبث الوف في السجون السورية والتونسية والمصرية والاردنية ، مع مئات او عشرات هنا وهناك في البلاد الاخرى ، والمظاهرات الاسلامية لم تنقطع ، وتزوير نتائج الانتخابات البرلمانية والنقابية متصل ، والمنع من الفرص قائم ، وحديث الإرهاب وإلصاق التهم بالتطرف نال كل عامل وقائم ، بحيث أصبح الجو مشحوناً متوتراً شديد الحساسية وليس من نتيجة منطقية نهائية غير الانفجار ، فعلى نفسها جنت دوائر المخابرات ومجاميع الطغاة ، وهي التي سلكت سبيل التأزيم ، ويبدي التحليل أن معظم الاسباب تكمن في جهل رجال المخابرات وحملهم لنفوس مريضة منحرفة بينها وبين الثقافة الحضارية حواجز وموانع ، وأسواء خططها وأساليبها هي التي ورطت الرؤساء والملوك في اختيار طريق القمع والكبت ومعاداة الشعب فدخلوا الطريق المغلق وشرعوا في الرحلة المسدودة إذ السماحة والحرية السديدة قريبة منهم لو أرادوا سلوكها اتباعاً للفطرة والعُرف السوي وليس اتباعاً لخواطر الشذوذ النفسي عند عبدالله السنوسي في ليبيا ، وعمر سليمان في مصر ، وأضرابهما، وكان بن علي هو رأس المخابرات في تونس وبقيت عقليته أثناء الحكم هي عقلية المخابرات ، وانضاف لها الأصل الهابط الدنيء، إذ أعدم الثوار القدماء أباه في حرب التحرير بتهمة الخيانة والتجسس لصالح المستعمر الفرنسي . .! لذلك كانت النهاية هي صدى نوع البداية، وربك لا يظلم أحدا ، ولكن الناس لأنفسهم يظلمون ، وحتى اميركا: تغوّلت فيها المخابرات المركزية فصارت هي الحاكم الفعلي

فأوردتها موارد التراجع وأصبح كل العالم كارهاً لاميركا وطرائقها، وحين أراد الرئيس كنيدي الإفلات من القبضة وحلم ببعض الحرية في التحرك : قتلته مخابراته ، والشواهد تترى ، ولكن المتعظ قليل . . ! وكان عبدالناصر قد قال قولته الشهيرة في أعقاب نكسة حزيران صادقاً أو كاذباً: الآن سقطت دولة المخابرات . . ! مشيراً الى علي صبري ورهطه ، والعبرة في قوله: انه اعترف بأن الدولة كانت دولة مخابرات ولها النفوذ والسلطة ، فصارا لزاماً على الحاكم العاقل أن ينتفض وينقلب على مخابراته ويتقرب من الشعب ويجعل عقلاء الناس مستشارين له ، ويحرس نفسه بالضعفاء والفقراء الذين يطلب مودتهم بالتنمية ولكن من أي صيدلية نشتري العقل لهم ! ! !

❑ نَـــبِّـــر الفِكَر بِفود العملا . . مثل رَعدٍ بعد بَـرقٍ جلجلا

❑ العامل الخامس: الآثار الايجابية لكتلة الفكر الاسلامي الذي أدلت به الدعوة الاسلامية عموماً ، مما صدر عن المنتظمين في حركات أو مِن الفرديين ، وما ظاهَرَه وأعانه من متون التفسير والحديث والفقه وتحقيق مخطوطات التراث ونشرها ، مما يصل بالجميع الى عشرة آلاف عنوان ربما ، في عملية ضخمة تعاون فيها الوف المفكرين والمحققين وطلاب الماجستير والدكتوراه وعمالقة البحث المنهجي في الجامعات ومراكز الدراسات ، وانضاف لذلك جهد إعلامي واسع ظهر في المجلات الاسلامية والقنوات الفضائية يعرض الموعظة باسلوب جديد ، ويتداول الفكر وتحليل الواقع وأخبار العالم الاسلامي بطريقة إبداعية مبتكرة تمزج الكلام بالصورة والاخراج الفني والتوثيق والاحصاء ، مع الوف المواقع الانترنيتية المتكاملة التي لم تترك شاردة ولا واردة إلا والتقطتها وعرضتها وأبلغت بها الدعاة في جميع القارات ، وحتى البوسترات والملصقات والألواح الحاوية للشعارات ، وينضاف الى ذلك الكلام المودع في مائة الف شريط سمعي ومنظور وصلت أقصى الاماكن وعمق الغابات والصحراوات ، وخطب الجمعة ، ومحاضرات عامة ، ومساعدة معارض الكتب السنوية في ترويج كل ذلك وطبعه ووضع حزمة ثمينة في يد كل

شاب في كل موسم، مما تسبّب في تصاعد الوعي والحصيلة الفقهية والفهم السياسي ، والشعراء يترنمون بألحان تحرك الضمائر وتهز الوجدان وتلهب العواطف ، واشرطة مائتي شيخ من متقني تلاوة القرآن الكريم تهبط بقلوب الجميع الى أدنى الإخبات لرب العالمين، بل وحتى الأطفال أصبحوا يعيشون بحبوحة من ترداد معاني الايمان وازدانت طفولتهم بأناشيد وصيحات حماسية ، وكان الحرص اثناء كل هذه المسيرة على إحياء فقه الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في قالب من الوسطية المتجانسة مع مفاد العقل والمنطق ، فكانت هذه العملية الضخمة الجبارة بأبطالها الالوف أبرع عملية ذكية تنجزها اجيال الدعوة الحديثة والمعاصرة، وحصل إتقان الخلفية وتعميق الجذور وتوسيع الانتشار ، مما أبرز ثورة فكرية ناجحة عامة استندت إليها الثورة السياسية الحالية ، تحت مظلة أخلاقية تربوية صارمة أرست طباع العفاف والتفاني والإخلاص وعشق الحرية واستحلاء البذل وارتقاب الجنان والفراديس بعد كل دم يراق، ونِعْمَ المقدمة كانت، وعلى كل من ينزل الى ميدان التحرير أن يشكر هذا التقديم الذي بذلت فيه الدعوة الوف الأطنان من الجهد والمال والوقت والخطط ، فإن تحطيم الطواغيت لم تنجزه الهتافات فقط ، بل وقف وراءه ذلك البذل الصامت على مدى عقود عديدة من السنين ، والعجب من مستعجل يفخر بأن الثورات شبابية وليس من وراءها تنظيمات، بينما هذا الاستعراض يريك ان الثورة السياسية ما كانت لتنجح لولا التنظير والتخطيط والتأويل الفقهي الذي سبقها والثورة الفكرية التي جاءت مقدمة لها ، ولكن العناصر الاميركية الهوى والارتباط هي التي تروج مقولة الفخر بتجريد الثورات من الأثر الدعوي ، فتنطلي على المستعجل الذي ذهل عن رصد التراكم الفكري البطيء عبر نصف قرن ، ويظن أن صيحته يتيمة لا أب لها . . . ! وحتى بعض الدعاة يتورطون في تقليد المتذمر فيزعمون أن الدعوة أصابها ترهل ، او يزعمون أنها فشلت ، بينما هذا النجاح الفكري لوحده يصلح دليلاً على أوفى النجاح وأبعده. بل أنا أجزم أن الثورة الفكرية أنتجت ثورة أخرى إبداعية وإدارية تطويرية بحثت الفنون القيادية بتوسع، والذين تولوا ذلك هم الدعاة من المدربين الابداعيين والاداريين من خلال الوف الدورات المتخصصة التي عقدوها بنجاح ،

فكانت الثورة الإبداعية الاسلامية هي المقدمة الفكرية الثانية التي قادت الثورة السياسية، والهاتفون الشجعان في الشوارع والميادين يعلمون طرفاً من " علم التصاعد الثوري " ولا يعلمون أطرافاً اخرى منه ، لأنهم إنما رفلوا بنتائجها من دون أن يحضروها ، وهم لا يفطنون الى الخَدَر الذي اعترى الأمة والسبات والذبول ، وكيف اكسبتها الحملة الفكرية الوعظية الإبداعية روحاً جديدة جعلتها تندفع نحو طلب الحرية.

❑ الحرية .. الحرية .. الحرية .. أولاً

❑ العامل السادس : إيحاء نجاح النهضة الاسلامية التركية ، وانعكاسات الحرية التي جلبها أردوغان وأصحابه لتركيا من خلال مناورات سياسية ذكية وصعود تدريجي اعتمد على مقدمات عمل جماعة النور تربوياً وتمهيدات الاستاذ أربكان سياسياً خلال ربع قرن ، فهذه العملية الماهرة التي تفلتت بجدارة من تقييدات الدستور المسرف في العلمانية ، ومن رقابة العسكر والجنرالات القساة هي عملية ناجحة بكل المقاييس مهما اعتراها من نقص أو تنازلات ترضي أميركا ، وسأل سائل أردوغان: هل جئتم لتحكموا بالاسلام؟ فأجابه بجواب حكيم وقال: بل جئنا لنمنح الشعب حرية العمل السياسي ، وللشعب ان يختار طريق الاسلام.!! ثم أجاد أردوغان خدمة الشعب ، فبنى الجامعات والمدارس والمستشفيات ، وضاعف الرواتب ، وقفز بأرقام الصادرات التركية ، وداوى عجز الميزانية ، واستطاع وفاء الديون الخارجية ، وقضى على الفساد الاداري ، وشيد الطرق والجسور والأنفاق ، وانحاز في القوانين والضرائب لصالح الفقراء ، وأتى بخطة تنموية طموحة ، فأذعنت له القلوب وفاز في الانتخابات بتفوق يلغي تماماً احتمالات عودة الجيش للاستبداد ، وبذلك أعطى أوفر المصداقية لشعار: الحرية أولاً ، وهو شعار صحيح مع أن بعض المشايخ في البلاد العربية ما يزال لا يفهمه وبقي يردد: بل الاسلام أولاً ، غير منتبه الى هذه الفذلكة التكتيكية ، وإنما انتبَهتْ الى الصواب جموع الشباب الثوري فاندفعت في طلب الحرية أولاً ، وأنا معهم ومع اجتهادهم وأقول بقولهم: الحرية أولاً.

ومما جعل الشباب العربي يميل الى تقليد عمل أردوغان وحزبه: أنه قلّص

حدود التعاون الاسرائيلي التركي ، والتاف على الحلف الاستراتيجي العسكري والسياسي بينهما بعدما توسع الجنرالات الاتراك السابقون فيه ، ثم عاون غزة وأيدها ، مما أوجد استجابة عاطفية في البلاد العربية والاسلامية على الرغم من بقاء الالتزامات التي فرضها الحلف.

• ومثل ما جرى في السياق التركي: جرى سياقٌ من التأثير الصامت المتدرج انطلق من ماليزيا واحدث بعض التأثير في البلاد العربية ، وذلك ان ماليزيا نجحت في خطتها التنموية أبعد النجاح وصارت بلداً يوازي البلاد الغربية ، مع حرية وافرة ، مما جعل الشباب الثوري العربي يقارن التردي والتأخر في بلاده بالتقدم الماليزي فيرى الفرق الواسع ، وتأكد هذا الشعور بخاصة ايام رئيس الوزراء عبدالله بدوي التي سبقت التململ العربي ، فإن بدوي كان من أهل الصلاة ، وجعل وسائل الاعلام الماليزي تكثر الحديث عن " الاسلام الحضاري " ، فحصلت المقارنات على الرغم من بعد المسافة ، واعتبرها الشباب العربي نموذجا اسلامياً مَهْما مازجتها نواقص العلمانية للحزب الحاكم ، لأن البلد إسلامي الهوية عموماً ويسوده حجاب النساء ، ومن خلال السياحة والدراسة والتبادل التجاري حصل العلم بالتجربة الماليزية ورأوها برهاناً آخر يعضد التجربة التركية ، وقيادة محاضير من قبل نجحت في الجانب التنموي أيما نجاح ، ومع علمانيته: كان يؤمن بالقضايا الكبرى للأمة الاسلامية ، وانتقد أفعال أميركا في العراق ، وجاهر بانتقاد اسرائيل ، فكانت الصورة التي انغرست عنه في أذهان العرب: أنه سياسي ناجح خدم ماليزيا خدمة وافرة ، وفضلوه على حكامهم الذين سَوَّد سمعتهم الفشل.

• بل حتى اندونيسيا التي يسودها فساد إداري: استطاع الرئيس " حبيبي " العربي الأصل وبتمكين من الجنرال سوهارتو المخلوع: إحداث نهضة علمية شاملة تمكنت من إنتاج طائرات الهليكوبتر العسكرية ، والطائرات المدنية ، وأرسل الوف الطلاب لحيازة الدكتوراه في كل العلوم الى أميركا وأوربا واستراليا واليابان ، ووضع خطة تنموية طموحة جداً كانت سترفع رأس الامة الاسلامية كلها ، لولا أن أميركا عارضتها ووأدتها قبل اكتمالها، ولكن أخبارها وصلت الى البلاد العربية وصارت مثالاً

لإمكانيات النجاح لو توفرت الجدية لدى الحاكم.
وقد قلت في النونية العِزية:

إنْ نَقُدْ سُوْحاً بفنِّ السيطره
بِعلومٍ إثْرَ إعلام الرَّنا

يَرِدُ التمكينُ مِن غَيرِ دِما
بسلامٍ من إلهٍ أمْكَنا

يَصنعُ الرقمُ الحياةَ الحاضِره
فَلْنَقُدْ (فوتونها) تَخضعْ لَنا

اشارة الى الاعلام المرئي ، وهندسة السيطرة ، والفيزياء ، والمكنة الكامنة في الاختراعات الرقمية (ديجيتلز) ونظرية الكم التي تركز على معرفة سلوك الفوتون وانبعاث الطاقة ، وأن هذا الطريق العلمي يغني عن الثورات الدموية.

❑ العامل السابع: اثر قناة " الجزيرة " والموقف القَطَري الايجابي ، وعموم الإعلام الاسلامي: وقناة " الحوار " وما حصل من إلقاء نفسي من كل ذلك ، وتراكم الأخبار الدقيقة ، والارتفاع بالوعي السياسي التحليلي. إن الجزيرة قامت بواجب عظيم في نقل يوميات الثورات كان له أبعد الأثر في تصعيد النقمة وسعة المشاركة ، ولكن انجازها الاعظم الذي ربما لم يلتفت له الناس: توليها على مدى تسع سنوات التمهيد للانتفاضات الثورية من خلال برامج شاهد على العصر ، والاتجاه المعاكس ، وحوارات أحمد منصور مع مئات السياسيين والمجربين ، ونشر تقارير العشرات من المحللين للأحداث أثناء السرد الإخباري أو في برامج خاصة أخرى ، مما أنتج حصيلة كبرى أنهت سذاجة العرب ونقلتهم الى فطنة ومقارنات ومنطقيات وأقيسة صحيحة ، فنضج التوجه الثوري وصار قابلاً للاشتعال بأدنى سبب ، ثم كان تتويج منهجية الجزيرة بثلاثة أعمال جبارة الواحد

منها يكفي لبعث الفكر الثوري:

• الأول: نقلها الناجح لاحداث غزة ، وتغطيتها للمعركة ، وبلسان التأييد لحماس وجميع المجاهدين ، مما لم يحدث من قبل في تاريخ الإعلام العربي والعام ، فحشدت قلوب المسلمين جميعاً لنصرة غزة ، وصارت النقمة على الطغاة وحكام السوء ، وعلى المخابرات وسفليات عمر سليمان واضرابه في الضغط على الأحرار وإرضاء يهود.

• الثاني: نشر الجزيرة لوثائق المفاوضات السرية بين السلطة الفلسطينية واسرائيل ، فاهتز بركان النقمة ، وانفضح صائب عريقات ومحمود عباس وسلام فياض وامثالهم في المجموعة الهازلة التي تغش الامة كلها والفلسطينيين بخاصة، وتبين ان السلميين هؤلاء يريدون بيع القضية بلا ثمن ، وإلغاء شرط عودة اللاجئين ، والسماح بالمستوطنات ، في مواقف خيانة اخرى تؤيدهم فيها حكومات العرب التي اختارت الخيار الصلحي كخيار استراتيجي وبقيت تتغنى بذلك مخادِعة لشعوبها ، إذ هو خيار استسلامي خالص.

• الثالث: سرقة الوثائق الاميركية السرية التي كشفت السياسة الاستعمارية لاميركا وعدوانها على الشعوب وأكاذيبها ، ولم تكن الجزيرة هي السارقة ، ولكنها كانت مِنبراً ناجحاً أذاعها ووسع علم العرب بهذه الوثائق الخطيرة ، فتأجج الشعور الثوري الناقم على الحكومات المحلية التي تنسق مع هذه العدوانيات الاميركية.

❑ ثم لا يخفى في هذا المجال الاعلامي: الأثر الكبير لمواقع الانترنيت والفيس بوك واليوتيوب ، وعلى رأسها انترنيت الجزيرة ، والوف المواقع والمشاركات ، ولغة موقع (الجزيرة توك) الشبابية التي لا صلة لها بقناة الجزيرة رسمياً ، والجهود الشبابية الكثيفة في هذا المجال في جميع البلاد، مما وجّه شباب " الفضاء المعلوماتي العربي " الصاعد نحو الفكر الثوري والشجاعة في طلب الحرية.

• ومن الأسباب أيضاً: المبالغة في السير نحو هاوية الغفلة والطرب والغناء

والمعازف ومناظر العُري والتبرج ومقدمات الحياة المتهتكة المخالفة لقِيَم الدين والفطرة والاخلاق السوية ، مما ظهر في بعض الفضائيات ومهرجانات الوليد بن طلال واضرابه، مما فيه تمكين مجموعة الممثلين والممثلات السينمائيين من الاستبداد بمخاطبة الشباب ومحاولة تخديرهم وتعطليهم عن الايجابيات والاعمال النافعة والفكر العام والفكر السياسي وصرفهم عن الحياة الجادة ، من أجل إماتة عِرق النهي عن المنكر فيهم ، وترك معارضة الحاكمين ، وترك الشباب يدورون في دوامة الجنس والغرام بالنساء ، تنفيذاً لخطة حرف الاجيال الصاعدة عن سيرة الجِدِّ والبناء وإركاسهم في الشهوات ليتفرغ الطغاة للإستبداد، وهذه الخطة النكراء هي وصية دوائر المخابرات في أكثر البلدان لهؤلاء الطغاة ، وقادة المخابرات هم الذين نفذوها لهم ، ولكنهم لأنهم من حثالات الناس لا من أشرافهم: بالغوا في ذلك ولم يفهموا قوانين حركة الحياة ، فتولدت من المبالغة ردة فعل عكسية عند كثير من الشباب وتطورت ردود الفعل الى أن تكون مقدمات للثورة.

• وقريب من هذا: ركام الافلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التي انتجتها وكتبتها ورعتها دوائر المخابرات وخطط عمر سليمان وأعوانه مما فيه عرض جوانب من تاريخ وأعمال الحركات الاسلامية والاخوان وجماعات الجهاد عرضاً مزوراً مشحوناً بالاكاذيب وحديث الارهاب المفتعل ، وبألحاح وازدراء لعقول الناس واذواقهم وذاكرتهم ، بداية من (الإرهاب والكباب) الى مسلسل (حسن البنا) ، وتسخير أمثال الممثل المخابراتي (عادل إمام) لذلك ، حتى حصل إسفاف هابط قذف في قلوب المشاهدين الاشمئزاز من هذا النمط ، فحصلت ردة فعل عكسية اخرى ، من أدلتها الدامغة: إعلان عادل إمام نفسه عن معاداته للثورة المصرية ودفاعه عن طغيان مبارك ، فزادت نفرة الناس ، وحصل شاهد جديد على فشل خطط المخابرات في التلاعب بمفاهيم الشعب وذاكرته وموازينه ، وبينما كانت بيانات المخابرات تقول بأن فلاناً من أعضاء تنظيم الجهاد قاوم محاولة اعتقاله واطلق الرصاص على قوات الأمن فاضطرت الى قتله ، ثم يخرج فيلم سينمائي يؤكد السياق: كان الناس يرون بأم أعينهم ان ذاك الشاب هو في المعتقل أصلاً ، ثم جاءت به سيارة البوليس الى

قرب منزله ، ثم اطلقوا سراحه ، وبعد مشية خطوات: يصليه الضابط بصلية ترديه قتيلاً والناس يشاهدون التمثيلية ، وطبعاً ينتشر الخبر ويسري بين الناس ، وبتراكم حوادث مثيلة ورؤية مشاهد تلفزيونية تزويرية: حصل نفور الناس والكفر بالمخابرات وعمر سليمان ومبارك ، فكانت مقدمات الثورة ، والعجيب ان ولي العهد في بعض بلاد الله ينقذ عمر سليمان من ورطته ثم يستخلصه لنفسه ويجعله مستشاراً له من غير أن ينتبه الى ان خطط هذا الغبي هي التي جعلت الناس تثور على سيده مبارك !!

❑ بل عندي أن اسباب الثورة ذات تاريخ بعيد هو أعمق من جميع هذه الاسباب التي سردناها ، ويرقى الأمر الى نكسة حزيران الكبرى سنة ١٩٦٧ والإحباط الذي اعترى الامة كلها بعد أن وعدها عبدالناصر بمحو اسرائيل بصواريخ الظافر والقاهر التي تبين أن لا وجود لها وانها كانت مادة دعائية مجردة ، وهزيمة الجيش المصري يومها وفقدان سيناء كلها وتحطم الطائرات عند الفجر يوم كان حسني مبارك قائد القوة الجوية وبحجة اننا كنا ننتظر العدو من الشرق فجاءنا من الغرب ، وبكلام تافه مثله، وثبوت دعوته للطيارين ليلة العدوان الى حفلة خمر ماجنة حتى الفجر ، وسهر الجنود المصريين على حدود اسرائيل مع عبدالحليم حافظ وأغانيه بدل التكبير والاستغفار ودعاء الله تعالى بتنزل النصر: كل ذلك بقي في ذاكرة الآباء ويروونه لابنائهم الذين صاروا شباباً صاعداً يريد الاستدراك وتصحيح الخطأ ، وما كانت أعمال السادات وحرب اكتوبر بأحسن ، بل هي حرب (تحريك) لخطة السلام مع اسرائيل وليس حرب (تحرير) ، والدليل توقيعه لمعاهدة كامب ديفيد التي ثبت قطعيا انه كان يسعى لها من قبل حرب اكتوبر ، ثم دخل انحراف ياسر عرفات على الخط ، وإيمانه بصلح اوسلو قبل توقيعه الفعلي بما يقرب من عشرين سنة ، ورفعه للغصن الأخضر ، وتسجيله مليارات الدولارات من أموال منظمة فتح باسم زوجته سهى ، ودخول زوجة زين العابدين بن علي في شراكة معها ، وتقليده الابله لاشارة جرجل باصبعيه للنصر ، فصارت نقمة الامة أكبر ، بسبب اتخاذ حكام العرب قرارهم بأن السلام مع اسرائيل خيار استراتيجي ، وان عرفات هو الممثل الوحيد الشرعي للشعب الفلسطيني ، فاتضحت جرائم الجميع ، واوردت الفضائيات في سنوات ما قبل الربيع العربي اسرار جميع

هذه الخيانات بالافلام الوثائقية ، فكفر جيل الشباب بهذه الزعامات الفارغة ، وامتلأ غيظاً ، حتى حاكم اليمن علي صالح صرّح في الجزيرة في مقابلة معه ان جيشه وجيوش العرب كلها إنما هي للاحتفالات والاستعراضات وليست للقتال ، وسمعه كل الجيل الذي صنع الثورات ، وازدادت الحماسة فكان ما كان ، وكم من سياسي كبير وفريق في الجيش سرد على مدة عدة حلقات ذكرياته وشهادته على العصر وكشف الخيانات والبلادة وتبعية الاصنام لتوجيهات اميركا ، فتجمعت من كل الشهادات صورة قاتمة أدت الى احتقان كامل مستعد للانفجار إذا ومض الصاعق ، وكان البوعزيزي التونسي هو الصاعق ، وتشكلت من احتكارات وسرقات جمال حسني مبارك صواعق اخرى انهت المعاناة.

• وانظر مثلاً ما كشفته الوثائق بعد رحيل علي صالح جاهل اليمن من انه كان هو رئيس تنظيم القاعدة في اليمن ، ويعاونه بعض ضباط الحرس الجمهوري ، فهو حريص على وجود تفجيرات واغتيالات من أجل ان يتهم التيار الاسلامي بالارهاب ، وليسوغ قوانين الكبت. وثبت كذلك انه هو الذي نفخ الروح الرافضية في الحوثي ورَبَطه بايران ، ليعاكس به تيار حزب الاصلاح ، فعاجله الحوثي بالثورة عليه وانقلب السحر على الساحر ، والشيخ العماد معاون الحوثي إنما هو خريج القصر الجمهوري وربيب جهاز المخابرات. وحين اخبرني بعض احرار اليمن بهذه الاخبار سارعت الى التصديق ، لاني شاهد على قصة مثيلة حدثت في العراق ، اكدتها لي استخبارات الفصائل الجهادية ، خلاصتها ان القاعدة في العراق اخترقتها المخابرات الاميركية والايرانية وحرفت اهتمامها الى تفجيرات ساذجة يكرهها الناس ، والى قتل المجاهدين بحجة اعلان القاعدة الامارة الاسلامية في العراق ، فيكون كل من لا يطيعها خارجياً وتقتله ، وساعدت بساطة الزرقاوي وقلة وعيه الامني والسياسي على ذلك ، ثم هذه القصص مكررة في الجزائر برواية ثقاتها ، وقاعدة الجزائر صناعة مشبوهة أوجدتها المخابرات الجزائرية بالتنسيق مع المخابرات الفرنسية ، ومقتل القس النصراني كشف ذلك، بل الشاهد المصري أصرح ، حين كشفت الثورة ان تفجير الكنائس كان من عمل المخابرات المصرية ، فتأملوا . . !!

❑ وما أبدع وأجمل الإيجاز الذي مارسه تلميذي الصاعد النجيب مصطفى صفاء الوهيب في إجمال القضية والتذكير بأن صغار المسائل تؤدي الى كبار المواقف ، وقوله لي: (والثورات حالة جمالية معقدة ، تحوي آلاف المتغيرات التي تتفاعل مكونة مشهداً خلاباً مليء بالتفاصيل والعوامل الطاردة لقبح الواقع المصنوع بيد طاغية أحمق ، لتصنع بعد تخلية الواقع من سموم الطغاة: تحلية بحضارة مقودة بفكر الدعاة، والثورات إنما تخضع لنظرية " البزوغ او الانبثاق " التي تفسر حقيقة ظاهرة الثورات: بمركبات شديدة البساطة بشكل ساحر: حرف متمرد ، وآهة لسجين ، وخضوع من طاغية تجاه مستعمرٍ يريق ماء الجبين ، وكلمة حق تنبثق من مزارعٍ مسكين، وغيرها من المفردات الصغيرة الحجم البسيطة التركيب ، التي تتآلف في ذبذبة واحدة يتعاظم ترددها حتى تشب عن الطوق ، فتكون ثورة!) ، وهذا النمط من التحليل يتوازى بشكلٍ تام مع منهجيتي التي رصدتُ فيها نشوء عوامل حركة الحياة ، وتعاظم العامل الصغير حتى يكون عاصفاً.

❑ ونادت الملائكة: ان الله أبغض حكامكم .. فابغِـضوهم . . !

❑ هذه هي الاسباب التسعة التي يمكن رصدها او كانت مقدمات تمهيدية للمد الثوري ، وربما يرصد غيري أسباباً أخرى ، ولكنها ستكون أصغر في حجمها من هذه.

● وإنما رصدنا الأمر الظاهر في حدود العلم البشري ، وأما الفهم القرآني العميق فيقول بأمر أهم يتخفى ويدركه المؤمن فقط ، ويعجز الفاسق أن يراه، وهو القَدَر الرباني ، وانتقام الله تعالى للمظلوم ولدينه الحنيف الذي يعانده الجبابرة ، فكم من دموع يتامى هطلت كانت أرواح آبائهم قد حصدتها سفاهات الظالم ، وكم مورس من تعذيب في ظلمات السجون ، وكم تنهدت الأرامل ، وكم من أُكذوبة مخابراتية رَوّجها إعلام الطغاة تتهم الدعاة زوراً ، وكم من جلسة تنسيق مع المخابرات الأميركية ، ومع

الموساد ، والمخابرات الفرنسية ، والمافيات ، ثم القصص الملفقة ، والسخرية من الأشراف ، والحرمان من الفرص ، وكل ما علّمهم الشيطان من شر واسلوب عدوان ، فهذا كله تراكم وشهدت به الملائكة عند رب العالمين ، فغضب على المخابرات والوزارات والجنرالات والرؤساء معاً ، منتصراً لضعافٍ ودعاةٍ يسومهم المستهتر سوء العذاب ليتفرغ لسرقة المليارات من قوت المساكين ولقمة الأرملة واليتيم ، والله يُمهل ولا يُهمل، ويمكرون ويمكر الله ، ويضيقون ويوسع الله ، ويَحرمون ويرزق الله، ويفرضون سياسة التجهيل والله يتولى الصالحين بالتعليم والإلهام، ويغسلون الأدمغة والله يغسل القلوب من الدَرن والدنيوات الهابطة ويجعل الاحرار يتشوقون الى المعالي فيندفع الأطهار النظاف اصحاب الهمم نحو الثورة ويريقون دمائهم في مسيرة الثورة بلا تردد ، بل مع الفرح وانتظار الجنة ، ويتسابقون الى الشهادة ، مع فرح الامهات بهذا الشرف الذي يناله أبناؤهن ، ويوميات الثورات المباركة التي رأيناها مليئة بالقصص العجيبة في الركض الى الله وضرب الامثال ، وفيها الدليل على ان النفوس الكبيرة المؤمنة السالكة في درب الحرية إذا تزودت بالإيمان وفهمت إشارات القرآن تنتصر وتهزم نفوس المخابراتيين الصغيرة ذات الإسفاف والسلوك النذل في طاعة الجبابرة وعصيان الله تعالى ، والدنيا ما تزال بخير، والفطرة عامرة ، وللجنة روّادها ومَن يشتريها . . .!! وسيبقى الرنوّ الى المجد ، وتحليق الارواح المعنوية ، وظاهرة تحالف الأحرار وتبايعهم على إسقاط الظالم ونجدة المستضعفين: أهم ما يميز الحياة الانسانية عن حياة الغابة وسطوة الحيوان الاقوى ، وفيها الدليل على وجود حقيقة غابت عن ذهن دارون .. حقيقة أن الانسانَ لطيفة ربانية من نوع خاص أراده الله أن يكون خليفة في الأرض . . وشاهداً . . ممثلاً للسمو الرفيع . . وأميناً على حركة العامل الحضاري. . .

● نعم . . دارون واهمٌ . . لكنه مصيبٌ اذا استثنى ولم يعمِّم . . فإن في كل بلد غوريلا . . تخدمها عصابة من أنواع القرود . . . . . .

❑ ثم أما بعد: فإني الان بعد نجاح الثورات في أقطار عديدة ، غزة وتونس ومصر وليبيا ، مروراً باليمن وسوريا ، وسريانها الى الشرق في المالديف ، ونجاح الضغط في تعديل الحكومة ، والى الغرب ، ومحاولة

(مالي) أن تقتدي ، ثم انتقال هذا الاسلوب العربي في التغيير السلمي الميال الى الحسم العسكري عندما تنغلق أبواب المنطق والعقلانية إلى أميركا وكندا وكوريا وكثير من دول العالم الثالث واوربا ، بحيث أصبح التغيير نظرية عالمية وفلسفة سياسية سائرة سائدة: أشعر بأن ما ألهمني إياه رب العالمين من معانٍ دعوية وتربوية وتحليلية لحركة الحياة ، وأدائي لذلك ببلاغة واسلوب جميل على مدى أربعين سنة اكتملت خلالها صياغة (مذهب إحياء فقه الدعوة) أو كادت: كان هو جزءٌ من الخلفية الفكرية التخطيطية التي انطلقت منها هذه الثورات ، وهذا دليل واضح على أن الفكر يقود ويؤثر ، وهو بداية التغيير والاصلاح والطفرات الحضارية. إن صنعة الفكر مهمة ومثمرة وتحوي طاقة تفجيرية عظيمة ، وأن من أصوب الصواب أن يتقن الدعاة هذه الصنعة، وأن يسلكوا طريقها ، وان يرددوا مع (إقبال) ما رددتُه من قبل معه من أن نيِّر الفكر يعود العملا والثورةَ والتغيير وخطـطَ كبتِ العصابات المخابراتية الرديئة الطعم واللون والرائحة، مثل رَعْدٍ بعد برقٍ جلجلا وهتف وصدح بالنشيد في ساحات التحرير ، وأن نغمة (والله زمان يا سلاحي) لوحدها هي خطة تربوية جهادية كاملة تامة ترفع الاقلام وتجفّف الصحف . . . !!

▫ وليقل مَن يقل: أني أبالغ في أثر الفكر ، ولستُ آبه ما دمت حريصاً على أن تصل نسخة من كتابي هذا الى كل حُر في العالم ، فان فيه خلاصة مذهبي في فقه الدعوة، وهو أفصح كتاب إسلامي في هذا الموسم في عِلم الثورة وفن التغيير واسلوب الحشد والتنظيم ، وكما أن أئمة الفقه والحديث على مدى القرون يكتبون (إجازة) بمروياتهم ويعطونها لتلامذتهم ، ليستمر السَنَد العلمي العالي الشريف المدروس الخالي من الارتجال والبدع والاوهام والحشو الدخيل: فإني اعتبر النسخة التي يحملها الحُر بيمينه إجازة له مني في أن يدخل الدرب ويترنم بأشعاري ويقود الاحرار، فان سقط مضرجاً بدمه أو سقطوا معه: فهو شهيد وهم شهداء ، وتلك اسمى مرتبة.

▫ والى حين إتمامي لكتابي الآخر الذي شرعتُ بتدوينه بعد مرضي وإصابتي بجلطة في الدماغ ، انتظر دعاء القراء لي بالشفاء ، وادعوهم الى

تكميل علومهم الثورية من خلال مطالعتهم لكتابي القديم (بوارق العراق) وكتابي الجديد (أخبار عراقية) المتزامن نشره مع (تنظير التغيير) هذا ، فهما كتابان مهمان يحويان تفاصيل النظرية الجهادية الاسلامية من خلال رؤية دعوية معاصرة لها ، وفيهما من علم فقه الدعوة العام الشيء الكثير أيضاً ، والمحرك للمعاني كان هو الجهاد العراقي ، ولكن هذه الخصوصية هي مجرد جسر تعبر منه الى تعميم وقياس يكون فيه إنزال معظم المعاني على واقع الاقطار الاخرى.

❑ إنما بالمقابل: هناك شعور سلبي بأن (نظرية) التغيير هذه التي نجحت في كل العالم حتى الان غير قابلة لأن تنجح في إحداث تغيير في (العراق) بلدي الذي تراكمت فيه المعطيات الحضارية الاسلامية وتصاعدت فيه العواطف والممارسات الجهادية الى الحد الذي جعل التخطيط المستقبلي يضعه كميمنة في جيش استرداد القدس وتحرير فلسطين بإذن الله ، وذلك لان المصيبة في العراق غريبة عجيبة من نوعها، فليس هو طاغية مستبد تزيله ، ولا مجموعة شياطين مخابرات ، بل هو غزو صفوي شرس ابتداعي شعوبي توغل في عمق الحياة العراقية ، وتلاحمت معه خمسة أحزاب طائفية لها أذرعة ضاربة قتالية تتمثل في (فيلق بدر) الذي اسسته ايران منذ ثلاثين سنة ، وصار الجندي فيه ضابطاً يقود (جيش المهدي) الآخر المولع بقطع الرؤوس لو أن القارئ يتذكر بيانات الشرطة في الاخبار قبل ست سنوات ، مع مليشيات اخرى ، و (لواء العقرب) الطائفي التابع لوزارة الداخلية ، والوية اخرى وحشية في ممارساتها ، حتى اني كنت اجلس في سيارتي ذات يوم عند مدخل منطقة (العامرية) السنية الجهادية ، فقال لي سائقي: يا استاذ انظر هذا الباص ، واشار الى حافلة متوسطة الحجم. فقلت: لا أرى شيئاً !! قال: ارفع رأسك وانظر العجب: واذا بالحافلة فيها ما يقرب من عشرين جثة ، كل جثة جالسة على كرسي ، لكنها كلها بلا رؤوس ، فتخيل بشاعة منظر رجال مقطوعي الرؤوس ، وإنما وضعوا الحافلة هناك تهديداً ، لتكون درساً لبقية سكان العامرية أنهم ستقطع رؤوسهم ايضا. واغتال جيش المهدي شيخاً من خطباء المساجد اعرفه بالعلم والفضل ، فلما استلم اصدقاؤه جثته وجدوه منزوع القلب ، وحدثوني بذلك ، ورأيت صورته صدره مشقوق

فارغ . . !! وأما أخبار الشرطة التي كان تذاع فاني سمعت ما لا يقل عن عشر بيانات يومية تقول: وجدت الشرطة في ساحة كذا ببغداد مائة رأس مقطوع ، وأكثر ، وأقل قليلا. فتأمل.

• ونجحت الخطة الصفوية واعمال المخابرات الايرانية في إخافة اهل بغداد من اهل السُنة والجماعة بمثل ذلك ، حتى هاجروا وتركوا أملاكهم وبيوتهم ، فصارت بغداد منذ سنوات ذات أغلبية شيعية. ثم حصل تضييق عام ، بحيث ترسل الحكومة الف طالب بعثة ليس فيهم غير سني واحد ، وكل المشاريع التنموية التي تتبرع بها اليابان وامثالها إنما تبنى في المحافظات الشيعية الجنوبية أو المنطقة الكردية ، ومحافظات أهل السنة محرومة منها ، وحصل تضييق في الارزاق ، ومازال رجل الاعمال السني محاصراً بشروط صعبة ، ثم شاع الزواج المؤقت بين عضوات الأحزاب الطائفية بفتوى (المتعة) وفي الجامعات بخاصة، بحيث زاد التردي الاخلاقي ، وامثال ذلك من انواع السوء ، والمصيبة ان الدول العربية وغيرها لا تفهم ما يجري في العراق ، وقبلت ان تساعد الاحزاب الطائفية، بتزكية اميركية ، والكويت بخاصة ، فإنها اسرفت في دعم الغزوة الصفوية بالمال الكثير وغيره ، وقَطَر خائفة قاعدة عن النجدة، وبقية الخليج سادر في لهوه ورفع أبراجه ، وليس لنا غير الله !!

❑ فحال مثل هذا في العراق انا أول من يقول: ان (نظرية التغيير) المشروحة في هذا الكتاب لا تليق له ، ولا يمكن أبداً حصول ثورة على النمط التونسي او المصري او اليماني ، والاحزاب الطائفية العراقية اليوم مشغولة باسناد الحكم النصيري في سورية وتشترك مع حزب الله اللبناني وجنود نصر الله في ضرب المتظاهرين ، ولكنني اقول: انا معروف بذم التقليد ومدح الاجتهاد والابداع ، فالنظرية المودعة في هذا الكتاب، والتي هي عُصارة كتبي العديدة: لا تصلح لحالة العراق ، ولكن ثلاثة عقول ذكية عراقية دعوية تستطيع ان تجتمع مراراً وتدرس النظرية بعمق وتجري عليها تعديلات وإضافات ، وتضيف من الشروط ما يلائم الواقع العراقي ، وتستعمل القياس والاستنباط وعلم النفس وعلم استشراف المستقبل ، ثم تخرج بنظرية مُعدَّلة جديدة، بركنين: ركنها الأهم: إثارة المجتمع الشيعي

من داخله ، بحيث تتم توعية شبابهم أن لا يسيروا بعيون مغمضة وراء هذه العمائم الرجعية ، وان يفهموا مداخل الحضارة والمدنية والحياة المعاصرة العلمية ، فيبادروا هم الى تصحيح الوضع من الداخل ، ويرفعوا شعارات بسقوط حكم الحكيم ، وقهر الصدر ، وظلامي السافكي ، وأصباغ صولاغ ، وقد آن للشباب الشيعي الصاعد من الجيل الجديد أن يتبرأ من الجيل القديم المتوتر المتشنج ويصحح صورته ، فإن الظلم لا يدوم ، وعاقبته وخيمة ، وانتقام الله يأتي من حيث لا يحتسبون.

● أما الركن الثاني: فعمل اهل السنة أنفسهم ، بأن يجتمعوا بعد التفرق ، ويتركوا علاوي وأمثاله ، ويختاروا قيادة من أنفسهم من اهل الدين والعلم والماضي النظيف والروح الجهادية ، ورأس ذلك: أن يلوذوا بخطة بناء الفدرالية السنية ، لانها آخر حصن يحتمي به أهل السنة تجاه الزحف الطائفي ، وكنتُ أنا منذ سنوات اقوى الدعاة لتكوين هذه الفدرالية ، ولكن وقف حزب البعث ضدها ، وقلّدهم الشيخ حارث الضاري فرأى حرمتها وأنها تعني تقسيم العراق ، وهذه حجة كنا نراها قبل تكوين الفدرالية الكردية وجاهزية المحافظات الجنوبية لتكوين فدرالية شيعية عند الضرورة ، اما الآن ، وبعد أن بنى الاكراد فدرالية ستتحول الى دولة مستقلة قريباً ، وبعد أن تبرأ البرزاني من اهل السنة وخذلهم ورأى الوقوف على الحياد امام الغزو الطائفي لمناطق اهل السنة ومنع الحكومة لمحافظات صلاح الدين والانبار من اعلان الفدرالية ، وهذا تخلٍّ عن المبدأ الاخلاقي السياسي في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر المظلوم: أقول: اما الان ففدرالية اهل السنة هي الحل الوحيد ، وأنا أؤيد قيامها ، وحارث الضاري ومَن معه في هيئة العلماء كلهم أراهم على خطأ، ولم يوفقوا الى اجتهاد سياسي يليق للمرحلة ، بل وقعوا في التقليد ، وأنا أطلب من كل المجاهدين الاشاوس الذين قاتلوا المارينز بشجاعة وانتصروا عليهم وارغموا اميركا على الجلاء ان يستمروا في حمل اسلحتهم ، دفاعاً عن الفدرالية السنية وحماية لارواح الناس واموالهم وأعراضهم ، وادعوا العرب جميعا حكومات وأفراداً ان يفهموا ذلك ويؤيدوا هذه الفدرالية بالدعاية والمال والضغط على الدول الكبرى والدول الاقليمية ، وواهم من يقول: ان هذه دعوة لحرب أهلية ، بل هي عملية دفاع عن النفس والعرض

والعقيدة أمام غزو صفوي ظالم ، فإن أصروا على تسميتها حرباً أهلية وأرادوا عدم حصولها: فليضغطوا إذاً على الحكومتين العراقية والايرانية لترفعا القبضة الحديدية على المناطق السنية.

• والمفروض أن السياسي المسلم يكون واعياً ومفتوح العين حين يعالج القضايا ، والقضية العراقية بخاصة ، لأنها معقدة أشد التعقيد ، وكنا قد استغربنا مع المستغربين سلوك المالكي في ممارسة جولة جديدة ضد أهل السنة فور وصوله من أميركا واجتماعه بالبيت الأبيض ، حيث ملأ السجون بالمعتقلين وأرعد وأزبد ، وكان صولاغ قد صرّح قبل شهورٍ بأن الثورة السورية اذا نجحت فإن المعركة ستحسم على أسوار بغداد ، وما كنا نفهم السرّ الكامن وراء اندفاع المالكي في امتحان أهل السنة مجدداً، واستطعنا فهم تهديد صولاغ نصف فهم ، ولكن مع الأيام تكشفت الأسرار، من خلال أحد كبار المحللين السياسيين في أميركا إذ قال بأن أميركا حريصة أيضاً على زوال الحكم السوري ، وأنها عقدت اتفاقاً مع إيران على أن تأخذ منها سوريا وتعطيها بدلاً عن ذلك العراق ، وخوّلت أميركا وإيران المالكي بتنفيذ إلحاق العراق بإيران رسمياً ، وهذا مثال على خفايا كثيرة في السياسة وضرورة فتح العين وتركِ النظر الساذج ، وهذا يعني أن الخندق الأهم في الأمن العربي الاستراتيجي أمام الزحف الشعوبي قد ضاع من أيدي العرب ، وعلى مرأى منهم ومسمع وعلى قدرة في أن يتدخلوا لإبقائه في يدهم ، ولكنهم تخاذلوا وأطاعوا الرغبة الأميركية ، فواحزناه، وواخسارتاه ، ووافضيحتاه أن تكون الأصنام العربية بأجمعها ساجدة للصنم الأكبر حتى إذا داس على جباهها ، ولمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ ، وفي مثل هذا اليوم يجوز أن نترنم بشكوى شاعر العرب المعاصر عمر أبوريشة (١٩٠٨- ١٩٩٠):

أُمتي كم صَنَمٍ مَجَّدَتْهُ

لم يكن يحمل طُهر الصنمِ

رُبَّ وامعتمصاه انطلقت

ملءَ أفواه الصبايا اليُتَّمِ

لامست أسماعهم لكنها

لم تلامس نخوة المعتصمِ

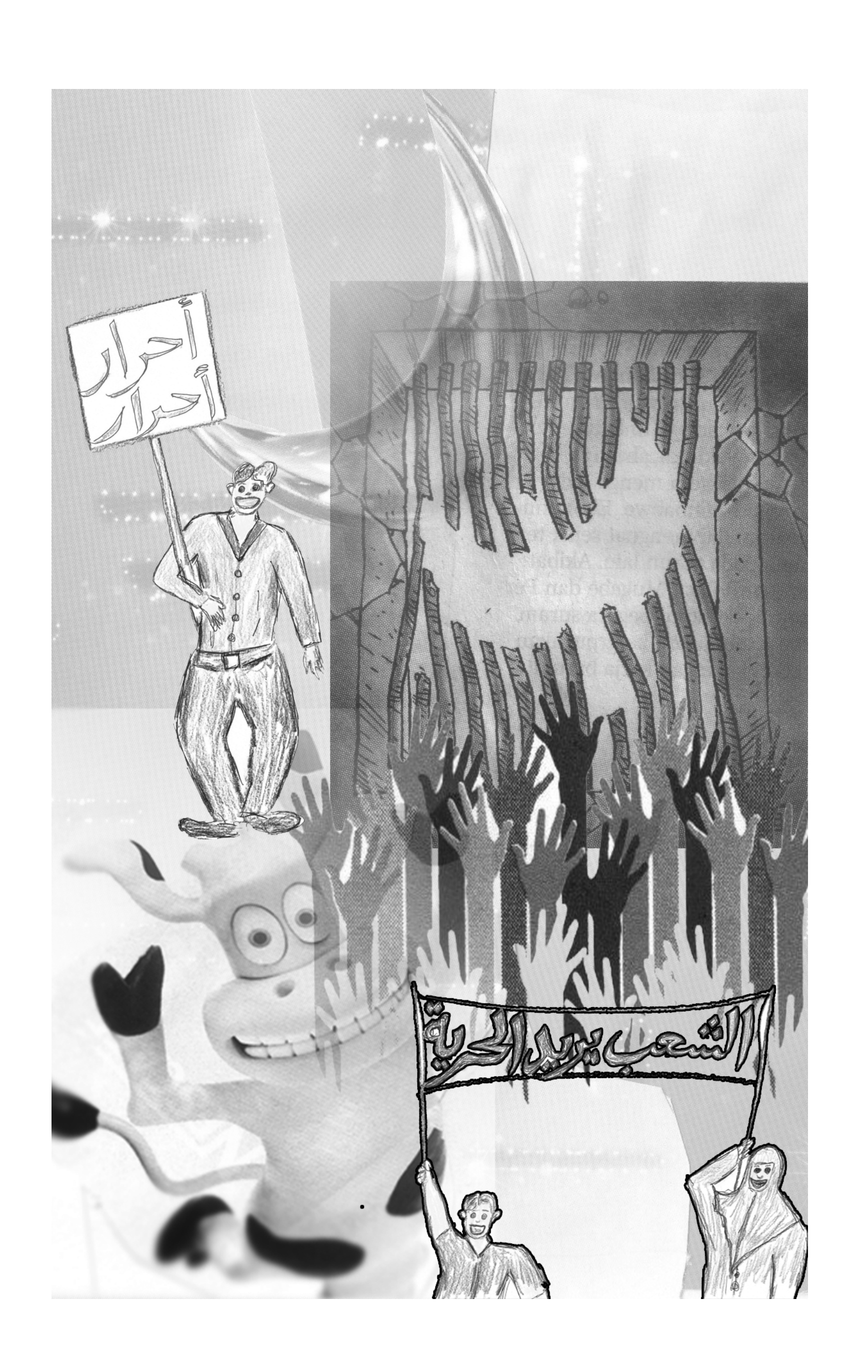
• فيؤسفنا جداً ان ننعى العراق . . .

لا عراق بعد اليوم . . . كان شيءٌ اسمه العراق ، وكنيته: خلاصة الحضارات . . ثم تبدلت الخوارط والأطالس . . . .

العرب اليوم أمام سايكس بيكو جديدة . . . .

بسلامة الغُتَرِ البيضاء واليشامغ الحمراء . . . والعُقُل السوداء . . . .

• إنما البشرى أن نقول: إن نجاح الثورة السورية سيعني حتماً نهاية الحكم الخميني في إيران ، فانها تغلي وتنتظر سقوط طغاة سوريا ، وكان التيار الاصلاحي يحوز نصف الشعب ، أو نصف الفرصة ، ولكن مغامرات احمدي نجاد في مضيق هرمز أخافت الشعب وتوقع الكل فترة مظلمة ، وقاسوها على مغامرات صدام ، فانحاز اكثر الشعب الان للتيار الاصلاحي، وسيفوز في الانتخابات بحول الله على الرغم من تخلّي دول الخليج عنه وقعودها عن أمر فيه مصلحتها ❑❑❑


أحرار
أحرار
الشعب يريد الحرية

١ مَنطِقُ فِقهِ التغيير

❑❑ أول العلامات التي تميز نظريتنا التغييرية ، وأهمها ، وأبعدها في التأثير في مواقفنا وصياغة منهجنا واختيار حروف مقولاتنا: أننا قوم أسرى الشرع وفقه الحلال والحرام وقواعد الإيمان ومغزى التوحيد ، فنحن مسلمون ، عَزَمنا على الانقياد لإرشاد الدين الاسلامي ، ونتقيد بالفتوى ، ولكننا لا نقلد ، بل نجتهد ونستنبط الاحكام الملائمة لحاجة العصر ، فأعمالنا السياسية إسلامية ، وثورتنا إسلامية تقيدها الاوصاف الفقهية الصارمة ، وإنما نطلب المرونة في حالات الحرج والضيق ، ركوناً الى المصالح الراجحة ، وسد الذريعة الى العنت والارهاق ، والتماس التيسير بتأويل الضرورة.

وهذا ما ترجمتُه في النونية العِزّية فقلتُ:

رأسُنا يَسْتنبطُ الحُكمَ لنا — حلُّهُ يقفو اجتهاداً مَرَنا

نَتْبعُ الفُتيا إذا مَالت إلى — نوعِ تسهيلٍ يُوَفِّرْ أمْنَنا

حكمةُ التيسير أوفى حكمةٍ — قَبُحَتْ فتوى أقَلّتْ فِتَنا

قِسْ وقارِن وانتبه إذ رُبّما — ضُمِّنَ النصُّ الفُروقَ الكُمَّنا

مِن لِقا عَقلين تُرجَى القِدْحَةُ — مَنطقٌ لاقى حِواراً سَنَّنا

نَدرسُ الأحوالَ في مَشْوَرَةٍ — ثُمَّ نُصغي لخبيرٍ أتقنا

راجَ رأيٌ صاغَهُ جَمْعٌ زَكا — شاوروا ثم رَعوها سُنَنا

دَعْ بَراهِينِي تُناجي العُقَلا قُلَّبٌ أوْ دُوَلٌ أزمانُنا
نحنُ نَدعوكَ لِفِكرٍ وَسَطٍ قُمْ فصافح ، وانطَلِقْ: هَيّا بِنا

• إذاً: هناك قيد شرعي يقيد سلوكنا ، وأخلاق ، وعندنا حدود نقف دونها لا نتعداها ، وهذا ما يميزنا عن ثائر آخر علماني الفكر لا تقيده مذاهب الفقهاء.

• والأصل عندنا: التغيير السلمي الذي لا يرفع سلاحاً ولا يريق دماً ، فهذا الاسلوب هو المقدم والأول والأساس ، وحرام أن نلجأ الى عنف واستعمال قوة مادام ممكناً ويوصل الى النتيجة المبتغاة ، والمنطق العقلي يؤيد ذلك ، والتجربة ، ومن دلائل التقوى في الميزان الإيماني: الحذر من إراقة دم بلا سبب اضطراري ، ونريد أن نقف يوم الحساب في ديوان رب العالمين: أبرياء من كل تبعة ، أنقياء ، وبذِمّة غير مشكولة لا تحمل أذى أو تبعة.

• ونصوص الشرع المشيرة الى الطبيعة السلمية في العمل كثيرة وافرة ، وجعل الفقهاء الرفق شرطاً في الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، وقول الله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة): ركن في وصف السياسة السلمية الاسلامية ، والجدل بالتي هي أحسن: وصية قرآنية أخرى ، وآية (وجاهدهم به جهاداً كبيراً) أي بالقرآن: هي عنوان مرحلة من الجهاد الاسلامي بالحُجج والبراهين تسبق الجهاد بالسيف ، والله تعالى أمر موسى وهارون بأن يقولا لأعتى ظالمٍ فرعون: (قولاً لينا، لعله يتذكر أو يخشى).

• وليس هناك عاقل يرضى أن يحرك السيف إذا كانت أساليبه السلمية تحقق له المراد من رفع الظلم وإشاعة العدل.

• إنما موطن الخلاف هو عند استبداد الظالم واستمراره ورفضه الانصات لقول الحق والحجج ورده باعتقال الناهين عن منكره وسجنهم أو قتلهم ، فهنا يأذن الشرع باستعمال القوة ضد الظالم وجُنده ، وستأتي الاشارات الفقهية المسوغة لذلك تباعاً ، والمنطق العام عند كل الأمم يجيز ذلك أيضاً ، وحتى بوش اعترف علانية بحق المقاومة العراقية في قتال جيشه

الغازي.

• ولذلك ومنذ أيام مبكرة في تاريخ الدعوة قال الامام حسن البنا في رسالة بين الأمس واليوم سنة ١٩٣٤:

(والحكومة التي لا ينفع معها النصح والإرشاد: ينفع معها القلع والإبعاد).

ومع أن الذي يسبق الى الذهن أنه هنا يجيز استعمال القوة ، والأمر كذلك، إلا أن الشق الاول من الشعار يتضمن الإقرار بأولوية اسلوب النُصح والارشاد ، أي الطريقة السلمية ، وسيرته في رفع الطلبات الاصلاحية الى الحكومات ووعظها تشهد لهذا الاستنتاج في تقديم العمل السلمي ، وبذلك نؤمن.

• غير أن مذهب السيف: مذهب قديم معروف في السلف كما قال ابن حَجَر، وشرحتُ قوله فقلتُ:

(فتح الإسلام باب الايجابية الاصلاحية واسعاً ، فلم يشترط وقوع المتخبط في الكفر للإذن بنهيه ، إذ ربما كان ذكياً يتحاشى كلمة الكفر الصريحة ، بل يكفي أن يقوم الدليل عند شهود من الفقهاء على انه ظالم جائر فاجر ، ليكون انتزاع الدَور منه، وقد أقحمَ بعض الدعاة أنفسهم فيما لا يعنيهم وجلسوا قضاة ، وألزموا أنفسهم ما لا يلزم ، وكان يكفيهم أن يعلموا أن في مجرد الفجور والحكم بغير ما أنزل الله إدانة تامة وإذناً بالتقويم. وكان من السلف أقوام يرون السيف ، منهم المحدث الحسن بن صالح حيّ الكوفي ، فضعفه البعض من أجل ذلك ، فاعترض ابن حجر اعتراضاً قوياً، وقال: " قولهم: كان يرى السيف ، يعني ، كان يرى الخروج بالسيف على ائمة الجور ، وهذا مذهب للسلف قديم ".)[1].

ومنْع الفقهاء لذلك بسبب حصول مفاسد أحياناً في صورة قتل كثير ، ولذلك قلتُ في تعقيبي بعد كلام ابن حجر: (فالمنع طارئ، بعد ظهور إساءة أداء هذا الواجب ، أو بعد تسارع الثقات الى عَجَلة وتهوّر ، او نزوع اهل الاهواء اليه بلا شهادة الفقهاء، وسيبقى صواب العمل بهذا الرأي مشروطاً بشروط الموازنة المصلحية ، وشأن كل واجب شرعي أن يوزن بهذا الميزان ، فتُسدّ الذرائع عند نشوء فساد مقترن بتنفيذ أمر واجب أو

(١) المسار/٣٠٤ طبعة دار المنطلق / الفصل ١٧ ، وقول ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢ /٢٨٨

مندوب ، وتُحتمل عند ذاك المفسدة اليسيرة لدرء المفسدة الكبيرة ، وأما تقويم ظلم الفاجر بفتوى العدول ، وحيثما لا يقترن بمفسدة أكبر: فهو المذهب السلفي الأول المستفاد من مجموع الآيات والأحاديث.).

وتكلمتُ في المسار عن ضرورة (تأكيد الطابع التغييري للدعوة ، برفض الواقع الموجود ، ودعوة الناس للرفض ، ثم بطرح برنامج مُفصّل بديل يفترض عجز الحكومات القائمة عن تطبيقه لعدم صلاح رجال جهازها ، وضمور خلفيتهم الاسلامية ، وبرود مشاعرهم الايمانية ، فتجتمع هذه الحقائق اللاصقة بشخصياتهم لتؤسس قناعة بضرورة تطبيق هذا البرنامج بواسطة الدعاة أنفسهم وبأيديهم ، مما يُحتِّم إقصاء العجزة أو الحجر على الفجرة ، ليتولى الدعاة أمر الأمة.)[1] .

وقال الإمام البنا في المؤتمر الخامس: (لن نعتمد على الحكومات في شيء ، ولا تجعلوا في تربيتكم ولا مناهجكم ذلك ، ولا تنظروا اليه ، ولا تعملوا له ، واسألوا الله من فضله.) ، وقال بعد أن نبّه الدعاة الى ضرورة الاستعداد أنهم (سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عُدة الايمان والوحدة.). وافترض في الدعاة أن يكونوا (أعمق فكراً ، وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الاعمال والفِكَر ، فلا يغوصوا الى أعماقها ، ولا يزنوا نتائجها) ، والجماعة (اذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال ، مضطربة النظام ، أو ضعيفة العقيدة ، خامدة الإيمان ، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك) والقاعدة في ذلك: (أن اول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح ، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعا.).

فهذا كلام صريح في أن الامام البنا إنما ينكر التهور والمجازفة غير المحسوبة ، وأما أصل نظرية التغيير بالقوة إذا فشل الطريق السلمي: فإنه يقبلها ويقول بها ، وفي نص آخر يصرح الامام ان الاخوان لا يؤمنون

---

(١) المسار/٢٨٤ فصل ١٦

بالثورة ، فحصل بذلك سوء فهم البعض لتصريحه ، وكأنه يمنع استعمال القوة في كل الاحوال ، وليس كذلك الأمر ، والسياق لا يسمح بهذا الاستنتاج ، وإنما هو يعني الثورة على النمط التخريبي واشاعة الفوضى وحرق الممتلكات والهدم والطيش ، على النحو الذي مارسته الاحزاب الشيوعية ربما ، ويبقى تنظير استعمال القوة صحيحاً في الفقه القديم وفي الفقه المعاصر الدعوي معاً ، واقوال الامام في المؤتمر الخامس هي الدليل والأساس لاجتهاد الشيخ القرضاوي في ذلك ، مما اسلفنا ذِكره ، ولاجتهادي في المسار وغيره، واجتهاد نخبة واسعة من الدعاة ، منهم الشيخ مناع قطان رحمه الله في الندوة الذهبية التي أوردتُ خبرها في كتابي " أصول الافتاء والاجتهاد في نظريات فقه الدعوة " ، والشيخ علي جريشة ، وغيرهما ، والذي يمنع التغيير بالقوة هو الواهم مهما تقلّد من مناصب دعوية ، بل هو المحرّف المبدِّل لكلام الامام البنا والطامس لظاهر المعاني الصريحة التي قصدها ، فنظريته ثورية واضحة ، ولكنها غير متهورة، ولا هدّامة ، ولا تتوسع في الدماء ، وهذه شروط صحيحة أوردها الفقهاء وبها نقول ونمارس الثورة في حذر وبنوع تقوى ورقابة أخلاقية واساليب مدنية حضارية تنموية نبعد بواسطتها عن الارتجال والتخريب والطيش ، وقد قال بمثل قولنا كبار الفقهاء القدماء ، ونحن لهم نتبِّع وبتخريجاتهم نستأنس وعلى طريقتهم نجتهد ، كما ستبينه بقية الكلام في هذا الفصل وما يليه ، والذي يمنع التغيير بالقوة ويسمح بالاصلاح السلمي فقط إنما هو صاحب عقلية تقليدية محضة ولا يعرف الاستنباط والقياس والنظائر ، ولم يُحِط بإفتاء الفقهاء ، وبينه وبين الإبداع مسافة ، ويجهل مُكنة الاشتراط ودورها في تصحيح الاحكام والنظريات ، وكأنّ حاسته المقاصدية ضامرة ، ومقارناته بين درجات المصالح ضعيفة ، ولو أنه يرجع الى فقه العزّ بن عبدالسلام واجتهاد الجويني إمام الحرمين وتخريجاتهما الاصولية والقواعدية لنظرية التغيير لكان أولى له ، ولكن الفهم السليم منحة ربانية ، ومَن لم يُرزق الذكاء الوافر يسلك درب الجمود ويجنح الى نَمَطٍ خاثر ، والذي لا ينتبه لميكانيك حركة الحياة يعسر عليه تصور سُنن التطور وجاهزية دعاة الاسلام لقيادة الاحرار ، وقد قلتُ في " المسار":

(ان كل بلد اسلامي زاخر بكثرة هائلة من الاشخاص الثقات الذين

يرغبون ان يقودهم أحد لتحقيق حكم إسلامي ، ومازالوا سائبين حتى الآن ولم تصلهم أيدينا ، لا لنقص في شخصيات الدعاة ، ولكن الطرق الضيقة والوسائل المحدودة التي تضطر الحركات الاسلامية لأن تلجأ إليها في مراحل التأسيس هي القاصرة عن جلبهم ، وهم بانتظارنا ، وسيلتحقون بنا عند نزولنا الى الميدان السياسي) (وسيكون التوسع السريع المفاجئ في عدد الجماعة بعد مدة قصيرة من ممارستها السياسية هو خير وقاية أمنية لها . . .)[1].

(وللأذان نبرة ثالثة ترفعه الرؤوس القيادية الظاهرة ، إذ نغمتهم مميزة ، وهي بالسحر اشبه) (وقادة آخرون يمارسون التحدي البطولي ، على طريقة الاولين ، فيختارون انفسهم للفداء ، ويعزمون على الموت ، فينقلون ارتباطاتهم الحركية الى خَلَف يعوّض، ويودعون أزواجهم وأبناءهم وإخوانهم، ويقذفون بأنفسهم في المعمعة. ان القول اللين الذي يتذكر به الفاجر أو يخشى قد يليق لما قبل هذه المرحلة ، والله تعالى الذي أمر موسى بمثله: أمر محمداً عليهما الصلاة والسلام بأن يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم.)[2] ، بل موسى هو الذي قال في النهاية بعد اللين: " وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ".

(هكذا هي الانعطافات المهمة: نضوج ظروف تستغلها الجمهرة الاسرع تحركاً ، الموجهة من قبل قيادة أكثر كفاية ، وواجب اللجنة السياسية: اكتشاف الارهاصات الاولى لهذا الاستعداد في وقت مبكر.) (فإنّ من لا يرى إلّا المكان الذي يقف فيه، وإلّا اليوم الذي يعيش فيه: يسبقه السابقون ، إذ الحياة كلها طموح.).

(ان الحسم مقيد بشرطين مهمين: كفاية القوة ، عدداً ونوعاً ، بمقدارٍ تُرجّح الفراسةُ معه ظن النجاح. وملاءمة الظروف ، بحصول وعي لدى قطاعات واسعة من الناس وقناعة بضرورة التغيير ، وارتباك المستبد أو غفلته، وتنامي الإحساس بوطأة الظلم أو الكبت السياسي او الفوضى

---

(١) المسار/٢٨٠ فصل ١٦

(٢) المسار / ٢٦٠

الاقتصادية او التناقض الفكري ، وكل تصعيد يتجاهل أحد هذين الشرطين لا يعدو ان يكون فورة عاطفية لا تقوى على الصمود ، وفي كثير من الاحيان يكون من الواجب أن نُدخل في هذا الحساب احتمال نجدة الخصم من قبل دولة أخرى.)[١] ، كمثل نجدة إيران وحزب الله اللبناني وجيش المهدي العراقي لحاكم سوريا لما تطورت الثورة السورية الى تهديد حقيقي لحكم النصيرية.

وكتاب المسار في عمومه إنما هو نظريةٌ تغييرية كاملة إذا صبر القارئ على لأواء فهمه بعمق وتدبُّر ، ولكن البشر ينسى ، فنضطر لتأليف نظرية تغيير بإخراج آخر وسياق أفصح.

ولكن تداول معنى استعمال القوة لا يعني أبداً أولويتها ، أو الفرح باستخدامها ، بل ضرائبها كثيرة ، ونكره ذلك ، ولا نقاربها إلاّ في حالة الضرورة القصوى ، والأصل الأصيل هو الطريق السلمي والاعتراض الفكري والضغط الثوري الأبيض ، وقبول سقوط شهداء ، لأن التطورات المدنية المعاصرة وتنامي تأثيرات الإعلام من خلال القنوات الفضائية والانترنيت: جعلت الضغط حقيقياً ، والمشاركة الجماهيرية واسعة، فيحدث المطلوب ولابد إذا طال صبر الثائرين ، وكل دم يراق يحقق بعض جزء من النصر ، والسلاح الحقيقي اليوم هو الإعلام الفضائي ونشر الفكر والوعي الاقتصادي والتنموي والسياسي ، فإن هذا السلاح المتطور المسنود بملايين الكمبيوترات في أيادي الناس والشباب بخاصة هو أقوى من القنابل الذرية، وليس أقوى من البندقية فقط ، ونظرة تأملية فيما فعلته قَطَر بسلاح " الجزيرة " من تحطيم طواغيت وإذكاء وبعث الروح الثورية في العرب والعجم: تجعلك تؤمن تماماً ان طريق الضغط السلمي هو الخيار الأول والأقوى ، ونحن دعاة الإسلام الأمهر من غيرنا في استعمال التأثير الفكري والمعنوي ، لاننا نتداول الفكر بكثافة ، ونطبق مناهج تربوية في تطوير أنفسنا ومن يحيط بنا وجمهور المصلين ، وقد انجزنا ثورة ثقافية اسلامية بنجاح ، ثم نحن بسبب تلاوتنا القرآن الكريم وتداولنا لكتب الفقه والتراث: أفصح من غيرنا في اللغة العربية التي هي لغة عاطفية شاعرية غنية

(١) المسار/ ٢٢٩ فصل ١٣

بالمجاز والتشبيه والمثير من البيان البلاغي ، وبذلك حصلت لنا كتلة لغوية تمنحنا المقدرة على إلهاب القلوب وتحريكها وتأجيج الحماسة والهيام بالجنة وعشق الحرية ، ولذلك لا نحتاج القوة السلاحية أصلاً ، وإنما هو إقرار تخطيطي افتراضي فقط اننا إذا وجدنا الطرق السلمية مغلقة ، كما حصل في ليبيا: فإن طريق القوة هو البديل.

الحكيم لا يريق الدماء بدون ضرورة . . .

ولدينا كتلة فكرية ولغوية تغنينا . . .

ونملك كتلة عقلانية ومنطقية تكفي للحسم . . .

فلماذا ندفع ضريبة . . . ذاك لزوم ما لا يلزم . .

❑ القرائن والدلائل العملية على مذهب الامام البنا في تجويز استعمال القوة

▫ والاستنتاج الفطري يشهد بأن استعمال القوة حق مشروع للمظلوم ، قبل ان نطلب موقف الشريعة والقانون ، ويتوجه السؤال ببساطة الى حالة طغيان الحاكم وإسرافه في القسوة والقتل وتعذيب الاحرار بشكل بشع: مَن الذي أعطاه وخوّله هذا الحق في العلو والجبروت ودعوى: " أنا أُحْيي وأُميت " ؟ ؟

لا أحد ، فالله عَدل لا يحب الظلم ، وعباد الله أعقل من تفويض أحد يتلاعب بمصائرهم وبحصد أرواحهم. . !

إذاً: إذا استعمل الحاكم سطوته ، فالمنطق يوجب منح المستضعف حقه في المنازعة والثورة على الحاكم المعتدي الذي تجاوز حدود عقد تفويضه بممارسة الحكم ، سواء بسواء . . !

والعقل ثقيل ، والخوف خفيف ، والدليل قوله تعالى: " فاستخفّ قومَه فأطاعوه ". ويقول المتسوّر المقحم لنفسه في ساحة الفقه: ليس ذلك ،

بل نريد ألّا تسيل دماء الناس فنفتي بالإذعان وهدر حقوق الانسان.!

وهذه مغالطة ، فإنّ القذافي قتل ستمائة وخمسين حراً في مذبحة الحرية في أبوسليم في ساعة واحدة ، وفي معظم الحالات: لو اننا نحصي من يقتلهم الظالم مباشرة أو بشكل غير مباشر خلال مدة حكمه فاننا نجد عددهم أكبر من عدد شهداءِ أية ثورة . .!

• ولذلك فإننا حين ننسب الى الامام البنا مذهب استعمال القوة ، ونورد الدلائل العملية والقرائن: فان ذلك هو فخر به وبفقهه وإدراكه الفطري السوي لشروط الحرية، والذي يجعل ذلك إدانة وتهمة له إنما هو الذي يدلس على الناس ويتهم الاحرار بتهمة " الارهاب " و " التطرف " و " العنف " ، وهي تهم تخرج من فقهاء المخابرات مهما طالت اللحى ، و " الاسلام الوسطي " الذي هو دين الأحرار يذهب الى صواب كل اجتهاد تشهد له آية قرآنية أو حديث صحيح أو اجماع ، وبحمد الله فإن وسطيتنا متجانسة متوازنة مع اقوال جمهور الفقهاء في كل الأجيال ، وكل من يرغب في نهضة الامة فعليه أن يرضى بإزاحة الحجارة والعوائق وعناصر السوءِ الفاسدة التي أرهقت المصلحين وبُناة الحضارة. ولو جلس القذافي ومبارك وبن علي وعلي صالح والمستخفي وراء قناع الأسد في بيوت أمهاتهم: أكان بمقدورهم أن يكونوا حكاماً؟ أم أنها المغامرات والتحالفات الخفية مع الدول الاستعمارية واسرائيل هي التي أوصلتهم وهي التي تحرسهم؟؟

• وبذكاء القيادي المبدع صاحب الفراسة المستقبلية الوافرة: جمع الامام البنا ما تساقط من سلاح الطرفين في معركة العلمين سنة ١٩٤١ ، واستخدمه لاحقا في جهاد الاخوان في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبقيت منه بقية كانت تحت تصرف الضباط الاحرار في ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وهذه اول القرائن.

• ولما انضم الصاغ محمود لبيب الى دعوة الاخوان: طلب منه الامام البنا إنشاء تنظيم الضباط الاحرار في الجيش المصري ، ففعل ذلك بنجاح وشمل تنظيمه عبدالناصر والسادات ، ولكن الصاغ رحمه الله مات قبل

الثورة بستة أشهر ، فاحتل عبدالناصر مكانه ، في قصة معقدة ، وساعدت عبدالناصر محنة الجماعة آنذاك ، وخلافات وانشاقات.

• وكذا فعل الأستاذ صلاح شادي في البوليس ، وذكر ذلك في مذكراته.

• وأنشأ الامام الجهاز السري الخاص للمعاونة ، في خطوة يصححها البعض ويرى البعض الآخر فيها الخطأ ، ولكنها قرينة.

• وشارك عبدالحكيم عابدين عضو مكتب الارشاد في انقلاب آل الوزير على الامام يحيى حاكم اليمن سنة ١٩٤٨.

• وقاتل المجاهدون من الاخوان في معركة فلسطين عام ١٩٤٨، وتكونت أكبر مجموعة جهادية عالية الخبرة العملية ، وشهد اللواء المواوي قائد الجيش المصري بشجاعتهم وبطولاتهم ضد اليهود ، ثم أَخَذَهم الملك فاروق من معسكرات الجهاد الى السجون ومعسكرات الاعتقال ، وكان الامام البنا قد أرسل ثلة من الاخوان الى جهاد فلسطين اثناء ثورة ١٩٣٦ ، ورأيت وشافهت أحدهم في الكويت سنة ١٩٧٢ ، وهو الشيخ عبدالخالق، وكان إماماً في مسجد ، وهو والد الشيخ السلفي عبدالرحمن عبدالخالق.

❑ فهذه أفعال لو جمعتَ بعضها الى بعض يتكون دليل قطعي على ان الامام البنا كان يريد الثورة على فاروق ، ولكن مقتله أعطى مجالاً لعبدالناصر وبقية الضباط الاحرار أن يفعلوا ثورة بديلة ، وأخبرني الاستاذ محمد فريد عبدالخالق عضو مكتب الارشاد ، وهو قديم مخضرم واسع الثقافة أنه خرج هو والامام البنا من اجتماع عند منتصف الليل سنة ١٩٤٨، فاوصلهم سيرهم الى الكوبري الذي يصل ساحة التحرير بجامعة القاهرة ، اي كوبري قصر النيل ، وقد تم وضع تماثيل أُسُود عند المدخل، وغطيت بالقماش تنتظر افتتاح الملك لها رسمياً ، فكشفت الريح عن مخالب احد الاسود ، فقال الامام لمحمد فريد: انظر ، هذا التمثال محجوب ، ولكني أجزم بأنه أسد ، لأني أرى مخالبه وإن كنت لا أرى جسمه ، وكذلك حال الاخوان ، كشفت معارك فلسطين عن ان لهم مخالب مهما أوصينا بالكتمان ، وأنا أخاف أن تضربنا الحكومة، فإن

أميركا وبريطانيا وعموم الغرب قد انتبه لهذه المخالب الطارئة ، والمخابرات العالمية تحث المخابرات المصرية على ضرب الاخوان. وفعلا حدث ذلك وحصل مقتله رحمه الله ودخلت الجماعة المحنة . .!

❑ وفي فكر فقهاء الاخوان بعد الامام البنا شيء كثير واضح في الاقرار بأن استعمال القوة جائز عند انسداد الطريق السلمي ، وليس كل ما يجوز شرعاً يجب فعله ، بل هو إذنٌ وتصحيح لمن أراد أن يسلك طريق القوة ، والأمر متعلق بالظروف ومدى الاستعداد ، ومشروط بشرط رجحان الظن بأن فساداً أكبر من فساد المخلوع لن ينشأ، ولا نسارع الى تنفيذ كل ما هو مباح ، وإنما موقفنا السياسي نسبي ومرتبط بأمور موضوعية عديدة ، ومن أهمها: الجانب الأمني ، والقدرة ، وترجيح تحقق مصلحة ، ومن الخطأ أن يظن داعية ان عليه واجب الهجوم في كل حال ، بل يصبر ويناور الى ان تقول له الفرصة: أنا موجودة فتعال وصافحني . . !

• وأول مفكري الاخوان في الحوم حول معنى القوة: الشهيد سيد قطب ، واقواله في " معالم في الطريق " و " الظلال " كثيرة مشهورة ، ونحن في غِنى عن إيرادها ، بل حدثني الاستاذ محمد فريد عبدالخالق انه كان يفكر عمليا بحيازة سلاح ويحاول تدريب بعض الاخوان ، فأنكر عليه واعتبرها خطوة خاطئة ، ونهاه ، لعدم ملائمة الظرف ، وأنا كذلك أراها عين الخطأ.

• وألقيتُ محاضرة في الزمن القديم في بريطانيا ، واشترطتُ ان يكون الحاكم فاسقاً ظالماً لتجويز الخروج عليه ، إن لم نقل بكفره ، فكان من الاستاذ الداعية الفقيه السوداني جعفر شيخ إدريس تعقيب على قولي أهدر فيه حتى شرط الظلم ، وقال: بل الراجح أن مجرد الضعف وعجز الحاكم عن تحقيق مصالح الأمة والناس يجيز عزله والخروج عليه بالقوة ، ورأيه هذا موافق لاجتهاد الجويني مِمّا سنتداوله.

• وتداولتُ في كتاب " اصول الافتاء والاجتهاد " خبر الندوة الذهبية التي شارك فيها فضيلة الشيخ مناع قطان رحمه الله ، ورويتُ ميله الى تجويز تغيير الحاكم الذي لا يحكم بشرع الله ، وقوله (فكرنا سلفي ، في

العقيدة وغيرها ، وخاصة في التكفير، فإننا لسنا خوارج ولا معتزلة ، ونقول بفسق العاصي ، ونرجو له المغفرة ، وهذا هو الموقف الوسط ، والسلف لا يُكفِّرون الحاكم الظالم أو الفاسق ، وإنما يقولون بنصحه ، فإن لم يفد فالعزل ، واما اذا وصل الى الكفر فلا خلاف. وعندي ان هؤلاء الحكام وصلوا إلى درجة الكفر فعلاً ، ولم يقفوا عند الفسق ، ودليل ذلك: استقتالهم في وضع القوانين العلمانية.) (وقولهم: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ، وهذا يعني انه لا صلة للاسلام بالحكم ، ومادام الأمر وصل الى حدٍّ كهذا فالأمر كفر، والمعيشة في ظله تجعل المسلمين جميعاً آثمين ، والواجب الكفائي يدعونا لمنازعتهم.). (فالحكم من صميم الاعتقاد ، وإذا لم يكن الحاكم مكرهاً او مضطراً لعدم الحكم بالاسلام فكفره كفر اعتقادي. هذا ما يراه أهل السنة والجماعة وما تذكره النصوص).

(لكننا نفرّق بين هذا وخطة العمل ، فخطة العمل لا تبدأ من القمة ، أي لا نبدأ من منازعة الحُكام.) (ومشروعية الجهاد إنما جاءت بتدرج ، لذلك نتدرج نحن أيضاً ونجعل لعملنا مراحل ، فنبدأ بالتوجيه والتربية والإعداد.) (وأما موقف الحكام فهو موقف عدائي للحركة منذ بدايتها ، وهم دُمية يحركها الاستعمار ، وبالتجارب المريرة نخرج بفكرة أنهم لا خير فيهم ، وهُم يُختارون لتحقيق أهداف معينة ، وأول هذه الأهداف أن لا تقوم للاسلام قائمة.)

(لكن هناك شعور عند الشباب بأننا نسرف في الإبطاء ، وعلينا مراعاة شعور الشباب مراعاة معتدلة.) (فالشباب اليوم كثير منه نبت فطري ليس من نبت الاخوان ، وعلينا أن لا نضيعه.)[1].

وقد أيده الاستاذ المرشد عمر التلمساني رحمه الله في الذهاب الى تجويز التغيير ، ووجوب حفظ العِرق النابض في الشباب الاسلامي ، ولكنه احتاط فتخوف من تهورات الشباب ولجوئهم الى المفاصلة من دون المرور بمرحلة البيان والموعظة والمساعي السلمية للاصلاح ، ولاحتياطه وجهٌ

(١) اصول الافتاء والاجتهاد / فصل ٣٦

وسبب قوي ، فإنّ المجازفات في تاريخنا الدعوي حصلت مراراً ، ولابد من تقييد اندفاعة الشباب بتجربة وتوجيهات المخضرمين.

• وسابقة الثورة السورية على حافظ الأسد هي من هذا القبيل ، وكانت عملاً فيه استعجال وافتقر للواقعية والتخطيط السليم والتحضير الكافي ، وجاءت من دون التقديم لها بتوحيد صفوف الدعاة بعد اختلاف أرهقهم ، وللاستاذ منير الغضبان شرح طويل لملابسات الفشل ، وأنا معه وأصحح ملاحظاته ورواياته ، وما أنا بالغريب عن القضية ، بل كنتُ رئيس لجنة المصالحة بين الطرفين المختلفين ، ولكن هذه السابقة الثورية على الرغم من اختلافنا مع مَن اثارها في تصويبها أو تخطئتها: أيدتها الحركات في الأقطار من باب أنها أصبحت حقيقة واقعة ولابد من الانحياز لها في محاولتها إسقاط الحكم الطغياني ، فكان في هذا التأييد الدليل على أن قيادات هذه الأقطار تذهب الى جواز التغيير بالقوة ، وصار موقفها ذلك من جملة الادلة في المحيط الدعوي على الجواز والإباحة.

• ثم كتابات فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي في السنوات الاخيرة: صريحة واضحة في تجويز الثورة على الظالم ، كما نقلنا بعض قوله ، وهو كبير الفقهاء ، وداعية الوسطية ، وكما أنه لا يُفتى ومالك في المدينة: فإن حالنا ينطق بأن لا اعتبار لفتوى تخالف مذهب القرضاوي ، لا احتكاراً للعلم ، ولا تهوينا من شأن بقية العلماء ، ولكن لأنّ القرضاوي يمثل قول جمهور العلماء على تعاقب الاجيال ، وأنه إمام الوسطية ، وان رهطاً من أبرع العلماء في كل العالم يجتمع به ويحاوره في المجمع الفقهي الذي يتولى رئاسته ، ومازالت ساحة العلم في كل عصر تشهد حصول إفتاء شاذ مخالف لعُرف الجمهور واختيارات المذاهب ، أو ترينا تنطّع وعاظ السلاطين ، ولا عِبرة بذلك في الميزان أبدا.

لقد وجدتُ الاستاذ القرضاوي في ذروة الوعي حين قال:

(من الخطأ الظن بأن المنكر ينحصر في الزنى وشرب الخمر وما في معناهما.

ان الاستهانة بكرامة الشعب: منكر أي منكر.

وتزوير الانتخابات: منكر أي منكر.

والقعود عن الإدلاء بالشهادة في الانتخابات: منكر أي منكر ، لأنه كتمان للشهادة.
وتوسيد الأمر الى غير أهله: منكر أي منكر
وسرقة المال العام: منكر أي منكر.
واحتكار السلع التي يحتاج اليها الناس لصالح فرد أو فئة: منكر أي منكر.
واعتقال الناس بغير جريمة حكم بها القضاء العادل: منكر أي منكر.
وتعذيب الناس داخل السجون والمعتقلات: منكر أي منكر.)

(فهل يسع المسلم الشحيح بدينه ، الحريص على مرضاة ربه: أن يقف صامتاً ، أو ينسحب من الميدان هارباً؟). (وهذه التعبئة المستمرة للأنفس، والمشاعر ، والضمائر: لابد لها أن تتنفس يوماً ما في عمل إيجابي ، قد يكون ثورة عامة.).

(إن الحكم بغير ما أنزل الله – وإن لم يكن كفراً مُخرجاً من الملة لعدم جحود الحاكمين وإنكارهم لشرع الله – هو بالقطع حكم مخالف للإسلام، وحسب صانعه أنه رضي لنفسه أن يكون ظالماً وفاسقا. وهو ليس ظلم ساعة ، ولا فسق يوم ، بل ظلم مستمر ، وفسق دائم بدوام الحكم بغير ما أنزل الله ، ولهذا كان بقاء هذا الحكم منكراً بيقين ، وبالاجماع ، وكان السكوت عليه منكراً بيقين ، وبالإجماع ، وكانت معارضته ومجاهدته واجبين بيقين وبالإجماع). (فيتعين على أهل الحل والعقد – مثل المجالس النيابية تغييره بالوسائل الدستورية ، وإلا فبالقوة العسكرية ، أو الشعبية ، وبشرط الاستطاعة ، والا يؤدي الى فتنة أكبر.)[١].

- ولو شئنا لسردنا أسماء فقهاء من المعاصرين عددهم كثير وكلهم يصرحون بجواز الخروج على الظالم ، خلافاً لما يذهب إليه الوهابيون ، ولكنا لا نجد حاجة لذلك بعد اشتهار اجتهاد إمام الحرمين الجُوَيني كبير فقهاء الشافعية ، مما شرحه في كتاب " الغياثي " بإسهاب وهذّبناه في كتاب " الفقه اللاهب " ، وأصل رأيه أنه وجد الخليفة العباسي المعاصر له

(١) من فقه الدولة / ١١٧/٩٤

ضعيفاً ، ومصالح المسلمين مضيعة ، وللسلطان السلجوقي فقيه حازم ثقة هو غياث الدولة نظام الملك الطوسي ، باني المدرسة النظامية المشهورة ، فأفتاه بوجوب أن يعزل الخليفة ويكون هو الخليفة بدله.

ويبدأ الجويني بتقرير ضعف الخليفة فيقول:

(لو سقطت طاعة الامام فينا ، ورثّت شوكته ، ووهنت عُدته ، ووهت مُنّته ، ونفرت منه القلوب ، ومن غير سبب فيه يقتضيه، وكان في ذلك على فكر ثاقب ، ورأي صائب ، لا يؤتى عن خلل في عقل ، أو عَتَه وخبَل ، أو زلل في قول أو فعل، أو تقاعُدٍ عن نُبل ونضل ، ولكن خذله الانصار ، ولم تواته الأقدار ، بعد تقدم العهد إليه أو صحيح الاختيار ، ولم نجد لهذه الحالة مستدرَكاً ولا في تثبيت منصب الإمامة له مستمسكاً ، وقد يقع مثل ذلك عن مَلل ، أنتجه طول مهل ، وتراخي أجل. فاذا اتفق ذلك فقد حِيلَ بين المسلمين وبين وَزَر يستقل بالأمر ، فالوجه: نصب إمام مطاع ، ولو بذل الامام المحقَّق أقصى ما يُستطاع.)

ثم قال: (فامض يا صدر الزمان قُدُماً ، ولا تؤخر الانتهاض لما رشحك الله له.)[1]

فهذا الإفتاء هو أقرب ما يكون الى الفكر السياسي الدعوي المعاصر.

❑ الجمال سيُنقذ العالم

❑ إنما ما هو أكثر قرباً من القوة إلى الفطرة الانسانية والنقاوة الإيمانية: أن نعتمد في الاصلاح والتغيير على معطيات " النفس الايجابية " حين تتحرك بميزانٍ ومنهجية ، ودفع تربوي ، فإن عطاياها كثيرة ومنتجة ، ففي أول تحركها تقوم باختيار العزة والرفعة والاستعلاء ، فتضمن سيرها نحو الحرية، وعندها تتجسد جمهرة من المعاني الحضارية في العقل وتردفها جملة معانٍ عاطفية في القلب ، وربما يكون إسناد هذين الرافدين بنوع نظر مصلحي يتوخى جلب المنافع وسد الحاجات ويتولى تحقيق الكفاية

---

(١) الغياثي /١١٨/٣٣٩ ، وفي الجزء الرابع من كتابي اصول الافتاء أقوال أخرى للجويني ، ولغيره من الفقهاء القدماء ومن المعاصرين ، في مبحث شامل واسع.

وقطع الوسوسة والخوف من المجهول في الغد ، وبذلك تتوفر من هذه الثلاث حالة تجمع بين الثقة ، ودوام الاستنفار ، والإبداع ، وازدراء المنكر ، وكراهة الظلم ، وتدأب هذه الخواص تعمل وتتركز وتتكثف حتى يبلغ وازع التغيير والجهاد وخلع الطاغوت.

بمعنى أن منهجية السير هنا منهجيةٌ نفسية شعورية تلجأ الى كوامن الفطرة ، وأول مادة الفطرة: حب الجمال ، واحترام العدل ، والحرص على تحليق النفس في الأعالي ، بُعداً عن لوثات السلوك الواطي.

وهذه خلجات ، وسلسلة دفقات ، وذبذبات معنوية تدأب في ترددها في جنبات الداخل حتى تهزه وتحركه.

ولذلك قيل: الجمال سيقود العالم ، إذ الجمال عنوان لما بعده وقبله من أجزاء الاخلاق ومفردات أحوال الضمائر النجيبة التي تعاف الدركات المؤدية الى السفليات وتدأب في صعود الدرجات القائدة نحو العلويات ، والطريق الأقصر نحوه ، ووصفه الأوفى الأكمل: يضمنهما " توحيد الله تعالى " ، وما يزال الجمال الايماني هو الأعمق ، وهو مادة تربيتنا لجمهور الثوريين الذين ينشدون التغيير ، وهذا معلم من معالم " تنظير التغيير " ، ولذلك قلت في رسائلي عن " حركة الحياة ":

(وهذا القلب المطمئن بالرضا هو المرشح لالتزام أخلاقي صارم يجعله فن التخطيط الدعوي والدرس التجريبي محور العملية الاصلاحية الاستدراكية. . وذلك هو أسلوبٌ ثانٍ لبائع البساطة وناثر العواطف (عبده الشنهوري) . . .

أحـضـن شـتـايـه . . وأدفـيـه

واستنى ع البُعُد . . صيفي

واخلص لخلّي . . وأدوب فيه

واتعشى من بعدِ . . ضيفي

فهذا الشتاء البارد يلسعني .. لكني أحسن إليه .. وأمنحُهُ الدفء . .
وأتعشى من بعد ضيفي . . والمقهورين . .
والمستضعفين . . وأتبنى الغلابة . .
وخُطة (تحريك الحياة) . . . تستدعي هذا الإيثار . .
ولابد من تضحية . . وصبر . . وممارسة لأخلاق التحريك . .
ونفضات النقلات . . تبعثها قيادة . . لها ولاء . . تجمعه أعمال نماء . . !

والداعية الذي يظن نفسه صغيراً . . هو (نقطة قيادة) في حركة الحياة . .!

● هذا الحنان صادفَ في الخطة الإصلاحية ترحيباً وتأويلاً يطوره الى ميزان وقاعدة فقهية توصي المصلح والمربي بالرفق والميل الى الأيسر الأسهل اذا نهى عن منكر أو رأى زجر مسرف ، وفي هذا السياق: أنكرَ التاج السبكي على (طائفة تصلبت في أمر دينها ، فجزاها الله تعالى خيراً ، تنكر المنكر وتشدد فيه ، وتأخذ بالأغلظ ، وتتوقى مظان التُهم ، غير أنها تبالغ ، فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب ، فيؤدي ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم.

فمن حق هذه الطائفة الملاطفة ، وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء الى الخير إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقاً، كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن في تسهيله ما قد يؤدي الى ارتكاب شيء من محرمات الله تعالى.).

في نسبية صحيحة التخريج يقرها الفقه ثم العقل ، ويشهد لها التجريب الدعوي المتراكم في كل البلدان وجميع الأصعدة وعلى مدى أجيال عديدة.

● بل هذ النمط الرفيق يتجاوز أن يكون وصية فقهية ومعنى يستقر في قلوب المؤمنين، الى ان يكون عُرفاً عالمياً وحكمة سائرة بين الشعوب ، وذلك لأن الفطرة لها بقايا باقية في قلوب جميع البشر ، تحدوهم الى شيء من العاطفة ، يخلطونها بشيء من المنطقية ، فيكون الاعتدال والمزاج الأوسط ، وبدافع من هذا التاثير اتخذ الأدب الغربي له شعاراً يستمده من قول (دوستويفسكي) :

" الجمال سينقذ العالم " .
ينقذه من الفلسفة المادية التي قست على الناس وأيبست علاقاتهم ، ومن حروب الاستعمار الجديد والعولمة الأميركية ، ومن كيد بني إسرائيل.
وهو الجمال في أبعاده المطلقة المتنوعة ، وإنما الفن والتجريد والعمارة أفق واحد من آفاقه العديدة ، والأخلاق جمال ، والعدل جمال ، والحرية جمال ، والإخلاص جمال ، والانفتاح جمال . . .

● كيف يكون ذلك؟ ولماذا هذه الثقة بالجمال؟ الجواب واضح إذا استحضرنا أن الحالة العامة للمجتمع الواسع إنما هي صدى لحالات أفراده، والوصف العام إنما هو انعكاس للتربية الفردية ، فإذا التزم الفرد أنماط الجدية والانتاج وتحريك الذهن ومواصلة التفكير والممارسة الأدبية والتجريدية: فإن شخصيةً إيجابية ستتكون لديه ، وتنمو معرفته ، وينحسم أمر جزء من القضية الاجتماعية يوازي مقداره الفردي ونسبته الى الكل ، وبالتتابع وانضمام الاجزاء الى بعضها وتراكمها يحصل إصلاحٌ منظور يبقى يكبر حتى يرجح.
وهذا هو الذي حصل لشخصية (عفيف البهنسي) الشاعر وخبير الفن الإسلامي والآثار في سورية ، بحيث أوجز قصة التغير الذي طرأ على حياته عبر الشعر والخيال والفن والجماليات في ستة أبيات من الشعر.

فيضُ الشعورِ أبحراً أثارني
فانتابني رعشُ القريضِ ، هزَّني

وأشعلَ الأبياتَ في قريحتي
فصرتُ بيتاً من قصيدٍ دلَّني

على القوافي والرويِّ والبحور
للسحابِ والخيالِ قادني

أنا القديمُ في القريضِ والهوى
كمْ مُلهِمٍ في أبحرٍ اذابني

على مهادِ لوحتي وقِصّتي

قدْ كان لي شعرٌ قديمٌ صاغني

وصار لي شعرٌ جديدٌ نابضٌ

وصار لي ديوانُ رسمٍ شَفَّني

ومعنى ذلك أنه انتقل من الفراغ الى الامتلاء ، ومن البطالة الى الانتاج ، ومن الإفلاس الى الملكية ، ومن المتاهة الى الوجهة . .

وكل ذلك بالفكر والخيال والانفعال بالجمال . .

ولولا أنه انخدع ببعض عقائد متفلسفة الصوفية في أبيات أخرى لمدحته.

مع أني أعلم براءته من تقصد الابتداع. .

لكن قصته الموجزة في هذه الأبيات الستة شاهد على كيفية ولادة نزعة (تحريك الحياة) في الفرد ، لتأذن بطلب المثيل ، فيكون الحشد الإصلاحي . .

ولهذا نؤمن نحن أيضاً بأن (الجمال سينقذ العالم) . .

والتعميم لا يمنع التخصيص والتجويد. .

ولذلك نؤمن كذلك بأن

(الجمال الإيماني الإسلامي سيحرك الحياة) . . !! ❑❑❑


أنا حُر
حزب
اللا
أُباليـة

٢ ظاهرة الشباب الضاغط

❑❑ كانت تراكمات " الثورة الفكرية الإسلامية المعاصرة " هي الوقود المحرك لسلسلة " الثورات السياسية " في ربيع العرب عام ٢٠١١ ، وبفضل من الله تعالى كانت شروحي واجتهاداتي وملاحظاتي خلال جميع كتب " إحياء فقه الدعوة " بعضَ هذه الثورة الفكرية الاسلامية العامة ، وأزعم أني حزت شيئاً من شرف التنظير للتغيير ، وجاءت مشاركاتي متدرجة منسابة من غير تكلّف ، وتطلب لنفسها دائما الدليل الشرعي والمنطق العقلي والانتساب المعرفي الحضاري ، وذلك سر توازنها وتكاملها وتناسق أواخرها مع مقدماتها ومباديها ثم شخوصها كتلة واحدة تستطيع أن تسمي نفسها نظرية ، ولذلك كان استقبال الجيل المعاصر من الشباب الدعوي لها جيدا وفيه احتفال وحفاوة وحرص على التدارس ، وهم نقلوها لجيل أوسع من مناصريهم واصحاب الشوق الى الحرية ، فكان فكراً سياسياً وتخطيطياً احتل بقعة ضمن الفكر القيادي الثوري العملي الذي انطلقت منه الثورات وانعطفت اليه تسأله عن الموقف اللائق ، وذلك يوجب إخباتي وسجودي وشكري لله تعالى الذي ألهمني وعلّمني ورشحني لأن أكون شريكا في الأجر لكل ثائر ، إذ أن الذي يدلّ على الخير له مثل أجر فاعله ، والحمد لله في الأول والآخر ، وأنا إنما اقول ذلك مع ما في ثناياه من تهمة إدلالٍ وسلبيات من أجل أن يفهم أهل الفكر والاجتهاد الفقهي أن سعيهم وكتاباتهم لا تذهب سُدى ، ولا تضيع ، بل لها مستثمر يشتريها ، ولها شباب يدرسونها ، والإبطاء إنما هو بسبب ظاهرة في الحياة تنتظر التراكم حتى يحصل الوزن الحرج الذي يأذن بالانفجار ، مما قررته الفيزياء ، وما أنا إلاّ موجةٌ في البحر ، وبتتابع الموجات يحصل التيار ، فيكون الضغط ، ولكني موجة إبداعية ، بذبذبة شبابية ، ولذلك فهمني الذكيُ الألمعي الشجاع الجَسور الرائد الشاهد المائد الساجد ، فثار ، وألْهَمَ أحرار العالم أن يثوروا.

❑ ثورة شعبية . . لا انقلاب

❑ وأول برقية أرسلتها الى الشباب كانت في كتابي " المسار " ، وهي أول مادة في نظرية التغيير ، وتقول لهم: إن عهد الانقلابات العسكرية بالدبابات في طريقه الى الأفول ، وهو يذبل ، والبديل عنه: الثورات الشعبية ، فإن كنتم ايها الشباب في يأس من ركوب دبابة ، لصرامة الاستخبارات العسكرية ، فلا تيأسوا من الاصلاح والتغيير، إذ بمقدوركم قيادة ضغط شعبي سلمي أو مسلح.

وكان مما قلت: (إن نظرية العمل اليوم يجب أن تنبني على طريقة الاستقطاب الجماهيري الواسع والتغيير بالضغط الشعبي الذي يولّد انفلاتاً في مقاييس وحسابات المسيطر الحاكم ، فان هذه الطريقة هي الطريقة المثلى التي لا تبلى ، كانت منذ القديم ، وأكدت صوابها ثورة إيران ، وستظل هذه الطريقة تعبّر عن قمة التطور السياسي، لأن التفاف أكثرية الشعب حول مطالب واحدة وسيرها في اتجاه واحد: يعني أن الإرادة الجماعية تغيّر بحق إرادة الأقلية أو إرادة الفرد.

أما طريقة الانقلابات العسكرية فإنها مشرفة على نهايتها ، لان الحياة السياسية تتعقد ، وكانت الانقلابات تنجح في البلدان الصغيرة التي لم يكمل تطورها السياسي، وحيث يكون الجيش ناشئاً ضعيفا.)[١] .

وهذا التصريح قديم ، فإنّ المسار ألفته عام ١٩٧٩ ، وهذه الملاحظة لوحدها تعدل نصف النظرية ، لأنها ترسم الوجهة لا الوسيلة فقط ، وكانت ثورة إيران يومذاك في أولها ، وأتت بنموذج فريد من التضحية الشعبية ، وبنموذج للقيادة ، على الرغم من بدعتها العقيدية.

❑ وفيما كأنه المادة الثانية في نظرية التغيير: أعلنت في " المسار " أيضاً أن عنصر " الشباب " مؤهل جداً للتعامل مع متطلبات المرحلة السياسية التي يجيدها ، لانه محتفظ بطاقته الكاملة وقد قامت تطورات الاحداث بتعبيته بسلاسة مهما نقصت تجربته العملية ، لذلك يجب أن يكون ضمن

---

(١) المسار/٢٩١ فصل ١٦

التكوين القيادي للدعوة الاسلامية ، ومع تمكينه وتطمينه وإبداء الثقة به ، وسميت ذلك " نظرية الاجيال القيادية " ، وفي ثناياها قلت أن:

(كل جيل من الدعاة ، نشأ في ظروف سياسية وفكرية وتربوية متقاربة ، ربما يكون مؤهلاً لمعالجة عواقب تلك الظروف أكثر مما يكون جيل مَن قادهم ورباهم ، إذا تعبوا ، وألهتهم مشاغل الحياة ، أو ارهقتهم مداراة البيوت والاولاد ، وعلى القدماء أن يتيحوا طريقاً لأصحاب الدم الفائر ، ويبقون لهم أهل نُصح ورواية تجربة ومشاورة، فان استغلال جودة معدن الصاعد الممتلئ هِمة في تدريبه على العمليات القيادية: خير من الحجر عليه) و (من هذه الظاهرة نشتق وجوب تطعيم القيادة تطعيما تدريجياً متكرراً بعناصر جديدة من شباب الدعاة الذين يمثلون أماني وتطلعات جيلهم.)[١] .

ولأهمية الشباب عُدت بعد أكثر من عشرين سنة من الصدع بهذا الحق أتولى التذكير وأقول مردداً حكمة أن: (معادنَ البهاء لا يقطع بين متصلها تفاوت الأعمار) وأنها (إنما هي سَنَـد متصل تمثله سلسلة أهل الخير على اختلاف أعمارهم ، الشاب منهم يكمل الكهل ثم الشيخ) (وتتكون مدرسة لها طبعاتها الحيوية وإن اختلفت أسنان ممثليها.)[٢] .

وتطور الفضاء المعلوماتي ، ودخول الايميل والفيس بوك واليوتيوب ورسائل الموبايل على الخط بتوسع وصيرورتها الوسيلةَ المفضلة عند الشباب للتواصل والتراسل وتبادل الأفكار والخواطر: جعل معنى حق الشباب في المشاركة في العملية القيادية أكثر تأكيداً ووجوباً ، فاذا كنا قد قلنا ذلك قبل عصر الانترنيت فإن التطور التقني أوضح الأمر أكثر.

❑ صناعة الحياة ترسم مدارج التغيير

❑ وبعد عشر سنوات من صدور " المسار " صدر كتاب "صناعة الحياة " سنة ١٩٨٩ وبغلافه الفني الذي يحمل من الإيحاء ما يعدل فحوى الكلام

(١) المسار/٣٣٦ فصل ١٩

(٢) منهجية التربية الدعوية / ٤٧٤

فيه ، وكان الكتاب نمطاً جديداً من الفكر الاسلامي لامَسَ شغاف قلوب شباب الدعوة ، وهزّ وجدانهم، وفتح العقول ، وجعل النظر بعيداً ، وقضى على بقايا أوهام رجعية ، وهو أصغر كتبي حجماً ، ولكنه أحبها عندي وأهمها ، وحدثني داعية أنه طالعه خمساً وعشرين مرة ، وزاد على ذلك آخر ، وأما الذين طالعوه عشر مرات فهم عدد كبير ، وما كان الكتاب ثورياً بمقدار ما كان نافذة تطل على المعنى الحضاري وعرضاً للجانب العملي التطبيقي من فلسفة التغيير.

❑ والقاعدة الكبرى التي أوردَتها صناعة الحياة وبدّلت طريقة تفكير الدعاة وفهمهم لوسيلة التغيير: هي قاعدة " الولاء " وتحجيم قضية " الطاعة والبيعة " وحصرها في نطاق ما تدعو اليه الضرورة.

وخبر ذلك أن المجتمع الدعوي سرى فيه مفهوم خاطئ يجعل عملية التغيير من واجب الدعاة الخلّص الذين اكتملت أوصافهم وشروطهم فدخلوا التنظيم الدعوي وبايعوا وأبدوا استعداهم لطاعة قيادتهم والالتزام بالخطة. وهذا شيء جميل في التقدير العاطفي ، ولكنه سبب تخريب وتدمير نفسي ويقوم بتوليد حالة اليأس والإحباط ، لأنّ عدد المستعدين للطاعة قليل في كل مجتمع ، وخلق الله الناس درجات وأصناف ، فسوادهم الأعظم فيه نوع ضعف يصده عن بلوغ درجة الالتزام والطاعة ، والقليل منهم من يعطي صفقة قلبه ويكون منه الوفاء ، والناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها إلاّ راحلة ، كما في الحديث الشريف، أي إلاّ ناقة قوية واحدة ، ولذلك لبث الدعاة السنوات الطوال والعقود العديدة في كل بلد ينتظرون زيادة عددهم ليكون كافياً لحملة تغييرية ، ولكن النمو بقي محدوداً ، بسبب هذه الظاهرة في طبيعة خلق الله للخلائق ، فلما مرّت السنوات ومستوى الزيادة قليل: ظهر شبه يأس ساد بينهم ، كاد يقطع الأمل بتغيير ، فاتهموا تنظيمهم بالترهل ، وربما حصل تلاوم ينتهي الى فتنة وانشقاق ، وحصل تشكيك في كفاية القيادة ، وانواع سلبيات أخرى ، وهم لا ينتبهون الى أنهم أسرى تخطيط خاطئ يوجب لزوم ما لا يلزم ، وأنهم أرهقوا أنفسهم بهذا الشرط الثقيل الذي تنفيه تحليلات الحالات الثورية التغييرية ، وسبب هذه الورطة أن القيادات التربوية والسياسية في الدعوة خلطت بين أمرين: بين بناء التنظيم الذي يقود الطاقات التغييرية ، وهذا يلزمه أقوى درجات

الطاعة والبيعة ، وبين الطاقات نفسها وإهاجتها ودفعها لمعاونة الدعاة ، وهذا يكفي فيه " الولاء " العام والتأييد وقول لا إله إلا الله ، ويصح ويؤثر وينتج النتائج الإيجابية بلا طاعة ، بل بتعاون وقتي محدود.

● كأن هذا التفريق كان غائباً عن أذهان معظم الدعاة ، فوقعوا في بِدعة تنظيمية تخطيطية ما أنزل الله بها من سلطان ولا آية ولا قرينة نَدْب ، فضاعت فرص ، وتأخر الحل. لذلك حين جَهرَت " صناعة الحياة " بأن طلب " الولاء " هو الحل للمعضلة: سرعان ما حصلت يقظة بعد خَدَر ، وانفتحت أبواب البشائر بعد الإحباط، وصارت قلوب الدعاة كأنها في موضع تمد يدها لتناوش التغيير.

تبدلت المعادلة وصار الصعب سهلاً ، وتلك كانت ضربة " صناعة الحياة " الموفقة ، وحصل بها الانعطاف والتفكير العملي الجدي في دواخل الدعاة ، وخرجت جموع من السراديب الى العرصات الرحبة ، تنذر وتبشر وتطلب ولاء الخيّرين والأطهار والأحرار ، فطفق ينمو شعور وجوب التغيير ، من غير إجفال اصحاب الطاقات المتنوعة الأشكال ، بل تركناهم على سجيتهم وحريتهم الخاصة واختياراتهم وأذواقهم وتحركاتهم ودنيوياتهم وأنماطهم ، وقبلوا الصفقة من غير خوف عَنَت الطاعة ، بل وعد ضمني يدلي به مفهوم السياق بلا حروف مكتوبة أو منطوقة: أنهم إن جَدّ الجد فعليهم في تلك الساعة من ذاك اليوم الأغر نوع تأييد يردفونه بهتاف (الله أكبر) . . !

وبذلك صار ركن " الولاء " هو الأهم على الإطلاق في تنظير التغيير ، وحصل توالي حلقاته الدائرية المحيطة بمركز يمثل الدعوة والمنبع والمنطلق والقلعة وكتلة القيادة والتخطيط ، والرمز والمثال ، ومنجم التجربة ، وقوة الاحتياط ، وعنصر المحاماة ، وأساس البلاغة ، والزناد.

● لست أزعم أن الوضع كان صفراً قبل ذلك ، وأن الولاء الجديد نشأ من العدم ، بل كانت هناك تطبيقات عملية في صور جلبتها طبائع الانتخابات البرلمانية التي مارستها الدعوة في أكثر من قطر ، أو ظواهر التفاف السامعين حول خطباء الدعوة ، أو الاستجابة الصامتة الخفية في نفوس الناس حين يرون المظالم الواقعة على الدعاة ، ومن ذلك نجاح الثورة

السورية الاسلامية قبل ثلاثين سنة في تنبيه الشعب السوري الى وجود طائفية وظلم على الرغم من الاخطاء التخطيطية التي تسببت في قصورها عن تحصيل التغيير ، وذاك النجاح في غرس شعور ثوري في قلب كل سوري هو نجاح عظيم في الميزان ، وهو الذي يفسر عمق الصبر والبذل في الثورة الثانية العامة الجديدة الحاضرة ، فلم تذهب ارواح الشهداء القدماء الدعاة سُدى ، بل كانت هي وأنفاس ألوف السجناء الدعاة وعظاً فصيحاً هادراً غرس الإلهام الثوري في نفوس كل أحرار سوريا في هذه الجولة الثانية. أقول: كانت هناك تطبيقات لمبدأ صناعة الولاء ، ولكن اسلوب التنظير للولاء الذي جاءت به " صناعة الحياة ": هو الذي فتح للدعاة البصائر التخطيطية الثورية وحوّل القضية الى قناعة ومفهوم تربوي فيه انتباه الى توظيفه مستقبلياً وبتوسع في المعادلة التغييرية.

• نحن الدعاة قادة الطاقات الكثيرة السائبة غير المنتظمة ، ونلتقي مع أصحاب هذه الطاقات ونوحّد مسيرتنا ونمشي جنباً الى جنب مهما كان فيهم نقص ونوع فسوق أو عيوب ، فغير المصلي نستعين به ونضمه الى صفوف المطالبة بالتغيير ، والذي زوجته سافرة أو بنته ، والمتعامل بالربا ، فكلهم جنود في مسيرة الحرية ، وسندنا الشرعي في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر) ، وان الفقهاء أجازوا ان تشمل جيوش الفتوح الاسلامية الاولى مثل هؤلاء المعيبين.

• وفي فقهنا: ان (الفاسق ينال الشهادة إذا قُتل في سبيل الله) وفي حديث صحيح أن افضل الشهداء (رجل جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقتل ، فذاك الشهيد المفتخر في خيمة الله تحت عرشه.) ويليه في الفضل (رجل مؤمن قَرَف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقتل ، فانمحت خطاياه. إن السيف محّاءٌ للخطايا.)[١].

وقد قلت في اصول الافتاء والاجتهاد في فقه الدعوة:
(أحسب أن خطة العمل السياسي والجهادي لدى الدعاة يلزمها أن

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢/٣٠٢

تتوسع وتكون أكثر مرونة وواقعية لتشمل الاستعانة بأبناء الامة الذين شُغلت ذممهم الدينية ببعض الهفوات الفسوقية الاخلاقية ، لا الظلم والخيانات ، إذ المعركة كبيرة ، وهؤلاء مؤمنون صرعتهم الشهوة لا الشبهة ، واحتواء الدعوة لهم في خطتها العريضة تفتح مجالاً لهم للاقتراب من التوبة وفهم الاسلام فهماً حقيقياً وإعانتهم على العزائم والعفاف عبر حُسن الصُحبة لهم والرأفة بهم والتودد لهم ، باعتبارهم ضحايا التربية العُرفية وليسوا من أهل العناد.)[1] .

وقد قلتُ في بعض شعري. . .

مَن يَعِ من سائر الانسانِ مغزاكَ أو

ميزانَ فقهِكَ : هُم كبريتُ ذو حُمرةِ

فهؤلاء لآلي العِقد قُم فانظِمِ

بِهم تَحُز مركزَ التوجيهِ في قُدْرَةِ

واطلب من الآخرين الصفو من نُصْرَةِ

يأتِكَ محضُ الولا،من خاطِرِ الخُطرةِ

أي يأتك الولاء من أعيان الناس وأهل النجابة والفضل.

• هذا الولاء نراه قد تحقق في عالم الواقع نتيجة الإعلام الدعوي والنشر الفكري الواسع ومواعظ الدعاة في المساجد ومن خلال الاشرطة ، حتى أن بعض الاشرطة كان يوزع منها المليون نسخة ، كما هو مشهور في نجد والحجاز ، وسرت عدوى الخير الى بلاد عديدة ، حتى إذا دخل عصر الفضائيات رأينا سعة التأثير ، وان الكلمة الاسلامية اصبحت تدخل جميع البيوت وتصل الى بدوي وساحلي ومَن هو في رؤوس الجبال ، فكانت النتيجة نوع ولاء واسع وتأثر قد لا يكون هو المقصود حين تكلم

---

(١) أصول الإفتاء ٤/٢٣٥ فصل٣٧

كتاب " صناعة الحياة " عنه ، ولكنه قريب منه ، والفرق أن الدعوة لا تملك الوسائل المباشرة لتحريك هؤلاء الموالين ، وإنما تملك الوسائل غير المباشرة والإيحاء والاشارة، فلما جاء قَدَر انطلاق الثورة في صورة حرق البوعزيزي التونسي لنفسه: سارع الشباب من هؤلاء الموالين الى استثمار الحادثة في تونس ، ثم سرت العدوى الى مصر فسارع شبابها الموالي للدعوة الى الثورة ، وكانت مبادرتهم عملاً ناجحاً بكل المقاييس ، بينما تأخرت الدعوة في التفاعل مع هذا القدر وأحداث التأجيج لسببين:

• الأول: ان الشباب الموالي حرٌّ في اتخاذ قراره ، وبيده وسائل الانترنيت، ولم تصده شروط خططية واعراف تنظيمية ، بينما القرار التنظيمي يحتاج الى شورى وتقارير واجتماعات قيادية وكتابنا وكتابكم ، وتلك أمور ضابطة تمنع الارتجال والتهور ويكون الخطو على بينة وبتقدير دقيق ، لكنها تتطلب وقتاً ، فحصل التأخر ، وصار الشباب الموالون هم رأس النفيضة الثورية، واحتكروا الفضل والسمعة ، مع ان التحليل يوضح أن أصل شحنتهم الايجابية إنما شحنتها الدعوة فيهم على مدى سنوات.

• والثاني: أن أنفاساً اميركية وفرنسية مازجت الانطلاقة الاولى ، فصارت جفلة الدعوة من أمر غامض تخاف ان يحوي ريباً ، وكأن هذا التدخل الاميركي هو التنفيذ لما ورد في وصية المخابرات الاميركية للبيت الأبيض بأن يقصي الطغاة المتعاونين معه في بلادنا بعدما كرههم الشعب قبل أن تبادر الدعوة الاسلامية الى تغييرهم ، فحصل شك ، الى ان انتصر الرأي القائل بوجوب دخول الدعوة على خط التغيير ، والتبرير: أنهم رجال ونحن رجال ، وبدلاً من أن نكون سلبيين وننسحب وندع أميركا تنفرد: ندخل الميدان ونحاول أن نقود الثورة وان ننتزع من الاجنبي المبادأة ونمنع انفراده في الساحة ، ولو خرجنا بنصف تاثير فان ذلك أحسن من ان نبقى على الهامش وتكون كل القضية في يد علمانية متعاونة مع أميركا ، وهذا واضح جداً في حالة الثورة السورية بخاصة ، ويصدق الامر على مصر ، حيث الجيش يمثل عنصر تطمين لاميركا ، وكان كذلك في ليبيا ، حتى أن بعض رجال القذافي الذين انضموا للثورة واقاموا العلاقات مع اميركا حاولوا دعوة جيش الامم المتحدة للمجيء الى ليبيا بحجة حصول حوادث قتل

طفيفة بعد انتصار الثورة ، وهي حجة واهية كان المقصد منها ان ينعموا بحماية اجنبية تجعل مكانتهم في حكومة ما بعد الثورة أقوى ، ولكن الاسلاميين اعترضوا عليهم ومنعوهم من ذلك.

هذه هي تعليلات مسارعة الشباب الى المبادرة الثورية مقابل الإبطاء النسبي للدعوة، ونحن نعترف ببطولة هؤلاء الشباب ، وأنهم ضربوا مثلاً في عشق الحرية يستفيد منه كل أحرار العالم ، ولكن بطولتهم توجب مصافحة قادة الدعوة ورجالها من أجل التكامل والوحدة الشعبية وتجاوز تحديات البناء والتنمية المقبلة ، لأن ذاك الإبطاء النسبي هو ظاهرة معروفة في حياة التنظيمات والخطط الجماعية ، وأن الدعوة هي التي قدمت (تنظير التغيير) بنجاح على مدى ثمانين سنة ، وهي التي أجّجت العواطف ، وعلمت الأمة فقه العمل الثوري ، ودونت الفكر الإسلامي الحديث ، وأطربت القلوب بالمواعظ ، وجمعت التجارب، وصنعت الخبراء والعلماء أصحاب القدم الراسخة في الصدق وحسن النية وسلامة الاسلوب ، بحيث لا تكون تنمية بدونهم ، وقد عرفت الشعوب مناقبهم هذه فانتخبتهم للمجالس البرلمانية وشكرتهم على حسن البداية التي انتجت صفاء النهاية.

❑ أهمية التنظيم الخلفي

❑ ومما جاءت به " صناعة الحياة " في تنظير التغيير: تأكيدها أهمية التنظيم الدعوي الذي تقوده قيادة يقدم لها الأعضاء الطاعة الواعية وتتخذ خطة ملزمة للجميع تشتق منها مواقف واضحة لا يسع الداعية المنتمي مخالفتها.

هذا التنظيم يقوم بدور " المحرك الخلفي " الدافع ، والمنسِّق ، والمخطِط ، والمواسي ، والقاضي الحاكم عند الاختلاف ، والمفاوِض ، والمستلم للنتيجة ، والباني لجهاز الدولة الجديدة بعد نجاح التغيير ، المستأنِف لعملية التغيير عند ارتجاجها وحصول سطو ، وقبل كل ذاك:

الواضع والشارح لفكر التغيير وفلسفته ودقائقه الصغيرة بحيث تكون الساحة مثل ساعة منضبطة لا يستبد بكل زاوية منها اجتهاد أو يكون جنوحٌ لتهورٍ أو حصول انتقام غوغائي بعد النجاح أو ظهور بوادر استبدادٍ عند جَناح.

ويفخر الشباب في ساحات التحرير بأنهم صنعوا ثورة من دون أن يضطروا لتنظيم ، بل بعفويتهم ، ويظنون ذلك أصوب الصواب ، وليس كذلك الأمر ، بل ذلك نقص وسبب مخاطر ، وهم يتوهمون أنهم كل الثورة ، وليس بصواب ذلك ، إنما ربما هم مَن أشعل الفتيل وضغط على الزناد وبادر ، فان الشاب من طبعه الشجاعة ، إلاّ ان التنظيمات الاسلامية وغيرها داخلة على الخط ، وحاضرة ، وهذه هي الحالة الخططية التي ننتظر منها النجاح ، أي إما وجود تنظيم اسلامي واحد له كفاية يتولى إدارة الثورة ، أو قيام حلف او تنسيق بين تنظيمات عديدة ، وأما ان تبقى جموع الشباب بلا تنظيم فتلك سلبية وليس هي سبب فخر ، ولو أنك تملك شركة لاضطررت الى وضع إدارة لها ، فكيف بالعمل السياسي المعاصر الذي هو أعقد عمل في الحياة !!.

وفي السنوات الأخيرة ظهر حرصٌ من قِبَل الدكتور جاسم سلطان في قطر على إنكار التنظيمات والاكتفاء بتكوين تيار إسلامي، وراج هذا الوهم قليلا على الرغم من مخالفته للمنطق البدهي وظواهر حركة الحياة ، إذ كيف يتكون تيار من دون عصبة مركزية تقف خلفه تمده بالرؤى والأفكار وتديمه وتطوره وتدفعه الى وقوف المواقف الفاصلة؟ هذا محال في العالم التجريبي، وهذه العصبة هي التنظيم ، صغرت ام اتسعت. وسبب وقوعه في هذا الوهم أنه رأى كما رأيتُ أهمية " الولاء " العريض ، وأنه هو الذي يتكفل بالحسم ، وأن التخطيط الدعوي كان غافلا عنه ، فزادت حماسته له وارتكب المبالغة فزعم أن " التيار " يكفي ، إذ ان نتاج الولاء أن يتكون تيار ، ولكن على أيّ جُسيم مركزي سيتكثف الولاء على شاكلة تكثف بخار الماء حول دقيقة ذَريّة حين تخترق الغرفة المخبرية؟ لابد من جُسيم قيادي خططي يتجمع حوله الولاء ، هذا ما فاته ، وذلك من النظر " الأُحادي " الذي لا يستوعب كل الشروط المنهجية ولا يرى عاملاً ثانياً وثالثاً غير الولاء المنتج للتيار ، فمذهبه نصف صواب ، ووجود تنظيم

يكتفي بصرامة الطاعة من الأعضاء نصف صواب أيضاً، والصواب التام هو في وجود تنظيم على سُنة الصرامة والبيعة يتقصد ويحرص أن يصنع من حوله تياراً مواليا يحوي كماً ضخماً من الطاقات يكفي لتنفيذ الأماني الثورية والتغييرية ، وليست القوة بشرط حتمي ، بل قد تكون ولا تكون ، فإنّ الضغط السلمي بإمكانه فعل شيء كثير ، وهو فنٌّ له حيثياته ووسائله حتى ان مراكز البحوث تسميه " النظرية السلمية " ، وذلك يحقق الاحتياطات الامنية التي يتوخاها جاسم سلطان ، ويتولى في نفس الوقت إحداث تأثير تغييري ، ويكفي الاخوان وسلطان القتال والخلاف ، ويزداد هذا الاسلوب الجامع توكيداً عندما لا يكون التنظيم الخلفي جديداً لم تترسب في أعرافه انواع الخبرات ، بل يكون قديماً مثل تنظيم الاخوان الذي بلغ ثمانين سنة وتأصلت تجاربه عبر أجيال قامت بخدمته وقيادته وله فكر واسع انتشر وأثّر ، وامتداد عالمي عريض يجلب النُصرة والاسناد من اقصى الأرض ، وأثبتت سلسلة ثورات الربيع العربي انه مازال تنظيماً نشطاً فاعلاً دفّاق الحيوية ، وقامت جماهير العرب بمنحه الثقة عندما صار التصويت حُرّا ، ومن أشكال التبذير الذي ينهى عنه أدب الايمان: التفريط بمثل هذا التنظيم الذي أنجز مهمته التغييرية بنجاح ، أو على الأقل: كان الشريك الاقوى في انجاز هذه المهمة ، والإذعان للحق ولمنطق التحليل والتدليل فضيلة يرتكبها جاسم سلطان وأمثاله لو أنهم استدركوا واستحضروا مغزى هذه القرائن الثورية التي ثبتت في سِجل الدعوة ، ومن قبلها التضحيات الجسيمة التي قدمتها الدعوة عند أعواد المشانق وخلف قضبان السجون ، والنقص – إن كان – فعلاجه الاصلاح والإكمال وليس الإهمال والإنكار والاستبدال، والتيار ينتهي الى إندثار ، ما لم يقم بإدامة متطلباته تنظيم خلفي مركزي تكون الطاعة الواعية فيه هي الشِعار ، وإذا كان جوابهم يلوذ بلكن وإنما وربما: فإن الأفضل أن نلوذ بالصمت ، لأنّ الدين ينهانا عن الاستطراد في الجدل . .! ولو انهم طالعوا سلسلة رسائلي عن استراتيجيات الحركة الحيوية لعلموا أني وجمهرة الاخوان نفهم اصول صناعة التيار فهماً تحليلياً عميقاً مبنياً على استيعاب ديناميك حركة الحياة وظواهره وفلسفة تاثير الكتل الضخمة ، ولأيقنوا أنهم بحاجة الى جهدنا وتفكيرنا.

❑ آفاقٌ حضارية . . من أجل تنمية شاملة

❑ وأتت " صناعة الحياة " ايضا بفهم حضاري مدني متنوع ، وقاربت فروع الحياة المتشعبة كلها ، وحتى " الجمال " وآثاره الايجابية في النفس واساليب التفكير والعيش والعمران ، ودور التخصصات والأداء المهني التركيزي العالي المستوى في تحقيق التفوق وكسب الجولة عند التنافس وازدحام الدرب بالخلطاء.

هذا النمط الحضاري الجمالي ووسيلته التخصصية ضروري لنجاح سياق العملية التغييرية ، لأنه هو الطريق الأكثر إتقاناً لتوظيف جميع أنواع الطاقات وحشرها في توجّه واحد يحقق الضغط العالي ، ثم هو ضروري لنجاح ما بعد التغيير من العمليات التنموية التي تزيد حجم الناتج الاقتصادي وتقضي على البطالة وتوفر مصالح الناس التي من أجلها ثاروا وغيروا ، ولذلك تناولت كتبي اللاحقة مثل " منهجية التربية الدعوية " و " رؤى تخطيطية " و " حركة الحياة " هذا المعنى الحضاري مراراً ، وبشرت به أنه هو الحل وعنوان الكفاية وهوية الدخول الناجح الى الساحة السياسية ، وآخر كتبي في ذلك: " العمارة الدعوية ".

(إن قضيتنا الاسلامية قضية حضارية ، تستلزم مشروعاً حضارياً ، وهي أبعد من كونها مجرد وصول إلى الحكم ، وأبعد من كونها مهمة علمية ، أو عملية إغاثية ، أو إصلاحاً اجتماعياً ، وإن كنا نسعى الى كل ذلك.

لقد رأينا عند استعراض تاريخ العلم والفيزياء ان تلك الجهود وردت ضمن سياق حضاري واضح ، فقد كان هناك حفظ حقوق الانسان ، وكانت ثَمّ حريات وشورى، وقوانين يقف الناس أمامها سواء ، كما كان هناك حفظ براءة الاختراع ، والجميع يعمل في ظل إدارة تتفهم قضية البحث العلمي ومستلزماته وتمويله ، والحياة العلمية تعادلها حياة عاطفية يتكفل بها الأدب والفن ، والتحرك يستند الى قاعدة معرفية عامة متراكمة ، وللإعلام دور قوي في ترويج المشاريع العلمية وإقناع الناس بها وحشدهم لتأييدها ، ثم القضاء مستقل عن نفوذ الحاكم ، وفرص الدراسة متساوية ، في مؤثرات أخرى تجعل نمط الأداء الحضاري حاضرا. وعملنا الاسلامي عليه ان يقتدي بهذا النمط ، فيقدم للناس أدباً إسلامياً ، وفناً إسلامياً ، ووعياً

حقوقياً ، ومعرفة إسلامية تركز على تحليل التاريخ ودلائل التوحيد ونقد الفلسفات ، ثم يقترن كل ذلك بتدريبهم على سلوك أخلاقي رفيع متلازم مع تعبّد وشمائل إيمانية ، ودفعهم الى حياة اجتماعية تعاونية عبر محاور معينة وجمعيات ومراكز ومعاهد ، ومع نشاط اقتصادي يحفظ الدرهم في الأيادي المتوضئة ، واذا انتظرنا سنوات طويلة فإن جيلاً عريضاً من المتأثرين بكل ذلك يكون قد وُجد ، فيتشكل به توجّه قوي له زخم ضاغط ، وعندئذ فقط يتدخل الجهاد في إقرار الأمور إن لم يُتح الظالم تنافساً سلمياً متكافئاً ، لكن من بعد صبر وإعذار عدة مرّات على فترات ، والمفروض أن تتخذ تربيتنا منهجية مترابطة الحلقات تقوم بتفهيم هذا المنطق التخطيطي للدعاة ولعموم جيل الصحوة ، وبهذا نغاير نظرية بن لادن التي تلغي هذه المقدمات ، وتأخذ الامور من خواتمها ، وتقلب التسلسل وتكتفي بالقلة ، وما هي بنظرية ولا لها مع قواعد التخطيط نسب وقربى ، وإنما هي آهة مكبوت . .)[1] .

❑ (انه لابد من تكثيف الدور التخصصي في المرحلة الحاضرة من مراحل الأداء الدعوي في العالم أجمع ، عَبر التدريب في مؤسسات المجتمع والدولة معاً ، إضافة الى مؤسساتنا ، وعَبر الإعلان عن النفس والمخالطة العامة.) (الدعوة الاسلامية الآن في مرحلة جديدة ، مرحلة قيادة الناس قيادة عريضة ، ولذلك أُنادي بخطة جديدة ، وبتطوير ، ورفع طبقة أُخرى من البناء فوق طوابق السلف. وعنوان هذا التطوير: الممارسة التخصصية في ميادين الحياة جميعها من علوم وآداب وإعلام وفنون واقتصاد وسياسة. نعم أُريد أن أُفهم إخواني دعاة الاسلام صناعة الحياة ، بعد ان اكتشفت انهم ما زالوا لا يفهمونها ، ولأطرنّهم على ذلك أطرا ، وأحصرهم في زاوية حتى يعلنوها توبة مكفرة لذنوب الارتجال والتبسيط) (الإنكفاء الذي استساغته نفوسنا والسجن الاختياري الذي لجأنا اليه: قتلت فينا قابلية الإبداع ، وضمرت الروح الاجتهادية ، وتقلصت النزعة القيادية ، ولا ينمو

(١) منهجية التربية / ٣٥٧

تخصص بدون هذه اللوازم)[1].

بمثل هذا الزخم الهادر كنت النذير ، وكررت ذلك في معظم كتاباتي ، ولا يليق اعادتها كلها ، بل الخبير بكتبي يعرف مواضعها الكثيرة ، وما ذكرته في النص قبل السابق يؤسس البنية الاساسية للأداء الحضاري ، والمفروض أن نزيد عليه: خبرة مصرفية ، وسعة استثمارية ، وإتقاناً لنظرية الكم الفيزياوية وتطبيقاتها الرقمية المعاصرة، من صناعة الموبايل الى الكمبيوتر والقمر الصناعي ، ثم الكيمياء ، وانواع الهندسة ، فنقيم تنمية شعبية واسعة ونشارك في التنمية الحكومية ، لنحقق رفاهية الشعب ، ووفرة المال ، وعندنا نفط يكون الاساس للصناعات الكيماوية ، وعندنا سيليكون في الصحراء يعادل النفط في القيمة الاقتصادية نجعله أساساً للصناعات الرقمية ، ونحن نساوي الغرب واليابان والصين في الذكاء ، إنما تنقصنا المنهجية العلمية فقط والتخطيطات الموزونة ، ولم نتأخر ، ولكن حَجَزنا كل ظالم جبّار عن المسيرة الايجابية ، والتغيير أزالهم ، وبقي الواجب علينا أن ندخل بشجاعة وإصرار الى عالم عصري متطور ، وأموالنا ليست قليلة ، ولكن صار تهريبها الى خارج بلادنا لضعف الضمان والأمان، أو ان الميزانيات الحكومية الطغيانية وضعتها في غير مواضعها الانتاجية ، أو سرقها العتاة ومن معهم من أبطال الفساد الإداري ونقلوها الى أميركا وأوروبا ، وبلمسات مخلصة قليلة تنفتح ابواب الأداء الحضاري والعمران المدني والصناعي بحول الله بعدما تمّ التغيير.

• والحقيقة: إن واجب (ما بعد الثورة) لا يقتصر على التنمية فقط ، وبناء البلد وفق خطط صحيحة ، وإصلاح النظام والارتقاء بالاقتصاد والقضاء على البطالة ، بل يلزم بموازاة ذلك نوع إصلاح للنفوس ، نفوس الشعب ، وإعادة تربيته أخلاقياً وفق موازين الايمان والمعروف وقواعد الشرع ، وتلك هي منهجية الدعوة الاسلامية أصلاً ، بأن نعظ الناس أن يؤدوا الصلاة لرب العالمين خمس مرات في اليوم كما افترضها عليهم، وأن يلزموا الجماعة في المساجد ، والعيش مع القرآن تلاوة وفهماً ، وتحقيق معنى التوحيد

(١) منهجية التربية / ٢٥٣ وما بعدها

المحض والبراءة من كل أنواع الشرك بالله ، ونبذ البدع ، والالتزام بأحكام الشرع في الحلال والحرام ، وتزيين التوبة الى الله تعالى، والانابة اليه ، والإخبات وكثرة السجود ، والافصاح بالشكر لله وحمده وطلب مغفرته ، والرضا عنه ، والتخلق بالتواضع والحلم والرفق وحسن الظن بالمسلمين والتعاون وصلة الرحم والتصدق وإغاثة الملهوف ، وترك الحسد والغيبة والنميمة والتخذيل ، واحترام الكبير والفقيه ، والعطف على اليتيم والأرملة، وتفضيل ما عند الله وثواب الآخرة، والزهد في الدنيا وبهرجها ، وايقاظ نوايا الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فكل ذلك من المنهجية التربوية التي اعتمدتها الدعوة الاسلامية الحديثة والمعاصرة والزمت أعضاءها بذلك ، ثم يجب أن تأمر الناس بمثل هذه التربية وتعظهم بها وتصبغ إعلامها بهذا السمت الوعظي التربوي ، لان الحياة الحاضرة مادية وفي إيمان الناس ضعف.

ويلحق بذلك تربية الناس على أخلاق الثقة بالنفس والطموح والعمل الايجابي والنشاط التعاوني وتحقيق المهارات وجمع الخبرات والعلوم والتزام النهج الاداري الابداعي والحرص على السيرة الحضارية ، لأن الطغاة اضعفوا هذه الاخلاق والطباع في الناس وشغلوهم بقيل وقال ، وبالاختلاف ، والحزبية الضيقة ، والعصبيات ، والعنف.

ويلحق بها أيضا: فطم الموظفين عن رخاوة الأداء ، وكثرة الغياب ، والرشوة ، فإن الفساد الاداري في طبقة أعوان الطاغية وابنائه ما كان لولا أن فساداً يقابله في صغار الموظفين طغى وانتشر ، فالثورة على الفساد يجب ان تكون عامة وتطال كل مسيء، وذلك أمر صعب ويحتاج وقتاً ونزاهة في الطبقة العليا الجديدة التي كلفتها الثورة بالوزارات والادارات الكبرى ، ولكن لا يبلغ الامر الاستحالة ، والظروف النفسية بعد الثورة تساعد على فرض خطط حازمة.

وكل هذه النواحي التربوية واضحة جداً في منهجية الدعوة واثبتت فيها نجاحاً وانتجت نماذج خُلُقية رفيعة المستوى ، مما يوجب جعلها بنوداً في نظرية التغيير ، وتعميم التجربة الدعوية لتكون تجربة حكومية شعبية ، واستخدام نقباء الدعوة واساتذة التربية فيها أمناء عليها في الجهاز الحكومي

والإعلامي ، وعلى الشعب أن يشكر للدعوة سمتها الاخلاقي هذا ، ويرضى بالخضوع لعلاجها الايماني ، باختيار وعن قناعة ، من دون التفات لوساوس بقايا الشيوعيين والملاحدة الذين رأيتهم يسخرون من قول مرشد الدعوة بضرورة إصلاح الفرد ، ويكتبون عن حقيقة هذا الاصلاح ، وهل هو مثل صيانة المكائن عند السمكري، وذلك لانهم يعلمون ان خطتهم الاخلاقية كانت شريكة في المسؤولية عن النتيجة السلبية التي ظهرت في صور عديدة، ومنها صورة الفساد الاداري الذي ثار الناس عليه ، بينما يشكل النجاح الاخلاقي الدعوي تهديداً للفكر العلماني كله.

ان تقريراً واحداً لهيئة الرقابة والنزاهة عن غياب مليار دولار في أروقة أعوان محمود عباس مثلاً ، والتنمية الصغيرة التي جعلت قليل غزة كثيراً ببركة من الله: هي برهان على صحة ما نقول من بين مئات البراهين ❑❑❑

٣ شروطُ تجريبية وظواهرُ إيجابية

❑❑ إحصاء أبواب الخير ومعادن الانتاج: هي خبرة وتجريب ، وتكتمل بتوجيه الاهتمام نحوها والاحتفال بها والتعرف على السلوك العملي اللائق تجاهها ، ولذلك يحتاج فهمها الى ذكاء مع دربة ومران ، ومن ذلك قولي في جانب من تنظير التغيير:

(ان العمل الدعوي اوسع من أن نحصره في تجميع عناصر جديدة وضمها الى صفوف الدعوة ، وإنما هو قائمة طويلة من أنواع كثيرة من أشكال النشاط والمصالح والاحتياطات الوقائية ، وان الوصول الى الاهداف الاسلامية لا يمكن عَبر جهود الدعاة فقط ، وإنما تحققه أيضا إضافات الأصدقاء والحلفاء والمتعاونين ، بل ويعيننا أيضاً: نجاحنا في تحييد آخرين ، وما هذه إلاّ عبارات موجزة تصلح كعناوين فقط لفن عريض من الأساليب والمداخل والمخارج والمناورات والالتفافات والتحالفات والعزل والحصر ، وينتظم كذلك تنسيق وتكامل في الأدوار.)[١] .

فهذا كلام مهم لأنه يتولى تسمية بنود كثيرة في نظرية التغيير ومع انها صغيرة ، لكنها ضرورية أيضاً.

❑ منها فذلكة حسابية بسيطة هي أقرب الى الاحصاء الساذج لكنها حقيقية ومهمة ، بها نقطع وَهْم حاجة التغيير الى موقف أكثر الشعب معك ونزوله الى الشارع ، بل الأمر أبسط وأيسر ، وفي بلد نفوسه في حدود الثلاثين مليون نفس لا تحتاج سوى تحريك بضع عشرات الوف ، او التعامل غير المباشر بالمؤثرات الفكرية والإعلامية والنفسية والمالية مع مئات الوف فقط.

وقلت في المسار: (إن بلداً تعمل فيه تشطب من عدد أهله بجرّة قلم

(١) منهجية التربية / ٢٦١

واحدة تسعة أعشار النساء ، إذ لا يزال تأثيرهن ودورهن الفكري والسياسي في العالم الاسلامي غير كامل ، ويكاد أن يكون ضعيفاً. وتشطب ملايين الأطفال ، ومثلهم من أهل البداوة أو الحياة المنعزلة ، وأعداداً هائلة من الجبناء والسلبيين والبلداء الذين لا يحملون رأيا ولا يعتنقون فكرة ، ولا يعارضون سياسة أو يؤيدون ، وشيوخاً عجزة ، ومرضى تشغلهم الآلام ، ومن لا يزال أمياً ومفرطاً في السذاجة ، وأمثال هؤلاء ، وهكذا فانه لا يتفاعل مع تطور الاحداث أكثر من عُشر السكان) (وأما قيادة التيارات وتحريك الصراع فلا تتجاوز بضع عشرات من الالوف في مجتمع الملايين.)[1] .

بهذه الفذلكة تتأسس في نفوس المغيّرين كميات هائلة من الشجاعة والاقدام واستسهال العملية ، ويتوقف التردد بدون جهد تربوي ضخم.

● وأصل هذه الفذلكة الحسابية قديم ، نطقت به رسالة " السياسات " التي صدرت سنة ١٩٦٣ ، ومن اطلع عليها جَسَر ، ومن فاتته لبث في التهيّب الذي لا أصل له ، ويظن أن عليه إصلاح معظم الشعب.

❑ ومن الاستنباط التجريبي المستند الى مغزى نصوص شرعية كثيرة: نظرية شروط التوثيق والتعديل ، والتضعيف والجرح ، ومفادها: وجوب الانتقاء عند اختيار أعضاء التنظيم الخلفي وقادته ، وعند اختيار الرموز والساسة والوزراء والنوّاب ، مع التشدد في ذلك في المراحل الاولى ، لمنع ظواهر انهيار الضعفاء وجنوحهم الى الدنيويات ، والناس معادن ، وتم تدوين رسالة في بيان فقه الشروط ، مع فصول في " المنطلق " و " اصول الافتاء " وتفاصيل كثيرة في " المسار " ، فمثل هذا الفقه الاشتراطي هو ديدن المخضرمين الذين عركتهم الايام ، والشباب الثوري لا يعرف ذلك ويأخذ بظواهر الامور ويظن ان ادارة عملية التغيير سهلة ، بينما تمازجها احتمالات الليونة والانحراف والمطامع الشخصية ، وعند المفاوضات قد يغلب الخبُّ المخادعُ المؤمنَ الفطري الساذج ، ولذلك فان شبابية الثوار

---

(١) المسار / ٦٥ فصل ٦

لا تلغي أبداً حاجة الثورة للحكماء والشيوخ.

❑ ومن التجريب الضامن لجودة الانتقاء: وضع منهجية تربوية دعوية لجيل الدعاة وأهل الولاء لهم ما استطعنا ، اي التربية الايمانية الروحية الاخلاقية، لتطهير النفوس والقلوب من الحسد وسوء الظن والدنيويات ، وتنمية شعور الثقة والعزائم والهمم والتفويض الى الله وشكره والاخبات له وتكرار التوبة وتوكيد نوايا الخير ، وهي صَنعةٌ لهج بها كتابي " المنطلق " منذ سنة ١٩٧٣ حين صدوره ، وتداولتها كتب " العوائق " و " الرقائق " ، ثم ملتُ الى وضع متن تربوي إيماني عميق في أيادي الدعاة وكل الأخيار من خلال " تهذيب مدارج السالكين " لابن قَيّم الجوزية ، فصار بعضَ نظرية التغيير وفصلاً يوفر مستلزماتها لبناء صفوف قوية نقية ، وأمثل ما يكون ذلك إنْ تصدى للتربية إمام أُسوة يقودها في كل مصر ، ولذلك قلت بوجوب اعتماد خطة التغيير على هؤلاء القادة ، (فبعض الحركة الحيوية: سبَبُها مُبادأة من مخلص مرَوع ، فيكون تجديدٌ في الدين ، وافتاءٌ صائب في أمر مُشكل عويص ، وتشويقٌ لحرية ، وفزعةٌ جهادية ، وفراسة سياسية ، ودلائل منطقية ، وتثبيتات معنوية، وأقل ذلك: البلاغة التي تستقصي الشوارد فتصوغها في نظرية جامعة ، وكون مثل هذه القضايا قدرية: فإن ذلك يعني أنها إيمانية ، لأن الايمان بالقَدَر هو جزء الإيمان العام ، ومن ثَمَّ فإن من يروم السيطرة على الحياة يلزمه تعميق إيمانه ، وتزكية قلبه ، وتصحيح نواياه ، وتكثير السجود ، والقرب من الله تعالى عبر دوام المناجاة والدعاء والحمد والاستغفار ، ليأمر الله ملائكته أن تكون معه ، ويقذف في قلب كل مسلم أن يكون له ظهيراً ، وبمثل هذه الزيادة الايمانية يهبط عليه إلهام ويحوز لمعة ذكاء ، بهما يتعرف على دربه ويُتاح له صواب القرار ورؤية الفرصة التي يدلف منها ، فيوافي بالاستعداد المكافئ في الوقت المناسب ويجد المحامل ترتفع به بإذن الله ، والملائكة تهتف في أرجاء الأرض أن قد وافى نقيٌ مكينٌ يقود الرهط الصالح فاستقبلوه!! فالأمر ليس يكفيه إعداد وتخطيط وحشد ، وإنما يلزمه من الله مدد وتوفيق وتبصير ، وشواهد السيرة المطهرة والتاريخ وافرة ، ومن لم يفهم مغزى هذه الإشارات فهو عن تناوش التأثير بعيد.).

□ ولكن بموازاة الإيمان: نحتاج تربية تطويرية إبداعية ، وجامعها: أن ننقل الداعية من التقليد الى الاجتهاد ، ومن النزعة العلمية الدائبة الى مزجها بتأمل وفكر وسياحات عقلية ، فيكون ناقداً لواقعه ، مميزاً لطريق الإجادة.

• وفي منهجية التربية: وتحت عنوان (نقطة في الخيال . . ملحمةٌ في المآل) قلتُ: (إنّ الخالق قد حبَا الانسان بعقل عجيب ، له مقدرة فائقة على التخيّل ، وإنزال ذلك على الواقع ، ومقدرة على القياس ، والترتيب المنطقي ، والتعبير الفنّي ، والاحتكام الى المعايير) (وقد أعجبتني قطعة من العمل العقلي المطلق في الفلسفة الرياضية والمنطق الهندسي نقلها أبو حيان التوحيدي عن قسطا بن لوقا عن علماء اليونان فيما يبدو) فقال: (الخط هو مقدار ذو نعت واحد ، هو الطول ، بلا عرض ولا عُمق ، وهو يُدرَك على الانفراد بالعقل والوهم ، لا بالحسّ. وأما وجوده بالحسّ: فانه في البسط – يعني بالهندسة المستوية لا المجسمة – إذ هو نهايته ، فان البسيط إذا أُلقي منه عُرضه: بقي طوله فقط ، وذلك هو الخط ، ونهاية الخط نقطتان ، فالنقطة هي شيء لا بُعد له ، أعني لا طول ولا عرض ولا عمق ، وهي موجودة على الانفراد بالعقل والوهم لا بالحسّ ، وأما وجود بالحس فهو في الخط.) .

قلت: (ولو تأملت ملياً: لأدركت ان هذا الوصف الواضح الذي تظنه سهلاً إنما هو إعجاز إنساني رفيع المستوى يُنبي عن ذكاء ومُكنة تصورية قوية ، بمثلها تتحرك الحياة ، وتتفجر الطاقات الكامنة) (بل هو جذر من جذور فيزياء الكم ، وللمنطق الذي فيه: أثر في صياغة عقل ماكس بلانك. ثم لا نستطيع أن نفصله عما اودع المهندسون في اعماق الكمبيوتر التحتية من قابلية تجسيمية وأقيسة) (وهو المؤمن فقط ينتبه الى ان حركة الحياة أساسها: عقل ونفس.)[١] .

• هذا تجريب مررنا به ، وحرية العقل جزء من التدبير التغييري وبند في نظريته ، ولكن الشاب الهتّاف الثوري لا يعلم ذلك ويظن أن هتافه هو البداية والنهاية ، من دون ان يلتفت الى العديد من اسواق عكاظ الثورية قد

---

(١) منهجية التربية / ٤٧٩

انعقدت في بيداء الفكر التحضيري الحُرّ للانتفاضات السياسية ، وأن قصائد الخيال وسبق التصور والمعادلات المتماكنات كانت تفور وتغلي في عقول المخضرمين إذ هو مازال في المهد صبيا . .!

- والتخطيط للتغيير جزء من نظريته ، وهو شرط تجريبي متواتر ، وفي الجيل العربي المعاصر بقية من ارتجال واستعجال واكتيال جزافي ، وهو فرع من منطق الوجود التنظيمي ، لاحتياجه الى الجماعية ، والى التقرير الميداني ، والعمل الاحصائي، وذلك دليل على أن التغيير صنعة دعوات وجماعات.

- ومثل ذلك: الاعلام ، هو ركن وأكبر من مجرد شرط ، وجميع افراد الجيل المعاصر أيقن بوجوب ذلك بعدما رأى الأثر الكبير لقناة " الجزيرة " بخاصة ، وأن نصف النصر ونجاح التغيير سببه النقل الحي المصور للاحداث لحظة بلحظة ، وذلك دليل آخر على الصفة الجماعية للجهد التغييري ، وانه ليس صنعة فردية أبداً ، أو سائبة ، أو شبابية مجردة ، بل وأكثر من الصنعة الجماعية: الصفة الحكومية الدولية ، وأن الحالة المثلى للتغيير أن تشارك فيه دولة تقوم بتركيز الفن الاعلامي في البقعة الثائرة، على شكل حزمة الليزر الخارقة الثاقبة للفولاذ ، فيكون الثائر بألف ، وبألفين ، وبعشرة آلاف ، وتستأسر قلوب مَن في القارات الخمس لشهداءِ يتمددون في الشوارع.

لكن الجانب الشبابي من الاعلام الثوري الكامن في ذبذبات الانترنيت ورسائل الموبايل هو شطر مكافئ بحق ، يعيدنا مجبرين الى الانصاف والاعتراف بالبذل الذي بذلوه في هذا المجال ، وما وقف خلفه من ذكاء وإبداع وسرعة تحرك وجُملة من الصفات الشبابية الفريدة من نوعها ، وذلك يوجب عند الوصف والتدوين التاريخي الاقرار بنوعين من الاعلام تعادلا فاتسقا ، لهما حق الفخر معاً.

وكل ذلك من الظواهر الايجابية والشروط الموضوعية ، ولا تكتمل نظرية تغيير بدون هذين النوعين من الإعلام ، وأقوالي في ذلك كثيرة مبثوثة في كتبي ، لا أوردها مخافة الملل.

- ثم المشاركة النسوية ركن في تنظير التغيير ، وهي صورة نالها التطور

تتأثر بظاهرة عالمية ، وهي أيضا شرط فرض نفسه واقعياً.

والالتفاتة الدعوية العامة لتربية النساء قديمة منذ فجر الدعوة ، ولكن التخصيص وإشارات البوصلة الى الدور السياسي والفكري المرجو منهن ورد منذ سنة ١٩٧٩ في كتابي " المسار " حين قلت: إنهن شقائق الرجال. ثم قلت: (قد تنطلق هذه العناية من واجب صيانتهن وتربيتهن والمحافظة على اخلاقهن والحجاب ، او من باب توفير زوجات صالحات لهذا السواد الواسع من الشباب) (تلك منطلقات صحيحة ، لكن العمل النسائي يراد له أيضا أن يكون رديفاً معيناً في التنفيذ لجوانب كثيرة من خطط الدعوة يصلحن لها ، من أظهرها: المشاركة الصحفية والأدبية ، والبحث الفقهي والتاريخي ، بل في كافة العلوم ، وأعمال المراسلة والإحصاء ، ورعاية عوائل السجناء وعموم الحاجات ، أيام المحن ، ومن الممكن ان نوجّه خريجات الجامعة خاصة لمثل هذه الأعمال.) (ولا يجوز أن تحجبنا الأعراف الزائدة على مقدار الواجب الشرعي عن مباحات من مجالات المساهمة النسائية في الخطط العامة ، أو إظهار اسمائهن الصريحة في المجتمع ، أديبات وصحفيات ومؤرخات ومحصيات ومحللات للتطورات السياسية ، طالما أنهن يتحجبن ويتعففن.)[1] .

• والدليل على أن بقية من التخلف مازالت عالقة في اذهان وتصورات بعض الدعاة في القضية النسوية ان الاخت الجزائرية الفيزياوية فاطمة مهاجري استشارت داعية بعد ربيع الثورات عما تفعل لمستقبلها ، فأرشدها الى ترك الفيزياء ودراسة الشريعة، ناسياً حصول حالة الاكتفاء في هذا الباب، فجاءت وطلبت رأيي ، فصعقتُ لهذا التصور البعيد عن المنحى الحضاري ، وأبديت لها مخالفتي ، وطلبت منها أن تدرس الماجستير ثم الدكتوراه وتتخصص في فيزياء الكم ، لانها الطريق الى الصناعات الرقمية التي هي عنوان المدنية المعاصرة ، وقلتُ لها أن ما بعد التغيير من تنمية وآفاق حضارية يوجب عليها مثل هذا الجهد العلمي الفيزياوي ، ولتبْرع فيه وتُبدع.

---

(١) المسار / ١٤٤ فصل ١٠

❑ خِلفـ العقول والفضول يُدير تُرساً فتنطلق الحماسة

▫ ولبثت نظرية التغيير تدأب سائرة في دروب النضوج والاكتمال رويداً رويدا ، أو مثل ربة بيت لديها فضلة وقت فتطبخ على نار هادئة فيكون طعامها لذيذاً ليس محروقا بلهب ، لأني ما كنت اصطنع الافكار بتكلّف ، بل اراقب مجرى الحياة وانفعل فيكون مني التعقيب واصطياد الخواطر وانعكاسات الواقع في قلبي ، ففكري عملي مهما أنماه الخيال ، ولذلك حين صدر كتاب " منهجية التربية الدعوية " عام ٢٠٠٢ أضاف مواداً مهمة في تنظير التغيير.

▫ أول ذلك: حل معضلة الحاجة الثورية لذكاء وافر ، فاهتديت الى طريق استحضار "عبقرية خارقة " وليس مجرد ذكاء ، وذلك عن طريق استثمار مغزى الصفة الجماعية في العمل التنظيمي الاسلامي ، فان التنظيم لم يتم اختراعه ليكون مجرد مخزن للعقول وتحشيد وتكاثر ، وإنما يراد منه أن يكون بيئة ومحيطاً ونادياً وآلة لحوار العقول الكثيرة المنتمية اليه عبر ندوات ومؤتمرات ودورات ولجان واجتماعات ، فيكون تفعيل الذكاء الساكن الخامد من بابٍ ، وجمعه وضمه وإضافة اجزائه بعضها الى بعض ، ليتكون من مجموعِ ألوف اجزاء الذكاء العادية المتوسطة " سوبر ذكاء " يتجاوز مستوى آينشتاين بمراحل، وهكذا يكون شأن توفير صفات أخرى ، مثل " سوبر شجاعة " و " سوبر فراسة " وجميع ما يحتاجه التغيير الجريء ، في زمن قحط لا ينتج الافراد العباقرة ، ولا تتكرر ظاهرة عَنترة.

▫ وهذا الفهم هو ما هدتني إليه فطرتي ، ولكن تلميذي المبدع مصطفى صفاءِ الوهيب نبهّني الى أن العلم الحديث يلتقي مع هذا الفهم جداً ، وقد قال لي: (وتحشيد الطاقات باتجاه واحد لتحصيل "السوبرية" منهج راسخ في العلم الحديث: إذ ما فتأ العلم يؤكد استحالة صناعة السوبرمان ، وحتى " السوبر كمبيوتر " ليس سوى مجموعة ضخمة من " المعالجات المركزية "، كل منها يشكل عقلاً صناعياً منفرداً ، يتم تجميعها وربطها في شبكة من " المعالجات " وتعمل فيما بينها بشكل متزامن: كأنها عقل واحد ومعالج واحد ، وتحتل هذه المعالجات مساحة عدة ملاعب كرة سلة ، وتتنافس الصين واليابان وأميركا في بناء السوبر كمبيوتر بتلك

الطريقة. أما صناعة سوبر كمبيوتر من معالج مركزي واحدٍ منفرد: فهذا خيال لم يفكر فيه العلماء وليس مطروقاً في البحث العلمي، إذ مهما بلغت قوة المعالج المركزي: فهو لا محالة مهزوم أمام العقل الجماعي للمعالجات المتوازية).

• (وكلنا نلهج بأن من ميزان العمل الجماعي: التنسيق ، ولكن نجهل كيفية ولادة هذا التنسيق ومراحله وصوره العديدة ، وهو جهل ضار اقل سلبياته: تعطيله للطاقات وهدره بعض (أكمام) طاقات الصفات القيادية التي تيسرها طرائق الفيزياء الدعوية كمثل تيسير فيزياء الكم حصول تأثيرات الأشعة والموجات الضوئية والكهربائية ، سواء بسواء ، لأننا نعيش وإياها تحت سقف واحد اسمه " الحياة " التي تخضع لقوانين واحدة وظواهر متكاملة ، وكما صرخ ماكس بلانك الصرخة الثانية في التاريخ بعد صرخة أرخميدس الاولى وصَدَع في برلين أن قد وَجَدها: ان الطاقة ليست سيلاً متصلاً ولكنها أكمام متقطعة متتالية: يؤذَن للداعية الباحث عن فقه الدعوة ان يصرخ أن وقد وجد " معادلة التأثيرات القيادية " وأنها نفس معادلة بلانك تماماً ، وأن الطاقة الدعوية القيادية إنما هي أكمام موزعة متكاملة) (هنا يأتي أسلوب تركيب الاجزاء الصغيرة المتناثرة والشظايا المبعثرة ، كفرع علمي للأداء الدعوي الجامع ، فينضم ألف جزء من الشجاعة عبر الخطة لتكوين " كتلة شجاعة " تحتل حيّز الشجاعة في الوصف النموذجي للقيادة ، وتملؤه الى حد الكفاية وزيادة. وينضم الف جزء من الذكاء عبر المراكز واللجان لتكوين " كتلة ذكاء " تحتل حيّز الذكاء في الوصف النموذجي للقيادة ، بل وتتحول الى " عبقرية " كاسحة للعقول الفردية التي تعاكسها.)[١] .

ثم يأتي شاب يحمل الكمبيوتر الى ساحة التحرير ، ويفتخر أنه هو وأصحابه لا ينتمون الى تنظيم ، وان ذلك هو سر نجاح الثورة.

كلا ، بل سرّ النجاح السهل أن الجنرال حسين طنطاوي التقت خطته مع خطة شباب التغيير فرفع عنهم العناء ولم يضطرهم لبذل كثير وتغدى

---

(١) منهجية التربية / ٤٤٠

بمبارك قبل ان يتعشى به ، وهناك نشاط تنظيمي تراكمي قدمته الدعوة كان السبب الثاني في النجاح ، والفردية جزء من الثورة ، ولكنها الجزء الاضعف ، ولذلك قلتُ في نونيتي:

ناقِدَ "الإخوانِ" مَيِّز سَمْتَنا قَدِّم الإنصافَ والزمْ رُكْنَنا

راجَ رأيٌ صاغَهُ جَمْعٌ زَكا شاوروا ثم رَعوها سُنَنا

مِن لِقا عَقلين تُرجَى القِدْحَةُ مَنطقٌ لاقى حِواراً سَنَّنا

نَدرسُ الأحوالَ في مَشْوَرَةٍ ثُمَّ نُصغي لخبيرٍ أتقنا

في ثُباتٍ عن ثباتٍ تَنْتَشِرْ عَدُّ ألفٍ من ثُباتٍ عِينُنا

زاولوا الإصلاحَ في يومِ الخَلَلْ حَفِظوا الوُجهةَ عند المُنْحَنى

فاستقامَ الصَّفُّ وانساب الرِّضا في شُعورٍ يَملأُ النفْسَ غِنى

نحنُ نَدعوكَ لِفِكرٍ وَسَطٍ قُمْ فصافح ، وانطَلِقْ: هَيّا بِنا

• و " ثُبات عن ثبات" أي الانتشار والتعبية عشرة عشرة ، في ساحات المعارك والعمل ، والعِين فقط الذين هم القيادة واصحاب المهارة تعدادهم عشرة آلاف ، فاين هذا من عمل فردي. الانجاز كان إنجاز الجميع ، جماعات وأفراداً ، ولكن ليس النمط الفردي سبب فخر ، بل أعمق أثراً منه العمل التنظيمي ، والله يشكر سعي الجميع ، الافراد والتنظيمات والجنرال طنطاوي إذا فهم حركة الحياة وسلّم الحكم للمدنيين الذين انتخبهم الشعب ، ثم الشهيد أفضل منا جميعاً ، واولئك المئات الذين تضرّجوا بدمائهم في الساحات والشوارع هم الذين صنعوا التغيير في الحقيقة.

❑ وقد انتبه تلميذي مصطفى صفاء الوهيب الى اعتدال سمتِ تنظيم الاخوان وعدم تورّطه في ارتكاب سلبيات شابت أعمال التنظيمات الحزبية الضيقة ، وما عند الاخوان من تربية علميّة وإيمانية ترفعهم عند الاختلاف عن السلوك التنافسي المعيب، وقد قال وهو المصيبُ أنه مع (حتمية التنظيم لصناعة تغيير حقيقي يرتقي بالمجتمع نحو حضارة وتنمية: يتخوف بعض الشباب من استحالة التنظيم الى تحزبٍ يجرّ معه بشاعة العنصرية والفرقة ، ويغمر الواقع بسلبية المشاحنات والانقسامات ، وهم محقون في تخوّفهم ، إذ لم يعرف الشباب ولا آباؤهم تنظيمات سوى تلك العلمانية منها التي أوغلت في الصمت أو اتباع سطوة الحزب الحاكم ، وهي تنظيمات خاضعة لأهواء منظميّها ، وهي بلا شك أهواء بشرية ، لا نتوقع منها سوى الارتكاس في معارك شخصية باسم تلك التنظيمات ، خدمة لمصالح من يقف وراءها ، لكن ليس هذا حال الدعاة وهم يتقدمون الصفوف الثورية الان: إذ تحكمهم اخلاق الخلاف وفقهه ، ومبادئه بسيطة منشورة في أدبيات الاخوان ، ومعلقة على الحوائط في شكل وصايا بسيطة ، أطلقها البنا ، ومضت بانية لأصول التعامل مع التنظيمات ، بلا فرقة ومشاحنات ، ومنها: "الابتعاد عن تجريح الأفراد والهيئات والمنظمات" ، فالاخوان ليسوا معنيين بالتجريح ، إنما هم منظمة تشبه في جوانب منها: منظمة صناعة العسل التي تديرها ملكة النحْل ، إذ يقوم التنظيم لأجل فائدة البيئة المزروع فيها ، فيتفاعل إيجابياً مع ما حوله ، فيأخذ ويمنح عسلاً ، ولا يعبأ بأصوات نشاز أو تحرشات ، ولا يتعصب ، ولا يحتكر الساحة مدعيا فضلاً أو مهوناً من شأن آخرين يعملون ، فهو يعمل لأجل محيطه ، وهو صامت حين تكون الأصوات متشاحنة مملوءة بالعنصرية والبغضاء ، إذ العاملون لا وقت لديهم لترّهات القيل والقال ، ثم تأتي وصية أخرى لتزيل السلبية ، وتزرع الايجابية مع الآخرين ، إذ ليس الاخوان مغرورون بانفسهم ، فما هم سوى طرف عامل من أطراف كثيرة في الساحة ، والاختلاف ضروري وحتمي ، لذا قال البنا: "نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه" ، وهذا يحمي الجميع من خطورة التفرقة الناشئة عن التحزب: إذ تنظيم الاخوان لا يؤدي الى تشظٍ في الساحة بقدر ما يزرع فيها معايير التوحيد والتعاون ، والتماس

العذر عند الخلاف ونبذ الفرقة ، وإحسان الظن عند تعدد الأصوات ، ويرسم الإخوان خطاً قياسياً عالياً عنوانه خدمة المجتمع وبذل العطاء ، واستهلاك العقول النفوس والجيوب للصعود والنماء ، والتنافس يكون وفقا لذلك الخط ، وإنما يرتفع حزب أو ينخفض بقدر خدمته لمجتمعه وناسه وبيئته ، وقبل ذلك: يؤكد الدعاة دوما أنهم "إخوانٌ" يحرصون على الوحدة والأخوّة ويدعمونها ويتحاشون الخلاف ويخففونه ويحرصون على تجميع المتشابهات وتقليل المتعاكسات ، كل هذا في إطار حاكم: "مسلمون"!. وهذا النمط من الحزبية الإيجابية المتعاونة المتآلفة مع مثيلاتها من الاحزاب ، الراسمة لخطٍ عالٍ من التوحد والتجميع وتحجيم الخلاف ، لم يكن يوماً موجودا بسبب بطش الطغاة ، يوم كان الإخوان يملئون السجون بدلا من المراكز البحثية والأندية والجامعات ، لذا فالشباب معذورون إذ لم يسمعوا عن مثل هذا الحزب الفاضل الواقعي بمثاليتيه سوى الأن ، إذ لمّا تتشكل تلك الصورة الحسناء لتنظيمات الدعاة العصماء ، أو عمّا قليل ستتوضح)، والتخوّف من حزبية الاخوان إنما هو دعاية مخابراتية يجب ألا تنطلّي علينا ، وأن لا نتابعها.

❑ وجاءت منهجية التربية بمورد ثانٍ للضغط والتأثير ، وهمُ " الغوغاء " أي عامة الناس من البسطاء والفلاحين والخبازين وعمال البناء وأمثالهم ، والمفروض أن نتجاوز الصدى السلبي لاصطلاح " الغوغاء " ، إنما هكذا هي لغة العرب سَمّتهم ولا تريد الشتيمة ، فهؤلاء فيهم أنواع جهالات وأخلاق طمع وبعض فسوق ربما ، ولكنهم اقرب الى الفطرة والتضحية والصراحة وتكوين حملات ضاغطة ، ويجب ان نتودد لهم اذا أردنا التغيير ليلتحقوا بركبنا من غير ان نمنحهم صدارة وقيادة.

(في الناس اصحاب نقص متعدد الوجوه) (لكن سلسلة المنافع لا تكتمل بدونهم، بل تقوم بهم المصالح الدنيوية والدينية ، ولذلك يكون واجب الرؤساء ان يتعاملوا معهم على قدر قيمتهم ، بتمكين الشجاع ، وتقديم الكريم ، وتفريغ العالم ، ثم ترك العامة يسدون الثغرات ، يتوزعون على المهن والصناعات والفنون ، لتكتمل الحياة وكما راعى اكثر الملوك والخلفاء ذلك في القديم: تراعي النظم الحديثة هذه السياسة المعتمدة على تلك الحقيقة ، فتركت الناس واختياراتهم ، وأذنوا لهم بتأسيس

نقاباتهم ونواديهم وجمعياتهم ومدارسهم) (والعمل الدعوي الناجح الذي يبغي دوران دولاب العمل الاسلامي إنما ينطلق من نفس هذه الرؤية الفطرية) و (نقترب من العامة الذين لا يليق ان تحويهم صفوف الدعاة ، فنجمع جزئيات الخير الصغيرة المتوزعة فيهم على طريقة تركيب الشظايا تلك ، مهما كانوا فُسّاقاً في القياس الشرعي إذا لم يكونوا أهل دناءة وإسفاف ، ومهما كانوا أصحاب نقص فطري وقلة ذكاء وضعف في القدرات.) (فإن الخطة الدعوية تدير دولاب العمل الدعوي والتأثير الاسلامي بهم، وتجعل السيطرة عليهم وتحصيل الولاء منهم وتسييره في الطريق الصحيح والتحكم به رقماً في معادلة السيطرة الاسلامية على الحياة.)[١] .

وآليات الانتخابات البرلمانية التي نشارك فيها ، ثم الإيماء والانعكاس النفسي للتربية الديمقراطية في الحياة العامة والاعلام: اقترب بهؤلاء العوام والفقراء من طبقات النخبة دونما شك ، وصاروا بشكل تلقائي ضمن العملية السياسية في كل البلدان ، ولكن على درجات ، ولذلك فان القول بوجوب انعطاف نظرية التغيير لتشمل جهدهم واستثمار إمكاناتهم إنما هو قول منطقي يواكب حركتهم الانسيابية الطبيعية ضمن المحيط السياسي ، وليس في الأمر تكلّف ، وإنما أردنا من خلال اشارات القدماء إثبات الجذر القديم لهذه الظاهرة المعاصرة ، وان الخطة الاسلامية لو ماشت هذه الظاهرة واستثمرت عطاياها فانها تكون مقاربة لعُرف سائر غير معيب.

- ومن الظواهر المنتجة لزخم تأثيري سياسي: ما استوفينا شرحه في منهجية التربية من خطط ممارسة الدعاة للصناعات ، وإثبات الإيحاء التربوي الايجابي الذي تحتويه، لما فيها من دقة الحساب والقياس ، والإبداع التصميمي ، والتعامل مع مواد معدنية صلبة ، فتكون البيئة الصناعية سبب نشوء دعاة أقوياء أصحاب منهجية وضبط ونمط ابتكاري اجتهادي ، وقد فشلت الدعوة في تحقيق نموذج صناعي حقيقي كبير، لكنها لامست واقتربت بمقدار ، أتى رغم صغره بنتائج اولية ساهمت في تطوير العناصر الدعوية ، وربما انعكس مثل هذا الايجاب الذي تحقق في

---

(١) منهجية التربية / ٤٧٢

المهاجرين الى اوربا حين ارتفعت بمستوياتهم ممارساتهم الصناعية في بلاد متقدمة: على دواخل بلادنا بشكل وعي وتشجيع على طلب الحقوق المدنية والسياسية ونوع تحريك تغييري يكمن بنسبة صغيرة خلف ما حصل فعلاً في الربيع العربي ، ولاشك أن شيوع الكمبيوتر خلال العقدين الأخيرين ، والموبايل: أحدث نهضة في مستوى الإدراك ، أي لمجرد التعامل مع ما فيهما من تقنية متقدمة ، فكان التنادي التغييري اقوى واكثف واسرع ، وأما استخدام الانترنيت والفيس بوك فهذا مقدار آخر زائد على إيحاء التقنية والفن الهندسي ، ولهذا يمكن ان نقول ان انبعاث حملة التغييرات وسريانها السريع إنما هو نتيجة طبيعية جداً للحياة المدنية التقنية المعاصرة ، وانما فَعَلَت ما يساوي التخطيط والتربية من فعل وأثر ، ولكن الطغاة لم تسمح لهم مستوياتهم العقلية ان يدركوا ذلك ليسترضوا الناس ببعض التنازلات ، ولبثوا في وهم السيطرة ، فكان الانفجار.

ومن هنا قلتُ في نونيتي . . .

يَصنعُ الرقمُ الحياةَ الحاضِره فَلْنَقُدْ (فوتونها) تَخضعْ لَنا

إنْ نَقُدْ سُوْحاً بفنِّ السيطره بِعلومٍ إثْرَ إعلام الرَّنا

: يَرِدُ التمكينُ مِن غَيرِ دِما بسلامٍ من إلهٍ أمْكَنا

❑ أرهاط أئمة فقهاء تتولى الاستنباط وتمييز المصالح

❑ وحين صدر كتاب " اصول الافتاء والاجتهاد التطبيقي في فقه الدعوة " عام ٢٠٠٢ بأجزائه الأربعة: روّج لثلاثة معانٍ مهمة تصف ما ينبغي أن يكون عليه الأداء القيادي وينعكس بشكل ايجابي على عملية التغيير:

- أولاً: وجوب المنحى الاجتهادي الاستنباطي في الفكر وعمليات التخطيط والمواقف ، لا التقليد والجمود عند مذاهب الاولين ، لاختلاف الظرف وتعقد الحياة وطروء اشكال جديدة من العلاقات.

وفي صُداح داعية انه:

قد نَما الفِقهُ وتجريبُ الذكيْ باجتهادٍ في نُصوصٍ أمْعَنا

قِسْ وقارِن وانتبه إذ رُبّما ضُمِّنَ النصُّ الفُروقَ الكُمَّنا

أي نحن نندب الداعية (ان يجتهد ويقيس ويرى الاشباه والنظائر ، لكن مع رؤية مع يكملها في الجانب الآخر المضاد لها ، وهي رؤية الفروق الكامنة في ثنايا النص ، ولا ينتبه لها المستعجل وتحتاج التدقيق) واذا حصل ذلك: (تكيفت الدعوة مع الواقع الجديد العالمي من غير إخلال بالمطلوب الشرعي.).

وعلى كلٍ: فهذا شرطٌ في نجاح العملية التغييرية ، ولكن لا يراه التنفيذي الواقف في الساحات ، الصارخ بالهتافات ، وإنما هو شُغل فكريٌ أُصولي تعانيه القيادات ، ويرفل الجمع بنتائج النظر دون أن يدري قصة فوران العقول وأزيز التقعيد والتأصيل والتخريج والتفريع ، او الاتصال بين المبتدأ والخَبَر . .!

- وثانياً: الحرص على تحقيق أوفر المصالح للمسلمين عند هذا الاجتهاد ، ودفع ومنع أكبر المفاسد ، وهو نمط الاجتهاد الذي اسسه مالك ، ثم وسّعه العز بن عبدالسلام ، فتلقفه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، رحمهم الله ، حتى صار هذا الاجتهاد المصلحي هو الحل الذي يُسرع اليه الفقهاء كلما دهمتهم معضلة ، وفي تخميني انه استوى في هذا العصر ألف بحث قدمه طلاب الماجستير والدكتوراه حول تفاصيل في الاجتهاد المصلحي في كل العالم ، وبذلك صار الموضوع واضحاً ، ونلبث خلاله عند مذهب جمهورهم ، ونترك شذوذاً وتساهلاً ارتكبه قلائل ، والتقوى وخوف الله معيار انتقاء.

ولكن هذا النظر في الموازانات المصلحية يريد البعض ان يتجاوزه الى الاستدلال بالمقاصد العامة للشريعة ، ورعاية المقاصد حَقٌ وسلوك

اصولي، ولكن من بعد جعل النظر المصلحي رقيبا على كل اجتهاد مقاصدي ، وليس ان نهمل ونلغي المقارنة المصلحية بل نبذل الوسع في الحرص على تحقيق وصف مصلحي هو من جنس مصالح الشرع ، وعلم العِلل القياسية يفيد في ذلك ، فهذه الرغبة في تجاوز اسلوب التزام المصالح الاصولية هي رغبة خاطئة ، لانها تؤدي الى اوهام ولين في تفسير المقاصد الشرعية ومداها.

ومرة اخرى نشير الى أن الجيل التنفيذي لا يدرك دقائق هذه القضايا ، ولا يميز الخلل في اجتهادات المتساهلين.

● من هنا ظهر الامر الثالث ، أو المعنى المنطقي الثالث الذي يمنح صفة الواقعية للمعنيين الأولين ، ويتمثل في الحرص على وجود رهط من الدعاة علماء في الشريعة ويستطيعون الاجتهاد وافتاء الحركة الاسلامية وتوصيف الحدود الفقهية للعملية التغييرية، في سلمها وحربها ، وحلفها وصولاتها ، بحيث يتعمقون في فهم القرآن والحديث واقوال المذاهب ، ويحوزون ثروة معرفية عامة وفلسفية وحضارية ، ليميزوا المصالح والمقاصد جيداً ، فيضبطوا زوايا المثلثات والمسدسات والعشاريات التي يدخلها زحف التغيير، وبحمد الله ساعدت الأقدار الربانية على ظهور أئمة فقهاء في البلاد التي رادت التغيير ، فكان بمصر الدكتور سيد نوح رحمه الله ، والشيخ الخطيب ، وثلّة خيرية واسعة ، ومن أمثلهم فضيلة الشيخ الأصولي البارع محمود عبدالرحمن. وكان في ليبيا الدكتور علي الصلابي الذي أعاد قراءة كل التاريخ الاسلامي وتعمق في تحليله من أجل ان يضبط بوصلة أهل التغيير ويرسم اتجاهاتها ، والشيخ سالم الشيخي ، والمحلل السياسي الفقيه ناصر المانع ، ثم الانفاس الفقهية المشيخية حاضرة بقوة في المجلس الاستشاري للثورة السورية المباركة ، والبؤرة الدكتور البيانوني ، وتحت المعاناة شيخ القرّاء الراجح الكريم، وفي كل البلاد نجحت الحركة في ان تضيف العنصر الشرعي لفنّها القيادي ، ولكن الهبة الكبرى العالمية التي تجاوزت الاقطار ،وصورة البركة الربانية التي ظاهرت جميع الثوريين: كانت في وجود إمام العصر ومقرِّر الوسطية وداعية التغيير فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي ، فقد قاد بالنص والاجتهاد ، وميّز المصالح والمقاصد بعينٍ فراسية نافذة ، وأفتى وخَطَب واشاد وبَعَث الحماسة والحَميّة ، وصعد

بالهمم ، وجاهد وحاجج على مدى نصف قرن ، حتى نضجت روح التغيير وبدت الفرصة وأعانت الظروف ، فشَخَصَ وأيّد واشار ودفع ، وصار سفير الفقهاء الى دواوين الثورات ، فأعانها على الخطو الموزون ، وأراد جاداً ان يرجع لمصر ويقود جموع ساحة التحرير، ولكن دعي الحكمة خَذّله ، فرفعت هذه المحاسن اليوسفية اسم الشرع عالياً ، وثبتت هوية اسلامية عامة للتغيير بحمد الله ، ولكن لأن التغيير كان شعبيا ومحل إجماع: دخلت على الخط مجاميع علمانية ، واندساسات اجنبية ، فصارت في الصورة نقاط تحتاج التنقية على مهل وبرفق ، وزاويا داكنة يراد لها إضافة وتنوير ، وكتلة الشرعيين في حملة التغيير يمكنها أن تقوم بذلك وتعيد الرسم والالوان والخطوط بتشاور مع المرجعية القرضاوية المباركة.

❑ الروح العراقية . . . حين تعشق الحرية

❑ وحين رجعتُ الى العراق بعد الاحتلال الاميركي وظننت أني انهيت هجرتي الطويلة: صار للواقع تأثير على نوع كتاباتي ، فوضعت الكثير من الرسائل والمقالات في بيان السياسة الاستعمارية الاميركية ، ووحشية المخابرات الايرانية الناشطة تحت مظلة وحراسة المارينز ، وادواتها المتمثلة في فيلق بدر وجيش المهدي ، مما جمعته لاحقاً في كتاب سميته " بوارق العراق " طبعته الدار الخلدونية في الجزائر ، واردفته بكتاب مثيل له جمع رسائل اخرى في نصرة الجهاد العراقي ومقالات سياية سميته " أخبار عراقية " وكأنه الجزء الثاني في موسوعة التعريف بالقضية العراقية من منظور إسلامي ، وظني أني سأكتب الجزء الثالث قريباً ، وربما تكون الحاجة لرابع لتتم الموسوعة ، وفي هذين الكتابين خصوصية عراقية ، ولكنهما غنيان بملاحظات عامة في فقه الدعوة ، وفيهما أطراف من تنظير التغيير كثيرة ، ولا تكتمل النظرية بدون ضم ما فيهما من رؤى واجتهادات ونقد وتصويب وتخطئة ، والوف شباب الدعوة النجباء من تلامذة مذهبي في فقه الدعوة والذين يحرصون على جمع وحيازة كل كتبي واشرطتي أحثهم على ضم هذين الكتابين الى مكتباتهم الخاصة ، لأنها جزء من

" إحياء فقه الدعوة " ولا يكتمل القول إلا بهما.

❑ وأول الدروس الظاهرة في هذه التقارير العراقية مما يشرح فقه التغيير: أن الفكر الاستعماري حي وقائم وموجود ، وأن أميركا تمثل نموذجا رديئاً من هذا الفكر فيه قسوة وإرهاب وعدوان على الارواح والاموال والدين والاخلاق ، ولذلك يجب ان نجاهد ونقاوم هذا الاستعمار أينما غزى واندس حتى ولو حصل على إذن دولي ، والقصة واضحة في تخريب البنية التحتية العراقية ، وبث الفُرقة بين أبناء العراق ، وغرس عوامل تقسيم البلد، وتمكين الموساد الاسرائلي من النشاط تحت رعاية اميركية ، والتعذيب في السجون ، ومحاولة غرس الثقافة الاميركية ، واصطفاء عملاء، وعزل العراق عن منظومة الأمن العربي ، وافتعال نشاط باسم القاعدة من اجل تشويه سمعة الجهاد وزعْم وجود تطرف اسلامي.

● وإذاً: إذا دخلت أميركا على خط التغيير في أي بلد وحاولت الاختراق وتمكين ممثليها والمتعاونين معها: فيجب الحذر ، وتقليل التعاون معها الى أقل حد ممكن ، والممنوع الذي لا خلاف فيه: أن ترسل جيشاً الى ارض بلد التغيير ، أو خبراء وجواسيس مخابراتها للقيام بالتدريب والتنسيق ، لأنها الأقوى وستكون لها الكلمة النافذة ، وفقه الاستعانة يوجب أن يكون حكم الاسلام هو الغالب. نعم هناك فروق في سياسات رؤساء أميركا ، وأعتاها كانت سياسة بوش ، ومن الصعب تكرارها بعد الأزمة المالية وحصول تلقين جهادي عراقي مؤلم للمارينز ، ولكن الحذر أولى ، والذي حصل في ليبيا من اسناد جوي أهون ويوفر بعض هذا الحذر ، ولكنه أيضاً لم يكن قرار قادة إسلاميين ، ويشفع له ويهوّن مخاطره انه ليس اميركياً خالصاً ، بل فرنسياً وألمانياً وايطالياً ، والفكر الاستعماري الآن في هذه البلاد الاوربية أقل بكثير مما هو في العولمة الاميركية ، واستهتار القذافي كان عظيما ، ولذلك يكون اي ضرر محتمل من الاعانة الاطلسية او الاوربية أقل بكثير من ضرر القذافي لو استمر يحكم ، فالمسألة فيها موازنة بين مقادير ضررين، فاحتملنا ادناهما من اجل دفع أكبرهما ، مع وجوب فتح العين عند التعامل المستقبلي.

● والميزان في الثورة السورية مثيل ، والأصل أن لا نسمح أبداً باسناد

أميركي أرضي، والبعض تخوف من معاهدة سلام مع اسرائيل تفرضها اميركا بعد التغيير ، والمفروض ان نمنع ذلك ما استطعنا ، وتحريم الصلح مع اسرائيل بند في فكر التغيير أصيل ، والنظام السوري يزعم انه ضد اسرائيل ، ولكن نلاحظ انه لم يسمح بإطلاق طلقة واحدة من أرضه ضد اسرائيل على مدى أربعين سنة ، وهو حكم مهادن لاسرائيل ومستعد للصلح ، ولذلك لا يمكن ان يكون حكم الثوار لو نجحوا ابعد في حماية اسرائيل وعقد السلم معها ، بل أقل جزماً ، وبذلك تصح مرة أخرى قاعدة الموازنة بين ضررين ، والشبهة قائمة فقط من جهة انه يسمح لمنظمة حماس الجهادية التواجد في أرضه ، لحسابات سياسية له ، وهنا المعضلة التي يراد لها حُسن تملص، وسوف لن يكون حكم الثورة عدُواً لحماس ، بسبب معادلات واسباب كثيرة ، والأمر متعلق بوضع جيد تعيشه حماس في غزة نتيجة التغير في مصر ، وبتأثير كل الثورات.

● ومن فقه أيام العراق أيضاً: تأييد جهاد حماس ، وتحية وقفة غزة ، وقد دونت في ذلك رسالة " رمزيات حماسوية " التي طبعت أيضا ضمن " بوارق العراق " ، وبذلك صار الجهاد الفلسطيني بقيادة حماس بنداً وفقرة مهمة في نظرية التغيير ، وفي هذا الجهاد إشعاع ، وطاقة نابضة ، وروحانية آسرة ، وعِفّة نادرة ، وأصالة ، وقد انعقد عليه إجماع ، ولذلك تسري همسة منه الى نوادي كل ثورة في كل بلد ، وتنتقل نفحة منه طيبة فتؤدي الى انتعاش القلوب المؤمنة وتدفعها نحو التغيير ولواذ بألمعي نِحرير يقودها الى التحرير.

وقد قمتُ بتحية الجهاد في " الرمزيات " وشرحت كيف (نشأت حماس وفرضت نفسها في الساحة ، وصارت تمثل كتلة جهاد ، بأيادٍ طاهرة ، تتقدم على بيّنةٍ ودراسة ورؤية استراتيجية واعية ، ووضوح عقيدي وفكري ، فصار يُؤذَن لكل مسلم أن يُبشر بنصر منتظَر) (وهذا هو الذي يجعل لطريقة " حماس " في الجهاد القيمة الكبرى ، فالقضية غير متعلقة بزعامة ولا بانتخابات، وإنما بمنهجية شاملة ومنظومة قِيَم وخطط متكاملة، وجدارة حماس فرع لوضوح الطريقة ، وإبداع قيادتها إنما هو من نتاج الفكر الذي تؤمن به.) (وكما كانت الوسطية عنوان سلامة الفكر الاسلامي لما أرادت ان تجنح به التطرفات: فإن الوسطية السياسية

الجهادية هي الركن الأوثق الذي اسندت اليه حماس ظهرها ، فاستقامت مواقفها ، وصار التعقل سِمة لها) (وحماس في جميع خطواتها إنما تُوازن وتداري ، وتشد جاذبة ثم ترخي ثم تشد ، وتلك هي قوانين الممارسة السياسية والجهادية، وصورة قادة حماس هي صورة البحّارة تميل بهم سفينتهم ، بدفع الريح الشراع ، فيجذبون حِبال الشراع من أجل التوازن ولئلا تنقلب) والذي (يهمنا من أمر حماس: توازن الأداء والمواقف في أيام صعبة ، معادلاتها معقدة ، وشدّ الحبال أصبح فناً دقيقاً ، وعلى من يريد الإبحار الآمن أن يتقنه ، والشهادة وافرة أن حماس قد أتقنت ووفّت ، وسبب نجاحها ونيلها الإتقان: أنها لا تعتمد العمل الجماهيري الكمّي ، وإنما العمل التربوي الانتقائي والتقاط الصفوة وتعليمها في الخلوات وتفقيهها قبل تدريبها للمصاولات ، فتتوافر عناصر: لها مع قوة الشكيمة بُعد نظر ، ويكون الالتفاف الجماهيري مظهراً لوجود هؤلاء الجنود الفقهاء.) ، إن (السيف جعلته حماس أكرم مواهب الله لأهل فلسطين) والقوس يضعها المجاهد: (كأنها في صدره تحت العُنُق . . مثل هلالٍ بين ليلٍ وأُفُق) (صارمٌ يقف منتصباً ، وقد رسم القوسُ ورمز القوة فوق قلبه هلالاً هو رمز الفطرة والإسلام ، فتداخل المعنيان وتكاملا ، فصاغا مهابة وجلالا. وتلك طريقة حماس من يوم جزمت بهويتها الاسلامية ، فوضعتْ كل التراث التجريبي الجهادي منهجاً تربوياً لمجاهديها.) وتلك هي قصة (صيرورة المجتمع الفلسطيني المهتم بالقضية الفلسطينية بيئة جيدة الاوصاف لتلقين وتعليم فن الجهاد لكل العالم الاسلامي ، بل والفن الثوري لكل العالم) (والكتلة الفلسطينية الجهادية الناصرة للقضية الفلسطينية وصلت الى هذه الدرجة من الامتلاء بالزخم الكامل وإمكانية سريان طرائقها وخططها وقناعاتها وتجاربها الى كل قضية اخرى فيها ضُهدة وظلم) (وفي الشأن الفلسطيني يتواجه اليوم رصيدان يتنافسان: رصيد الجهاد والإيمان والصدق والإخلاص ، ورصيد أُوسلو والخنوع والفساد الاداري والتسلقات على أكتاف المستضعفين ، وما ينبغي أن يخدع الخَبُّ " خالداً ".) بل نرشحه ان يستمسك (بمذهب الاستقلال، تحت سحاب السماء وأغصان زيتون خُضر وسعف نخل) (ونفاخر باكتشافنا لمذهب الاستقلال في يوم الاختلاط) (ونشمخ بمذهب

الاستعلاء في الطريق المستقيم السامي.)[1].

ولذلك تصاعدت حماستي مع فوران الجهادين العراقي والفلسطيني ، وطبعتْ الرمزيات الحماسوية طبعتَها في قلبي ، وأعجبني جهاد الفقهاء ، فقلتُ أبياتاً ثورية لم أنشرها من قبل وهذه أول إذاعة بها . . .

ثورةٌ أزّت سلاحاً قعقعه
قادها الفتيةُ صارت زَوبعه

قد نما عزمُ رجال الصومعه
أطلق الطاقةَ هَدْرُ الفرقعه

لازموا المحرابَ يبغون الصفا
بسرورٍ يحملون التَبِعَه

أدركوا أن التحديْ قَدَرٌ
إن يكنْ صَبرٌ تُجَلّى المَفزعه

الجهادُ المحضُ أولى صيغةٍ
أي سِلمٍ مع باغٍ مصرعه

ديدنُ المسلمِ نُشدانُ العُلا
أرضعتْ عِزّاً فنِعْمَ المرضعه

أُمتي محروسةٌ من زلَلٍ
صانها فِقهُ سِجال المنفعه

(١) بوارق العراق / ٥٠٧ - ٥١٩

شـافـعٌ عـن أحـمـدٍ أو مـالـكٍ

فمع النعمان: حِلفُ الأربعه

بأصـولٍ أو بعينِ الـمصلحه

أُنضجتْ فتوى دُروبٍ مُوسِعه

مَن يُرد إحصا مراقي أُمتي

فليواكب حشدَ يومِ الجُمُعه

أو يـراقـبْ سـعـيَ كـونٍ كـلّـه

(غَـزّةً) ينـصرُ يوم المعمعه

• أزّ بمعنى الحركة الشديدة ، كما في ترتيب القاموس المحيط/ ٥٢ ، والاشارة الى اننا نلتزم فقه المذاهب الأربعة ، دون خامس ، وفتوى الدروب الموسِعة هي فتوى المصالح التي إذا رأت ضِيقاً مالت الى التسهيل ورفع الحرج واعتبرت الضرورة.

❑ نظرية التغيير تحتاط إزاء البدعة والشعوبية الفارسية

❑ وتجريد تشاورنا مع هؤلاء الفقهاء الأربعة جاء عندي في السياق على هذه الصورة قبل ما نويت أن أذكره من مفاد التجربة العراقية وشخوص درس فيها يكشف سلبيات طبيعة التعامل الإيراني الفكري والعقدي والسياسي ، وذلك لاستناده الى التربية الصفوية ونزعة التشنج التي حملها الشاه اسماعيل الصفوي عن أخواله حكام مدينة جنوا الايطالية وأمه البارعة الحسن الاميرة التي ارسلتها عائلتها الى ايران لتتزوج أحد الطامحين للحكم وتنجب منه ولداً لقنّته أن يكون أكثر طموحاً من أبيه وأرضعته البدع وكراهية العرب في ثوب من التشيع الرافضي العنيف وليقوم بمهمة ضرب

الدولة العثمانية من الخلف وايقاف زحف جيوشها في اوربا بعد ما وصلت الى مدينة اوداين الايطالية التي رأيتها على سفوح جبال الألب فوق فينيسيا البندقية.

والخميني استاذ في الثورة ، وفنونها وطرائقها ، ولذلك ينبغي أن تدرس نظرية التغيير ثورته جيداً من اجل الاقتباس منه وتعلّم الصنعة ، وقد ورث بنجاح التمهيدات السياسية لرئيس الوزراء مصدق ولآية الله كاشاني ، واستثمر التأجيجات الثورية لجماعة فدائيان إسلام وزعيمها البطل الشجاع نوّاب صفوي الذي صافحتُه وبايعته على الجهاد والانكار على الظلم يوم زارنا ببغداد سنة ١٩٥٤ حين كنت شاباً في أول شبابي ، ولكن سلبية الخميني أنه لبث مع النمط الصفوي في التشيع ، وقد شرح المفكر الايراني على شريعتي نوعين من التشيع: عَلَوي ، وصفوي أضاف سب الصحابة والمناحة السنوية على الحسين رضي الله عنه ، وجنح نحو شعوبية شديدة ، أي كراهية العرب ، ومن هنا صبغ الخميني جيوشه ومخابراته بهاتين الصبغتين البدعية والشعوبية ، فلما وجد خلفاؤه فرصة لتدمير العراق من خلال التعاون مع المحتل الاميركي: دمروه وخرّبوا بنيته التحتية وقتلوا كبار ضباط الجيش القديم واغتالوا علماء أهل السنة والجماعة وطائفة من الاساتذة والتجار والنبلاء ، واسرفوا في قطع الرؤوس ، وتهجير أهل السنة من بغداد ونواحيها لتصير أكثرية سكانها من الشيعة ، في حملة منظمة عاتية اضطر معها خمسة ملايين من أهل السنة للهروب الى سوريا والاردن ومصر والخليج وبلاد أخرى ، فكان كل ذلك المرحلة الاولى من التوغل الايراني في العمق العربي ، فلما صار ربيع الثورات العربية: بدأت ايران المرحلة الثانية من الاختراق، وبمصر خاصة ، وصرفت الاموال لتشجيع بعض العناصر على اعلان تشيعها والارتباط بها ، ثم ايدت مطالبتهم بتأسيس حزب سياسي بمصر ، وضاعفت تعاونها القديم مع الدكتور سليم العوا ودفعته للترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية ، واستثمرتْ طموحه العارم ، وهو خريج بريطانيا وتلميذ المستشرقين وبضاعته في علوم الشريعة والعقيدة لا تكفي لتمييز البدعة ، أو هو صاحب تمييز ولكن توسّع في التأويل لينال مطمحه ، ثم أحاطت العناصر الايرانية صديقنا الاستاذ كمال الهلباوي ، ومازالوا يغرونه بالوساوس حتى صرعوه

وأصبح داعية لايران وسياستها ، وكنا رأينا منه وعياً للقضية الافغانية ، ولعدوان العولمة الاميركية، فظننا ان وعيَه سيكون مانعاً له من الانخداع بدعاوى ايران معاداة اميركا ، لأن التعاون الاميركي الايراني في العراق أوضح ما يكون ، لكنه انخدع ، وصار مصدر خطر على عملية التغيير في مصر وغيرها ، وتحالف مع سليم العوا ليحاولا سرقة الثورة المصرية لصالح إيران ، أو تأمين ولاء جناح فيها ينمو مع الأيام ، ومن إسرافه أنه سمح أن يكتب أحد الشعوبيين في موقعه الانترنيتي مقالاً يزعم فيه أن صلاح الدين الايوبي ليس بطلاً ولا مُصلحاً ، بل هو مخرّب للحضارة ، بدليل تخريبه الحضارة الفاطمية ، فتأمل مدى خطأ مَن يتأول، وقد رأيتُه وصارحته وانكرت عليه ونصحته ، ولكني وجدته مُصِّراً على رأيه عميق الثقة بإيران، ويحلوا له اليوم أن يذكر في ختام مقالاته انه الناطق الرسمي سابقاً باسم التنظيم العالمي للاخوان ، ليزيد من قيمته ويغري الشباب ، مع ان تجارب الحياة لا تمنع ان يكون المسلم ثقة ثم ينحرف ، فماذا في ذلك !! وما زال كل واعظ يؤكد أن الأصل: (حُسن الخاتمة)، وهذا مسكين يغامر وينسى المواعظ ، والخشية: أن يُختم له بسوء ومحبة للمبتدعة والعياذ بالله، وأنا مشفق عليه وحزين ، لصداقة بيننا ربطتنا دهراً ولسابقات خيرية وُفّق لها ، وأما سليم فلا آبه لحاله ، لما نعرف عنه من غرام بإيران منذ القديم ، وأنه أسير غَرَض ، ولكن الهلباوي رجلٌ فطري أصابته غفلة وأنصت لمخادع دلّس عليه ، وعيبه أنه لا يعرف تفاصيل يوميات الحياة الايرانية والعراقية ، ويأخذ بظاهر تصريحات الرئيس أحمدي نجاد وما فيها من رنين.

● وكان الشيخ القرضاوي رعاه الله في مراحل سابقة يظن وجوب الرفق مع البدعة وايران من أجل وحدة اسلامية ، ولكنه حين رأى الدرس العراقي وعى واستوعب وطفق يحذر من خطر الاندساس الايراني ، وساعد على أن تكون من أركان نظرية التغيير: الصفة العقائدية السنية ، والريبة من موقف المبتدعة ، وذلك هو الصواب ، وقد أحسنَ الجهرَ بالحق وصدع وأنذر ، فناله الأذى ، وله أجر وثواب من الله ، ولا قيمة لعتاب جاءه من بعض أصحابه ، فإن رأيه هو الاصوب ، ونحن وهو أبرياء من تقصد فتح معركة مع أحد من المسلمين ولو كان مبتدعاً ، ونفهم جيداً أن وحدة الأمة هي

ركن في نظرية التغيير ، ولكننا ندافع ضد اختراق يغزونا بدأه المبتدع، والأمن الاستراتيجي العربي في خطر ، وفي قصة العراق موعظة.

• وسبب انخداع هؤلاء وغيرهم: ان حزب الله حقق انتصاراً على اسرائيل، وان إيران تؤيد وتدعم حماس فلسطين. اما انتصار المحارب فقد يكون مع حمله للبدعة، وحزب الله صناعة ايرانية محضة أرادت ايران من خلاله تثبيت موقع قدم لها في العمق العربي ، ولابد من تحقيق انتصار ليكون التسلّل مقبولاً عند جمهور العرب ، ومن خلال ذلك أسندت ايران الحكم النصيري السوري ، لتقارب المذهب. أما حماس فقد أفتاها المفتون بحكم الضرورة وأن الدول العربية حاصرتها ولم تعاونها ، فأجازوها أن تقبل المعونة الايرانية بسبب ثقتهم أنها وقيادتها على وعي أمني وسياسي لا يحصل معه قبول للبدعة أو قبول نشاط ايران المباشر في ارض فلسطين، وهذا ما حصل فعلاً ، وبقيت حماس وفية للأمن العربي ، وتصرفها سليم حتى الآن ، وإنما الخطأ خطأ الدول العربية التي أمعنت في عداوتها ولم تسترضها وتقترب منها ، والدليل على ذلك قول رئيس الوزراء الأردني في اواخر اكتوبر ٢٠١١ أو أول نوفمبر: أن إخراج حماس من الاردن كان الخطأ الاستراتيجي الأكبر الذي اقترفته حكومة الأردن، وبدلاً من الاقتراب من حماس كانت الامارات مثلاً تدرب المرتزقة وتلحقهم بدحلان لغزو غزة وتنفق عليهم الرواتب السخية وتدعم كل عملية الغزو استخباراتياً ومالياً وإعلامياً ، وتحث مبارك على الهجوم على غزة وتبذل له الوعود المليارية ، حتى وجدتْ حماس نفسها يتيمة منفردة في غابة فيها ذئابٌ وضِباعٌ وأفاع، فقبلت معونة إيرانية بسبب انسداد الابواب ، وهي تعلم خطر الخطَة الصفوية ، فما انتمت ولا لانت ولا تشيعت ، وحصرت الأمر في تصريح دبلوماسي ، ومع ذلك فقد افتقرت ايران لاحقا بعد مقدمات الحصار ، فتخلّت عن حماس وانتهى الأمر ، والقضية اليوم موكولة لذكاء الدول العربية لو كانت حُرة في قرارها ، ولكن الأطرش الذي في الزفّة هو صاحب القرار ، فيتخذه من دون لحن يُطربه أو اغنية تستهويه وتحرك مشاعر الحب عنده ، فيأتي قراره صحراوياً يابساً خالياً من العواطف بعيداً عن الفطرة والإيمان ، ثم يزيده رئيس المخابرات قسوة ، لأن أصل معيشته مبني على توتير العلاقات وقذف الشك في القلوب ، ولو هدأت الساحة

وظهرت علاقات تعاون وثقة فإن الحاجة إليه ستنتهي ، لذلك يناضل ويقاتل من خندق الى خندق كي يستمر القلق ، لتستمر رفاهيته.

• وعلى قاعدة (يا غافلين لكم الله) الإيمانية ، وعندما تطرّق الى قلوبنا اليأس من سماع التحذير من الاندساس الايراني: تولى الله ذلك بحكمته وتدبيره ، وجعل حزب الله يقرر نجدة الأسد ، وانزال مقاتليه الى شوارع المدن السورية لقتل المتظاهرين ، ووقفت ايران بكل ثقلها السياسي والعسكري والمخابراتي صراحة مع الحكم النصيري، وأرسلتْ نجدة أخرى من العراق تتمثل بجحافل من جيش المهدي وفيلق بدر لحماية الأسد الجريح وقتال الثائرين ، وبذلك انفضحت حقيقة ايران وانكشف الأمر لجمهور الثائرين العرب وكل المخلصين ، وايقنوا زيف الادعاء الايراني في التغنّي بالحرية ، واصبح الجميع اليوم ناقماً على ايران والتيار الخميني ، فكان هذا الحل القدري أبلغ من جميع جهودنا التحذيرية ، وكان خطأ نزول حزب الله الى شوارع سوريا هو الخطأ المميت له بعدما عجزت تحذيراتنا عن الاقناع ، لان البلاد التي لا يسكنها شيعة يكون أهلها من أهل الظاهر وتعوزهم تجربة التعامل المباشر ليميزوا ما هنالك من بدع وتوترات ورغبات انتقام ، وتنطلي عليهم مزاعم يقولها المقابل تقيةً وتمويهاً، والأمل أن يكبت الدعاة بمصر وغيرها محاولات الاختراق الايرانية ، وان يقاطعوا سليم العوا وأمثاله ، وأن تقوم القيادات بتفهيم عامة الدعاة وجمهور المسلمين ان كمال الهلباوي لا يمثلها وما هو بقيادي اليوم، لانه يتقدم الان مستثمراً تاريخاً قديماً ، والموجبات العقائدية والأمنية اقوى من موجبات العلاقة الاخوية معه ، وكنتُ انا احبه في الله ، ثم اصبحتُ الآن أكرهه في الله ، حتى يتوب ويذعن للنصيحة ، واطلب منه ومن الجميع مطالعة كتابي " بوارق العراق " وكتابي المكمل له " أخبار عراقية " إذ يحويان الكثير من اخبار وتحليلات تشرح ملابسات التصرف الطائفي والاختراق الايراني. ثم اطلب من كل داعية وثوري ان يكرهه في الله مثلي ، فانه أصبح عنصراً خطراً وصاحب فتنة.

• وقد قلتُ في نونيتي في معاكسة بدعة سبّ الصحابة رضي الله عنهم ، وأن عقيدة الإمامة والعصمة وولاية الفقية ليست من عقائدنا:

كلُّ أصحابِ النبيِّ الأحْمَدِ
هُمْ ثِقاتٌ لم يُعانوا وَهَنا

أحدٌ بعد النبيْ لنْ يُعْصَما
إمْرَةُ الأمّةِ شورى بَينَنا

مِيزةُ الإسلامِ عَقلاً حَرَّرا
ذاكَ أزكى في موازينِ الثَّنا

لا وَصيّاً أحمدُ قد تَرَكا
كيفَ إنّا بعدَ دَهْرٍ نأذَنا؟

سِيَّما مَن زَعَموا خُفيتَهُ
لم يَخَف مَن أمْرَهُ قَد يَقِنا

عُمقُ فِقهٍ في التولِّي شَرطُنا
إنما التفويضُ يَمْحُ الأيْمُنا

هي شورى مَنَعَتْ أن نُلْغِها
حَكْرُ فَرْدٍ للسياساتِ عَنا

● ثم انعطفتُ الى تقرير براءتي من التعصب ، وأنني إنما أنكر فكر الشحناء والتشكيك والهجوم ، وان الشيعي الذي ينكر الشحناء عملاً لا قولاً فقط ، وبعد فحص واقعه: يمكن أن يكون حليفي ، فقلت:

أيُّ رَهْطٍ لابتداعٍ تَرَكا
كان ضِمناً مُدْرَجاً عُنوانَنا

مِعْزِلٍ أو لِعَليٍّ شايَعا
طالما أنكَرَ فِكراً شاحَنا

● أي إن كان معتزلياً ، مثل الزيدية والإباظية ، أو شيعياً تأكدنا من تركه الطائفية ونوايا الانتقام ، وصار لسانه عفيفاً لا يلعن الصحابة ، والاشارة في الابيات السابقة الى التفويض نعني بها ولاية الفقيه التي بها يحتكر عالم واحد حق السياسة دون إلزامه بشورى.

● وكنت قبل ذلك قلتُ بيتاً حاسماً من المفروض ان لا يختلف في فحواه

اثنان من أصحاب التغيير والتنظير له ، فجزمت:

كُلُّ حِزبٍ طائفيٍ أجْرَما
عندما حالفَ بوشَ الأرْعنا

● فنظرية التغيير فيها ركن أساسي يوجب البراءة من التبعية لأميركا أو الرضا بطريقتها الاستعمارية الجديدة التي تسميها عولمة ، ولكن حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة وكل الاحزاب الشيعية العراقية العاملة تحت مظلة الاسناد الايراني: كلها ذهب رؤساؤها ابراهيم الجعفري وعبدالعزيز الحكيم والجلبي وبحر العلوم وغيرهم الى البيت الأبيض بواشنطن وخطبوا بين يدي بوش علانية يدعونه الى ارسال الجيش الأميركي لاحتلال العراق ، ومعهم الاحزاب الكردية ، ورأينا ذلك يقيناً على شاشات التلفزيون، فاستجاب لهم وكانت النكبة ، وتكررت فعلة هولاكو ، وصار تدمير العراق ، وكانت فتوى السيستاني رأس الحوزة للجنود الشيعة في جيش العراق أن يلقوا السلاح ولا يقاوموا. فهل ننسى ذلك ؟؟

● هذه الحوادث توجب أن نجعل نظرية التغيير تمنع التحالف مع الجهات الطائفية ، او الصداقة وحسن العلاقة مع أصحاب العقائد والافعال الصفوية، أو الوقوف السلبي تجاه الاختراق الايراني للأمن العربي ، أو دوام العضوية الحركية لمن يعين ايران في سعيها هذا مهما كانت له شهرة أو سابقة حسنة قبل انحرافه ، وقراءة التاريخ بالعين التي رآه بها الدكتور علي الصلابي في سلسلة كتبه تفيد جداً في تكوين وعي واحتياط واشتراط ، ومطالعة كتاب الاستاذ غسان الدهمان عن الطرف الآخر والتعريف به تقوم بتعميق هذا الوعي وتضاعفه ، والثقافة الشرعية عاصمة دوماً ، والثغرة تكون من جهة العواطف التي لا يضبطها فقه شرعي وعقائدي ❑❑❑


الجزيرة

٤ حَركةُ الحياةِ تغييرٌ

❑❑ قبل صدور كتابي " اصول الافتاء " الذي أوجب رعاية الفقهاء للتغيير: كان الاستاذ علي جريشة سنة ألفين قد دخل على الخط ورفع شعاراً في التغيير له أهمية عظمى: أن الطريق الى القدس يمر عَبر عدة عواصم عربية ، فأوضح بذلك العلاقة المؤكدة بين تحرير القدس وعمليات التغيير ، وهو فهم استراتيجي يشكل ركناً في نظرية التغيير المعاصرة ، ثم هو من جوامع الكلِم ، وهذا العَين له وعيٌ . . وهدير ، وهو في اكتشاف العوائق خبير ، ولم يهمس باستنتاجه ، بل جاهر به ونشره في كتاب، فصار بكلماته السبع هذه من فقهاء التغيير ومُنَظّريه.

❑ الحركة الثورية أعلى ظواهر حركة الحياة

❑ ثم بدأتْ سلسلة رسائلي في بيان حركة الحياة تظهر مع بداية سنة ٢٠٠٧ بعد سَيل من المحاضرات والدورات في معانيها ، فأضافت جُملة وافرة من الاركان والمواد والشروط الى نظرية التغيير.

❑ أول الاضافات: أنه لابد من أساس فلسفي تعليلي لكل العملية التغييرية، وإذا نجحنا في استنباطه فانّ ذلك يعني أن جموع جنود التغيير الأحرار ستحوز تفوقاً فكرياً كاسحا على كتلة الطاغية واعوانه الذين لا يملكون بصيرة إيمانية ولا تاريخية ولا فكرية تريهم سُنن الله في الحياة وقوانين تداول السلطة والرفع والخفض وطبائع النفس وقيمة التحدي ونبضات القلوب ، وبحمد الله فقد كانت بحوث حركات الحياة بليغة في مواطن كثيرة منها في بيان اثر النفس الحرة العزيزة المستعلية في التغيير ، وفي كتاب " النفس في تحريكها الحياة " بخاصة ، وفي " كتلة الاصلاح " و " الظاهرة القيادية " طائفة من المعاني التكميلية الاساسية التي رصدت قاع

الحياة وكيف تتولد نزعة الرفض ، وطرائق نفضات العزائم الطامحة وتوالي صعودها حتى تستحيل تياراً عارماً يتقدم مكتسحاً دفاعات الظلم ، حيث البُنية الهشة لعلاقات زبانية المتجبر ، بمقابل العرى الوثيقة التربوية المعنوية التي تسود في اوساط الاحرار وتربط بين قلوبهم وعقولهم ، وكيف يضاعف الايمان والتوحيد وإيحاء الفقه الشرعي هذه الاستنتاجات المنطقية الانسانية العامة. وبذلك أُضيفَ ركنٌ لنظرية التغيير: أن يعتمد أهل التغيير منهجية فكرية تربوية تجمع بين الفقه القرآني والكمّ المعرفي الانساني ، وبذلك يكون ضمان تفوقهم على كيان جبروت الفاقد للأمرين ، الذي يعرف لغة القوة فقط.

❑ و " الحرية أولاً " إضافة ثانية ضمن جمهرة خواطر حركة الحياة لنظرية التغيير ، وانا أستغرب مسلك كثير من المشايخ وأساتذة الفكر الاسلامي حين يسألهم سائل: أيهما أصح (الإسلام أولاً) أم (الحرية أولا) فيبالغون في وجوب شعار " الإسلام أولاً " مع أن هذا الاسلام لا تستطيع الوصول اليه في ظل حكومات تعسفية ظالمة تخدم خطط الاستعمار وتصادر حقوق الانسان وعدد سجونها أكثر من عدد جامعاتها ونفقات مخابراتها أكبر من ميزانيتها التنموية ، فالمقارنات الواقعية والتأملات العقلية تشير الى تقديم المطالبة بالحرية ورفع شعار " الحرية أولاً " ، الذي لا يلغي أبداً شعار " الإسلام أولاً " بل يبقيه ويطوره ويتقصد إنشاء بيئة مواتية لنجاحه ، وكان الاستاذ فهمي هويدي أعمق وعياً من كثير من المشايخ فطالب منذ وقت مبكر أن يستوعب الدعاة هذه الفذلكة المؤيدة بشواهد الواقع ، فآمن بعضهم ، وبقي البعض حائراً ، ثم جاء المنطق العملي للحركة الاسلامية التركية ليحسم الخلاف لصالح الحرية ، فحين سأل سائل رئيس الوزراء أردوغان بعد فوزه: هل جئتم لتحكموا بالاسلام؟ كان جوابه واضحا فيصلاً فقال: بل جئنا نمنح الناس الحرية بعد دهر من استبداد العسكر ، وللناس أن تختار بعدئذ الاسلام. وهكذا نفهم الثورات العربية: أنها غير مطالبة بأن تحكم حكماً شرعياً ، بل أن توفر للجميع الحرية ، ويمكن للدعاة أن يستثمروا هذه الحرية ويقنعوا الشعب بقبول حكم الاسلام ، وبهذا الوصف صار شعار " الحرية أولاً " ركناً في نظرية التغيير ، وقد أتيت بالمقدمات الجدلية العديدة لاولوية الحرية في أكثر من

موضع من رسائل حركة الحياة ، وقبل ذلك في " المسار " ، وحتى في " العمارة الدعوية " شرحت أثر الجمال في تكوين مقاييس الاحرار ، ودعوت في " منهجية التربية " الى ان تعيد الدعوة طبع دواوين شعر الحرية عند كل شعراء العرب والعجم وبقية الأمم ، وان تطبع بحوث رجال القانون الدستوري في حقوق الانسان ، لتنشر ثقافة شعبية حقوقية ، وأن تنحت التماثيل التجريدية الرامزة الى الانعتاق وكسر القيود والتحليق ، لتنعش العقول والافئدة معاً فتندفع نحو تغيير وتنمية ، وهذه شروط موضوعية في نظرية التغيير تستثمر العواطف والآمال الايجابية في عملية إعادة البناء وترجيح الخيار الانفع ، ولكن بقية الدروشة في صفوف الدعاة حالت دون الادب الثوري والتلقين القانوني واعتماد الرمزية التجريدية الجمالية ، وجيل الشباب التغييري يمكنه الاستدراك على ذلك ، إذ مازالت مسيرة التغيير في أولها وقد تظهر الايام الحاجة لتصحيح مسار ثورات تنحرف أو يسرقها سارق ، ورجال الإعلام الاسلامي لهم أهلية إنتاجية في أدب الحماسة واستعراض شواهد الجبروت وابتسامات الحرية ، والمراكز البحثية الدعوية قد تفيد في هذه الحملات أكثر من القيادات ، وفي الكل خير، ولوامع الإبداع لا تحتكرها مهنة أو يحدها منصب ووصف.

• لكن إقرارنا بصواب خُطة " الحرية أولاً " ورفعها كشعار يوجب أن يميل تنظيرنا الى الاعتراف بوسيلة توفر من معنى الحرية في نفوس أهل التغيير ونفوس الشعب مقداراً جيداً يدفعها الى عشق هذه الحرية وطلبها وبذل الارواح في سبيل تحقيقها، بمعنى ان نظرية التغيير يجب أن تحوي شطراً من العمل العاطفي والممارسة الروحية ، وليست هي سياسة وتنمية فقط ، والأدب في الأغلب هو الحامل لهذه الاحاسيس والمشاعر الدافعة نحو الحرية ، ورابطة الادب الاسلامي العالمية مثلا التي تسير الهوينى اليوم يجب أن تنتفض وتنشط وتكون هي محور التأجيج وبعث الحماسة ، وان تقترب من كل المنتديات والروابط الأدبية في العالم الاسلامي والعربي بخاصة لتوجهها نحو اسناد مسيرة الحرية ، ولكني أرى تكاسلاً وتخلفاً عن الركب ، حتى ان جريدة أخبار الادب الملحقة اسبوعياً بجريدة الاخبار المصرية كان لها دور فعلي أكبر من كل هذه الروابط الادبية ، وقدمت من

المعاني الايجابية والنقد والشعر والنثر ما كان له اثر في الثورة ، وتراكمت منها تمهيدات نفسية حرّكت المجموع بأكثر مما حركته الخطة الدعوية في هذا الحقل الذي عنوانه " الحرية " والهيام بها والسعي لها، ولا أفسر هذه الظاهر بغير أنها من " الترهل " ومن الفتور بعد بلوغ أشد الانغماس ، أو مسامحة القيادي لنفسه وتخريج فتوى بالرخصة بعد فورات العزائم والتوقف عن لوم الذات وتقريعها وحثها على مزيد البذل ، ودليلي على ذلك ما وضعه أخي في الله الدكتور احمد القضاه بين يدي ما وجده في بعض المواقع الانترنيتية من ان مجلة الاخوان المسلمين في سنة ١٩٣٣ ، اي بعد تأسيس الجماعة بست سنوات فقط نشر فيها اخ اسمه سلامة شاطر بفرح واعتداد يدل على وعي لقضية الحرية قصيدة رائعة في عشق الحرية للأستاذ سيد قطب رحمه الله بلغ فيها ذروة البلاغة الشعرية وأوج التفاعل القلبي مع مغزاها ، وأرادها أن تكون من المعالم المنهجية في تعليم الدعاة الحرية ، وما كان سيد قطب من الاخوان ذاك اليوم ، ولكنه أديب اسلامي الهوية، وإنما العبرة في إدراك هذا الأخ الذي التقط قصيدة سيد ووعظ الدعاة بها ثم أرادها وعظاً لعامة الشعب ، فهذا الوعي القديم هو أعمق من وعي الجيل الأخير من الدعاة، وكأن المحن وطول الطريق كان لهما أثر في ظاهرة البرود.

وهي قصيدة نادرة مجهولة لم تنشر من قبل في أي كتاب من الكتب التي أرَّخت لسيد قطب، أو الدراسات التي جمعت شعره المتناثر في الجرائد والمجلات. نشرتها مجلة جريدة الإخوان المسلمون في عددها العاشر– السنة الأولى– بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٢ هجرية - ١٩٣٣ ميلادية، ضمن مقال للأخ الشاعر سلامة خاطر ناظر معهد حراء بالإسماعيلية في مقال له بعنوان "الحبيبة المنشودة".

وبعد هذه المقدمة نرى القصيدة المجيدة تمشي في أُبهة وجلال وغنج ودلال تصافح الاحرار وتسير بهم في درب الامل. . .

تيمت كل فؤاد في هواها
واستوت من كل نفس في حشاها

مُزجت بالروح في تكوينها
فهي لا ترضى بها شيئًا سواها

صوروها وتولوا وصفها
ويْحَكُم يا قوم شوَّهتم حلاها

فُتن الطفلُ بها في مهده
وغرام الشيخ فيها قد تناهى

سبَّح العصفورُ شدا باسمها
ورآها فتنةً لمَّا رآها

هي روحانية في سحرها
مُزجت بالروح فازداد سناها

إنها في النفس أبهى صورةً
فدعوها حيث شاءت تتباهى

هي معنى غير محدود فلا
تحصروها في حدود تتناهى

اتركوها تسبح الأرواح فيها
إنكم لن تدركوا يومًا مداها

ليس في الألفاظ أو بين الدمى
مفصح عنها كما نحن نراها

هي ماذا؟ هي معنى قد سما
هي روح يبعث الموتى شذاها

هي وحي يلهم النفس فتسمو
عن خسيسات الأماني وخناها

أرأيت الطير يشدو فرحًا
منشدًا عذب الأماني منتقاها

هـو لـمـا ذاق مـنـهـا كـأسـهـا
أسـكـرتـه فـتـغـنـى فـي لـمـاهـا

أم رأيـت الـطـفـل إذ تـكـبـحـه
تـظـلـم الـدنـيـا ويـغـشـاه دجـاهـا

هــو لا يـرجـو سـواهـا مـتـعـة
وهـو إذ يبكـي على شيء بكـاهـا

هـي روح الـحـسـن فـي عـلـيـائـه
صـورة أخـرى لـه أنـت تـراهـا

جـاهـد الأحـرار في مـيـدانـهـا
ثـم مـاتـوا بـفـخـار فـي حـمـاهـا

لـو يـضـحـوا فـي هـواهـا غـالـيـاً
كـل مـا عـزَّ رخـيـص فـي هـواهـا

• فانظر كم طربت دواخلك لهذه الأبيات ورقص فؤادك ، وقياسا على ذلك يجدر بك أن تفهم ان نظرية التغيير الاسلامي لو انجزتْ فصلاً فيها يوجب العناية بالعواطف التحررية ونجح الدعاة في تنفيذه من خلال مائة قصيدة جديدة ينشؤها شعراء الدعوة والمعاصرون للتغيير ،ثم اعادة نشر الف قصيدة في الحرية مما قاله شعراء الامة او مما يتم اقتباسه من آداب الامم الاخرى ، مع مئات القصص القصيرة والطويلة ، ومئات اللوحات التشكيلية والبوسترات التي يتم من خلالها تفجير الوعي الجمالي: لنشأ زخم من كل ذلك في ساحة التحرير وعرصات الثورة هو اعتى في طاقته التفجيرية من عشرة آلاف قنبلة ، ولكن الدعاة يأذنون لأرواحهم أن . . . تكسل .. فتذهل.

ولاحظ: أن إعلاماً دعوياً يتغنى بالحرية في ذاك الوقت المبكر ، أي سنة ١٩٣٣: هو نفسه الذي ذكر بعد سنة من ذلك في عام ١٩٣٤ في رسالة النبي الامين على لسان الامام المرشد حسن البنا ان الحكومة التي لا ينفع معها النصح والإرشاد ينفع معها القلع والإبعاد. بمعنى ان هذه الدعوة تعرف طريقها جيداً وتميزه منذ مرحلتها الاولى ، وأنها بدأت تضع مواد

قانون ونظرية التغيير قبل ست وسبعين سنة من ربيع الثورات العربية ، حتى أتمته فكراً كاملاً متوازناً طافحاً بالاجتهاد المرن عبر ذخيرتها العلمية ، ولذلك فانها مؤهلة كل التأهيل لتنظير التغيير الحالي ، وان تكون خططها وتحليلاتها ورؤاها وتفسيراتها هي المالئة للجانب الفكري الثوري في هذه النظرية ، واذا أضفنا الى ذلك نجاحها التربوي العظيم في تخريج النماذج الربانية من الدعاة ، مع سابقاتها الجهادية في فلسطين والافغان وجنوب السودان ، وفي اسناد ثورات التحرير من الاستعمار في انحاء العالم الاسلامي، ثم مع نجاحها في تكوين طبقة عريضة من الساسة البرلمانيين في انحاء العالم ، وشراكتها المعنوية في النجاح التركي المعاصر، والنجاح العلمي والفكري والمعرفي ، ثم الإغاثي: فإن صورة جمالية للتغيير الاسلامي ستتكون تنطق بأن صنعة التغيير الآمن المحفوف بالاصالة والنقاء والجذر الايماني العميق إنما هي صنعة دعوية محضة ، وان على كل مخلص لقضية الامة أن يذعن لهذه الحقيقة ، فيقدم قادة الدعوة ونبلاء رجالها ليكونوا قادة التنمية والتربية في مرحلة ما بعد الثورة.

- انا اجزم بانه ليس الادب فقط يوفر العاطفة الثورية التي هي جزء من نظرية التغيير ، بل الفن ايضاً ولمسات الجمال والإيماء الصامت ، وقد نجحت الدعوة في تقديم سلسلة " الاناشيد الاسلامية الحماسية كجزء من هذا الفن اللازم ، وكانت مجموعة الدعوة في الكويت هي التي قدحت البداية فأبدعت وأحسنت ، ثم سَرَت الى بلاد اخرى فأضافت ، ولكن الدعوة فشلت في تقديم فن تشكيلي اسلامي ثوري مرسوماً ومنحوتاً يبين خلجات الرفض ، وقيود القابعين خلف القضبان ، وسفاهات الفساد الاداري ، والسلوك الفرعوني للطواغيت ، وعدوان رامبو والاسلحة الذكية واخلاق المارينز الهابطة ، في حين ان كل ذلك يحوي مقادير هائلة من التأثير الفني في نفوس شعوبنا وكل العالم ، لضربه على وتر الفطرة والاحساس الانساني العام ، وأنا قد كتبت ما فيه الكفاية في بيان هذا الجانب الجمالي في الرسالة العشرين من رسائل استراتيجيات الحركة الحيوية ، ثم في كتابي الضخم عن " العمارة الدعوية " واوراق اخرى ، ويجب ان يكون الفن الثوري الاسلامي فصلاً واضحاً في نظرية التغيير ، وان تتوب الدعوة من بقية الرجعية فيها ومن اليبوسة التي لا معنى لها ، واذ

نحن ننتظر إبداعاً من شباب الدعوة: يكون التعويض المرحلي بجمع ما تناثر من فن الحرية عند أُمم الارض وإعادة نشره في محيطنا ، وربما توزيع نماذج خشبية وبلاستيكية صغيرة لبعض المنحوتات الغنية بالتأثير ، بحيث تدخل كل بيت وتقوم بواجب الإيقاظ وبعث المعاني الايجابية وغرس الطموح ودفع الاحرار نحو النهي عن المنكر السياسي والفوضى الاقتصادية، والأصل في هذه التربية: آية قرآنية وحديث نبوي وشروح الفقهاء ثم الادب الاسلامي لكل هذه الموارد الاصلية ، ولو أن الامر تطور الى إنتاج افلام رسوم متحركة قصيرة تكشف حقائق سياسات الطغاة ، كل فلم في دقيقة واحدة أو مائة ثانية فقط ، واذعنا منها مائة فلم عبر الفضائيات والانترنيت ، وصنعنا شخصية محورية تشابه حنظلة الذي ابتكره ناجي العلي: لهبط عدد شهداء الثورات في الشوارع الى الربع ، بأُثر زخم التحشيد الواسع الذي سيكون ، والنجاح متعلق بنمط إبداعي فيمن يمارس ذلك وينفذه ، ولكنه متعلق ايضا بعلماء النفس وأدباء كبار يشاركون ، ليكون الاتقان ، ولكي لا تكون التجربة ساذجة.

❑ ومرة أخرى تأتي عوالم (الديجيتل) لتكون الاضافة الثالثة التي يضيفها علم حركة الحياة الى نظرية التغيير ، فاستقراء التطور المدني الحضاري الأخير يشير الى ان " الرقم " يصنع الحياة الحاضرة ، وأننا إن استطعنا ان نسيطر على حركة " الفوتون " وانبعاثه من خلال قفزات الالكترون بين المسارين الخارجيين للذرة: فاننا نستطيع إخضاع الحياة لنا ولرغباتنا وأمانينا وخططنا وإسلامنا ، والجيل الاسلامي الجديد جيل ارتبط بالفضاء المعلوماتي الواسع عبر اجهزة الكمبيوتر وشبكة الانترنيت ، وبإمكاننا أن نجعله هو جيل التغيير السياسي إذا أخرجنا له " قادة رقميين " يَفهمونه ويَفهمهم الجيل، بل ذاك الذي حدث وصار جيل الشباب الكمبيوتري هو رأس النفيضة في ثورات التغيير من خلال اندفاع ذاتي على الرغم من اننا كدعوة عَجَزنا ان نربي ونصنع طائفة من القيادات الرقمية لندفع بها الى الميدان لتقود هذا الشباب الثوري السائب ، فكيف لو اننا كنا نجحنا في تكوين هذه القيادات الرقمية؟ الامر سيكون أكثر إتقاناً وعمقاً ، ونحوز رضا الشباب وطاعتهم وتكميلهم لجيل الكهول والمخضرمين في انسياب رائق ونعومة ، ولأغراهم الأمر أن يلبثوا في الصف ، ولكن شاء الله ان تستقل

عن الدعوة عناصر هي في غاية الفاعلية والذكاء الجرأة والمبادأة الجَسورة.!

وأسفي شديد لأن هؤلاء الشباب فهموا كلامي في حركة الحياة وأخذوا به وبادروا لقيادة غيرهم ، بينما كان من القيادات إرجاءٌ وتأول ، وذلك أني أفتخر بأن الله هداني وألهمني اكتشاف وجوب وجود القيادات الرقمية ، فتكلمت منذ قبل خمس سنوات على ربيع العرب ، وحرقت نفسي وأنذرتُ واوجبت ان نقذف في الساحة ثلة من القادة الرقميين هؤلاء ليقودوا عملية تغيرية بادية في الافق رجالها هم شباب الفضاء المعلوماتي ، ولكن لم يفهمني أحد من أقراني ولم يوازوا فراستي وتركوا القضية للأقدار، في حين ان الدِين يطالبنا بأن نقاوم قَدَر السوء وندفعه بقدر الخير.

كان كلامي واضحاً جداً ، ولذلك تألمتُ حين لم تسارع القيادات في كل الاقطار الى تطبيق مقتضاه ، وهو كامن قابع بتواضع في رسالة " الارقام المتيممة " الحادية عشر من رسائل حركة الحياة ، إذ زعمتُ فيها لما بلغتُ الذروة أن الأمر (يضطرنا لتحليل القِيَم وإيراد جميع فكرنا الاسلامي الدعوي الشائع بأسلوب جديد ومنهجية تتوافق مع طرائق البحث المعاصر ، وسياق منطقي يراعي خلجات أنفُس وومضات عقول الجيل المعلوماتي وأذواقه في الاختصار والتعبير بلغات إدارية وتخطيطية وإبداعية، وتفضيل الادلة العملية الواقعية على الاشارات الرمزية والسوابق التاريخية ، والاستعانة بالإحصاء والجداول والرسوم البيانية والمنحنيات والألوان والصور، مع شيء من الصراحة والالتزام التخصصي الدقيق والإقلال من التعميم.) ثم (استثمار نزعات الجيل الجديد في الاعتراض والتمرّد والتغيير والتحريك والرفض والتعبير العلني عن الآراء لتشكيل فكرٍ سياسي إسلامي عملي مواقفيّ ينتزع الحقوق السياسية انتزاعاً بعدما عَتَت الحكومات الظالمة عتوّا كبيراً وتساندت وأحكمت وسائلها الأمنية الصارمة الكابتة لتنهدات الاحرار ، فهذه الموجة من الأخلاق الكمبيوترية الرقمية الموبايلية: هي هِبة من الله للدعوة بعد إذ بلغت القلوب الحناجر ، وكما يمكن ان تكون هذه الاخلاق سلبية هادمة إذا لم يوازها توجيه دعوي: فانها يمكن ان تكون إيجابية وتمثيلاً لأوفى وأتم الأبعاد الاستراتيجية في تحريك الحياة إذا احاطتها العناية الدعوية عبر " القيادات الرقمية ".

بمعنى: ان هذا النوع من التعقيد الحيوي: أدى في النهاية الى تحوير جريء في معنى " القيادة الدعوية " ، واضطرنا الى تصور جديد للعملية القيادية وشروط القادة وطبيعة المهمة ، بحيث يصيبها التجزيء ، وأن تكون مجموعة انواع من القيادات السياسية والفكرية والتنظيمية والرقمية والإعلامية ، وكلها من الاسلام يقتبس ، ولمراضي الله تلتمس ، وهذا التجزيء يحصل معه إشباع حاجات وتطلعات عدد أوفر من اصحاب الكفاية ، ويكون نوع تشغيل لهم جيد يمنع الترهل والخلاف والفتن ، كما ان نزوات جيل الرفض ستتحور الى شكل أنضج وأسلم ، وتتحول الى " سلسلة مواقف " راشدة ، ويقل فيها الجزاف والعنف والرفض من أجل الرفض ، ويكثر التعقل والبناء والإنتاج والرفض الواعي).

فأنا لم أُبهم ، ولم ألجأ لتورية ، بل جهرت بحروف: ت غ ي ي ر ، فقط فاتني أن أخطها بالثلث والديواني لتُغري وتستوقف الأنظار ، فأنا غير متكلف حين اعتراني غرور فرشحتُ نفسي عبر هذا الكتاب أن أكون أول ساعٍ في (تنظير التغيير).

- ومنذ سنة ٢٠٠٢ وأنا منتبه لهذا المعنى ، وجهرتُ بالإنذار ، فقلت في " منهجية التربية":

(لابد ان يتطور الدعاة مدنياً ، ويواكبوا الاساليب التكنولوجية المتجددة السريعة التطور إذا أرادوا أن ينجحوا في خُطة المخالطة الاجتماعية) و (أن نستخدم ثورة المعلومات والانترنيت ومزايا التحاور المباشر عبر الشبكات والبث البريدي ، الى درجة إعلام أصحابك ومَن تريد مواصلة تفاهمك معم بخلجات صدرك وخواطرك اليومية عن طريق مكانك في الانترنيت ، وبأحاسيسك وتذكيراتك وتقارير عن آخر الاحداث فيما حولك، وتحليلك لأخبار تهمك وتهمهم. نقطة التعقيد هنا: أنك إن لم تتطور فان الضرر لا يقتصر على أنك تخليت عن تسهيلات عديدة الانواع فحسب ، وإنما ستفقد الجيل الجديد الصاعد الذي أصبح يتربى في المدرسة وعبر مخالطة افراده بعضهم لبعض على هذا النمط من الحياة الالكترونية ، فإن لم تكن أساليبك ومحادثتك ومواعظك الكترونية فانه سوف يُعرض عنك ويكون بطيئاً في الامتثال لك، وسيؤثر فيه غيرك ، وما

يدريك ما هذا الغير) (إن لم تتحدث مع الجيل الاسلامي الصاعد بنفس اللغة العصرية التي يستخدمونها: فسيقاطعك وينشغل عنك) (أُقسم بالله ان التطور واجب ، يا مَن لا تقنع إلاّ بقَسَم.)[1] .

• وكان نَفَر من شباب التغيير بمصر: خالدٌ وصحبه: قد آمنوا بأفكاري واقتراحاتي ، وتعمقوا في دراسة كتبي ، فاتخذوا لهم اسماً عَلَماً أثبتوه في موقعهم الانترنيتي والفيس بوك والتويتر ، ووصفوا أنفسهم أنهم (أنصار الراشد) ، وأنا والله لا أعلم بذلك ، ولم آمر به ، ولم يطلبوا إذني ، ولا أخبروني ، وإنما سرى إليّ الخبر بعد تنازل مبارك ، ولكنها قصة تشهد لي بما أزعمه من ريادة التنظير للتغيير ، والحمد لله الذي الهمني ذلك وجعلني السبب في نشر هذا النوع من الفكر ، ولولا فضل الله وهدايته لي وتسخيره أساتذة من نقبائي كانوا يجعلون في يدي صحيح البخاري أول شبابي ويرسلوني الى الشيخ السلفي عبدالكريم الصاعقة مرتين في الاسبوع لسماع شرح بعض الاحاديث ، أو الى مجالس تقي الدين الهلالي المغربي، أو يبعثوني الى شيوخ الفقه الحنفي والشافعي ليشرحوا لي " الهداية " ، مثل الشيخ محمد القزلجي الكردي ، أو مجلس فقيه العراق الأكبر الشيخ أمجد الزهاوي: لما علمت شيئاً ولكنتُ مثل أقراني دنيوياً محضاً ، وهم نقباء أخفياء بذلوا بصمت وتجاوزا الثمانين الآن بسنوات، مثل عبدالواحد أمان وعبدالملك أمين الطائي ، مدّ الله في عمرهما وختم لهما بخير ، ولله تعالى المنّة ، ثم لهما ، ولجمهرة الدعاة المربين.

❑ ثم إضافة رابعة للروح البدوية ، وأدب الصحراء والنخلة والجَمَل والرمل والقوس والرمح ووثبات الغزلان واندفاعات الثيران البرية والقنص والخيل العربية ، كل ذلك جاءت به " حركة الحياة " وقصة " سهام محارب " في كتاب " عبير الوعي " ، من أجل تربية اصيلة تحفظ شخصيتنا أمام زحف قِيَم الشخصية الأميركية والغربية عموماً، ولابد من هذه التربية لنحفظ التميز والاستقلال والعِرق الجهادي النابض ، ولنستعلي على رامبو وجندي المارينز ووكيل المخابرات المركزية ، والذين انهاروا أمام الانتصار العسكري الاميركي كان انهيارهم النفسي والثقافي مرحلة سابقة على ذلك

---

(١) منهجية التربية / ٢٦٣

أدت الى استمراء التعاون مع الغازي ، ولذلك تكون هذه التربية البدوية والروح الشرقية نوع احتياط لبقاء العناصر الاسلامية شامخة بعيدة عن التطبيع ، والحواجز الشكلية تنقلب بالتقادم الى حواجز موضوعية وعادات وسلوكيات اصيلة، حتى اللباس وطرائق العيش ، بل وحتى اساليب الكلام والمحاضرة والتعامل وطرائق التعبير وإشارات الوجه واليد والمصطلحات اللغوية ، صعوداً الى فن العمارة ومقاييس الجمال، كل ذلك يجب ان يكون ضمن المنهجية التربوية التغييرية لتقذف الى المعمعة بجنود لهم صلابة واعتداد ، وكان عبدالقادر حمزة نقيب الصحفيين بمصر أواخر أربعينيات القرن العشرين قد أراد هذه التربية ، واصدر من أجلها مجلة " الانصار " وتربيت عليها في صغري ، ولكن الافتقار الى الوسائل والأعوان جعل محاولته ضعيفة ، وهو والد الاعلامية كريمان حمزة التي هي أول من لبس الحجاب في محيط الإعلام ، وواضح أن هذا التوجه البدوي او الشرقي يراد له شِعر وقصة وفنون ، ليكون النزع قويا ، والتخريج الفقهي له اقرب ما يكون الى الحيثيات الموجبة للهوية الاسلامية المتميزة في الملبس واللغة والعادات والأعياد مما ذكره ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم " ، ومن جملة ذلك تفضيل تكلم المسلمين بلغة العرب ، وحب العرب ، لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وان القرآن عربي ، وانهم الذين فتحوا البلاد ونقلوا الشعوب الى الاسلام وعلّموهم.

- ومن إضافات حركة الحياة لنظرية التغيير: استثمار سلسلة تفوقات وأحوال إيجابية اخترنا صناعتها لأنفسنا وحصل إتقانها وزادتها بركة الله حجماً ، فصرنا كمجتمع دعاة أكثر نفوذاً من غيرنا وتأثيراً ، وهي التي لاحظها بعض الثوريين العلمانيين أيام اشتداد الضغط التغييري فتأوهوا وتأسفوا لانفرادنا بها ، ولم يفطنوا الى ان الحياة مثل السوق ، تكون اكثر بضاعة رواجاً فيه: أحسنها وأجملها واتقنها صنعا ، وكنا أهل عزم مبكر ففطمنا نفوسنا عن الملهيات ، وتفرغنا للجد فترجح أمرنا إذ كسل غيرنا ، وما احتكرنا شيئاً ولا اعتدينا.

- أوضح هذه التفوقات الاستراتيجية اننا الحزب الوحيد المنظم الكبير

الحجم الواسع الانتشار على مدى عالمي ، ولنا خطط وتربيات وقيادة جماعية وتاريخ ، مع رصيد من البذل ، وأغثنا الناس ، وداريناهم وعلّمناهم وطبّبناهم ، وحرسناهم في الأزمات ، وواسيناهم في الشدائد ، وجاهدنا الاستعمار واليهود ، ورفعنا الصوت في النهي عن المنكر والفساد ، وابتسمنا في وجوه الاخيار ، ومسحنا على رؤوس اليتامى ، وكنا على طول الخط في الذروة من الحضور الفاعل والواقعية والسلوك الوسطي الحكيم ، لذلك لم يكن غريباً انحياز الناس لنا وثقتهم بنا ، بل هي نتيجة طبيعية لعمل بنائي على مدى عقود عديدة. ولذلك فان نظرية التغيير المعاصرة لكي تنجح يجب ان تعتمد بعد الله على التنظيمات الاسلامية ، وأن يحمل الثوري قلباً محباً للدعاة ويقدمهم على نفسه ، ليقينه بانهم أهل وعي وتجريب وقوة تنفيذية تستطيع الحسم لو أيّدها ووالاها وساير خططها، والثائر المؤمن يطهر قلبه من الحسد ، ويضمر الحب للمخضرمين الذين سبقوه في النزول الى ساحة الاصلاح ، ويكرر الدعاء لهم بالتوفيق، ولا يضيره أن يعمل تحت إرشاد من هو أكفأ منه وأرسخ في التجربة الثورية.

• ثم تفوقنا النفسي المعنوي والبراءة من القلق والحيرة ومتاهات الافكار ، لاننا اهل صلاة من شأن تكرارها اليومي: رسوخ السكينة القلبية وسريان الطمأنينة الداخلية ، ومنهجنا التربوي يديم تعليمنا النظر الى ما عند الله من الأجر الاخروي والجنان ، والتعالي على الدنيويات ، والموت في سبيل الله اسمى أمانينا ، ثم لنا مراكز بحث ولجان تخصص تشير الى الوجهة الصائبة، فلا تكون حيرة ، وفكرنا رباني قرآني مستقر وليس بعلماني يحتمل الخطأ ، وكل ذلك يجعلنا أطول أنفاساً ، وأَصبَرُ على اللأواء ، وأجْسَرُ عند الخطر ، وأزهدُ عند تقاسم المناصب ، بينما غير المصلي يكون متذبذب القلب ، وقد يغزوه جَزَع.

• ثم تفوق استراتيجي في مُكنة الابتكار واكتشاف علاج الازمات والتماس حُلول العُقَد ، والمناورة ، وبراعة التكتيك ، لاننا في الدعوة نخضع بعد منهج التربية الفكرية والاخلاقية لمنهج التربيات والتدريبات الإبداعية والإدارية على أيادي أجود المدربين ووفق آخر الاساليب العالمية ، مع

دورات في التطوير العام ، والتخطيط ، وفهم الواقع، والتحليل السياسي ، فتنشأ حصيلة من كل ذلك هي جزماً أكبر من حصيلة الانفراد السائب ، ولا نزعم العبقرية لكل داعية ، ولا أن أحدهم نسخة من جيمس بوند ، ولكن أكثر الجيل الشبابي المرتبط بالدعوة إذا نزل الى الساحة فينزل بعين مفتوحة وقد ارتفعت به التربية والتدريبات عن مستوى النموذج العام السائد بين الناس، وأما صفة العبقرية والسوبرية فتأتي من خلال انبعاث الوف منهم عن خطة واحدة وفهم موحد فيكون الذكاء الجماعي الخارق من خلال ضم الاجزاء الصغيرة الى بعضها لتشكيل حقيقة كبيرة ، والثوري المنفرد عليه أن يفرح بذلك وبهذه الظاهرة الايجابية لا أن يتضايق ، لأن النتيجة هي لصالح الأمة والتغيير ، وأما الخوف من أن تكون مع هذه التفوقات روح حزبية سلبية فذلك من الوهم ، لاننا نلحظ التقوى ونحاول تنقية النوايا دوماً ، وسابقاتنا تشهد ، وصفتنا الاسلامية تمنع.

● ثم اضافة تفوقية اخرى صحية ، فكل الدعاة لا يشربون الخمر ، ولا يقربون المخدرات ، ولا يدخنون ، ويستيقظون مبكراً ، وينامون مبكراً ، ولا يزنون ، ولا يستبد بهم قلق ، ويفضلون الادوية العشبية على الكيماوية، وتُزين لهم الدعوة برامج المشي والسباحة والالعاب ، وتنصحهم بالإقلال من المشروبات الغازية والدهون ، في وصايا اخرى نافعة للصحة ، ولذلك تكون طاقة الواحد تعادل ثلاثة ، وإذا نزل ألفٌ منهم الى ساحة فكأنهم ثلاثة آلاف ، ولا نعرف أحداً قاربهم في ذلك غير مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فان جورج حبش ألزمهم بترك المخدرات والتدخين والخمور ، ولكنها قصة قديمة اندثرت.

❑ هذه احاديث تفوقية من وحي مراقبة حركة الحياة وفهم قوانينها ، ولسنا نقولها تعالياً على غيرنا بل تعليماً لهم ولكي يلحظوا الاسباب الواقعية التي جعلت أرهاط الدعاة عالية الانتاجية أيام العمليات التغييرية ، ولكن لأن الحياة مدرسة والتجارب واعظة: فان المفكرين يجب أن يعترفوا بأن هذه التفوقات وأمثالها هي شروط لابد من إدخالها الى تنظير التغيير.

❑ للتغيير خلفيات تنموية وعلمية

❑ وبلغ هدير التنظير مرحلة متقدمة اخرى مع صدور كتابي " رؤى تخطيطية " سنة ٢٠٠٥ في طبعته الاولى في العراق ، مما يرينا النضوج المتدرج للنظرية ، وأنها استغرقت ثلاثين سنة من الاهتمام والبحث المتواصل والحوار الجاد حين تدريسها للدعاة ، مع ان كل حيثياتها معروفة متناثرة في أبواب العلم المتنوعة ، ولكن المسألة التنظيرية ليست مجرد التقاطٍ جُزافٍ وتجميع أجزاء علمية ، فذاك شأن التقليد الذي لا يراعي النسبية ، وأما وضع نظرية فيستلزم اجتهاداً كامل الاوصاف في الاستنباط والاشتراط والتكامل المنطقي وعطف الأواخر على الأوائل ، ومقارنة النتائج بالمقدمات ، واكتشاف المُكنة التنفيذية ، ويجري ذلك عبر إنزال المعنى الجديد المضاف على الواقع ، فكم من معنى هو جميل في حالته المطلقة، ولكن الصعوبة هي في ربطه بالواقع وضمّه الى بقية المعاني بسلاسة ونعومة ليس معهما تعارض وازدحام ، وذلك من خلال استحضار العِلّة والقصد ولذلك تكون هناك رقابة عقلية على عمليات تركيب أجزاء النظرية تحقق الانسجام والأمن والواقعية والوحدة الموضوعية وتدمج الجهد التغييري بأنماط حركة الحياة من خلال الالتزام بقوانين هذه الحركة والتوافق مع ظواهرها ثم باستثمار معطياتها وقوى التعجيل والتسارع ، ومعنى كل ذلك أن التنظير عمل صعب يلزمه فهم استراتيجي وإطلالة معرفية كي يأتي سليماً متماسكاً ، وليس هو مجرد عملية إحصائية لانواع الخير ، بل هو انتقاء ونقد ، وبحمد الله فإن سلسلة كتبي في (إحياء فقه الدعوة) بقيت في كل مراحلها خلال اربعين سنة مشدودة الى هذا المعنى المركزي التغييري ، وتنامت الحاسّة النقدية ، فكان حصول النجاح في الوصول الى نظرية عامة في التغيير بفضل الله وإلهامه ، والرائع في الأمر: الاقدار الربانية الخيرية التي أتاحت الوفاً من الشباب في كل قطر يعتنون بهذه الكتب ويتدارسونها جيداً ويتفاعلون مع معانيها وإشاراتها بعمق ، فساعدوا الاسباب الاخرى على بناء جيل شبابي يملك من الإبداع التغييري ما يكفي لقيادة عملية التغيير حين نضجت الظروف ، فكان المجيء على قَدَر وكأنه الموعد حين أطلقتْ " قَطَر " الزناد واشعل " البوعزيزي " الفتيل ، والقضية متداخلة مع رغبات دولية واميركية ، ولكن نحن رجال

وهُم رجال ، والتنافس سجال ، وكما يسعون لتحقيق مصالحهم: نسعى لتحقيق مصالح الأمة ، ويندر أن نجد في الحياة أمراً خالصاً نقياً ليس فيه شركاء ولا يترصد لسرقته لصوص.

❑ وركزت " رؤى تخطيطية " على أركان ثلاثة في نظرية التغيير: التنمية الشعبية الظهيرة للتنمية الحكومية وقد تكون أبرع منها، والعلم الفيزياوي الكيمياوي الهندسي وكونه مَدْرَج المدنية والحضارة وضرورة براعة الدعاة فيه ، واستثمار عطاء العقول الذكية المتميزة حين تتحاور وجهاً لوجه فيكون استفزاز الطاقات بأقصى ما يمكن فتظهر الحلول الإبداعية لمعضلات تربك المسيرة ، ولذلك بلغني أن " رؤى " هي في يمين كل مدير ووكيل ووزير في غزة ، وتجدها دوماً في مكاتبهم ، لمواعظها التنموية العلمية الحوارية ، ويفعلون ذلك كي تظل الوتيرة نابضة والعواطف الانتاجية ثرية.

• أما التنمية: فأصلها التخصص العالي ، وفي الناس والدعاة مَن اتقن وجمع الخبرات، ولئن كان الحكومي أسير الروتين: فإن الشعبي حُرٌّ سريع الحركة ، والاموال الشعبية ليست قليلة ، وإنما يراد لها المحيط الآمن ، ومالت الرؤى الى تبسيط قضايا التنمية عبر مؤتمرات شعبية في المساجد والجمعيات والمؤسسات ، وجعلها ثقافة عامة ، وإبراز رموز لها وقيادات صناعية وزراعية وعلمية ومصرفية وتخطيطية تجعلها شغلاً مشتركاً بين النخبة والعامة ، أو بين الصفوة الواعية والحشود التنفيذية ، وذلك نمط ممكن ، واذا نجحنا فيه فإن سياسة ما بعد التغيير ستميل تلقائياً الى مضاعفة التنمية وتقليل البطالة واختراع وسائل الاكتفاء الذاتي ، وفي فصول التنمية في هذا الكتاب منطق عريض يتولى الإقناع ، وهناك شرح واستدلال.

• وأما العلم الفيزياوي والتطبيقي فذلك أصل المدنية المعاصرة ، وعلينا أن نوازي بقية الأمم ، وندفع الركّع السجود للبراعة في تَتبع الفوتون وسلوك الالكترون وأحزمة الليزر، و هذا مجال خصصتْ له " منهجية التربية " سنة ٢٠٠٢ فصل " الفيزياء الدعوية " وتمّ شرح منهجية التطور العلمي قياساً على ما حدث في الغرب وبيان مغزى التوجّه العلمي وانعكاس انجازاته

إيجابياً على مجمل الاداء الدعوي ، وعلى التنمية بخاصة والسلوك الحضاري ، ولعل أهم ما هنالك إبراز رموز للأُمة مخلصة لقضاياها تخالف أحمد زويل الذي زار اسرائيل وأعانها علمياً بزعم أن العلم لا يحده وطن ، ولذلك اصطنعوه ومنحوه النوبل.

وكأن نقطة الانطلاق في هذا التطور العلمي أن يدرك رجل التغيير شرحاً تبسيطيا لنظرية النسبية ، وهي في حدود ما أفهم انه هناك مكان له أبعاد ثلاثة ، وزمان نفترض أنه البُعد الرابع ، ولكن لا يكونان في حالة مطلقة ، بل هو (زمكان) مندمج ، والرياضيات تثبت ذلك ، وهذا الزمكان يتحدب ، وبتفسيري: أن حكمة الله تجعله يركع لله تواضعاً وإظهاراً للعبودية ، والتحدب يولّد قوة شدّ هي الجاذبية ، والجاذبية تولّد قوة معاكسة هي الكتلة أو القصور الذاتي ، والامر يتكرر ، ولا تدري من أي نقطة يكون البدء ، ويصدق هذا على الكون الفسيح وما فيه من الذرة ، والطاقة مخزونة بقوة في الأجزاء الذرية من الكترون وبروتون ، وهي تساوي الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء ، والالكترون يتردد بين المدارين الخارجيين للذرة ، ومع كل صعود ونزول تنبعث فوتونات ، اي جسيمات ضوئية صغيرة جداً ، فتكون مثل طلقات في صَلية رشاش متتابعة ، وليست سيلاً ، وذلك هو مفتاح فيزياء الكم التي انتجت مدنية اليوم ، من رادار وتلفزيون واقمار صناعية وكمبيوتر وموبايل التي تشملها الهندسة الرقمية ، ولنجاح التغيير يجب أن نملك ارهاطاً من مهندسي الرقميات الذين يصل بهم الاتقان الى درجة الاختراع ، ولتقريب تمثيل نسبية المكان والزمان: نقارن بين فهمين للأرض: فهم ساذج يتصورها مسطحة ، وفهم لرجل مثقف يسهل عليه تصورها كروية ، إذ في الأبعاد الكبيرة يكون التكور غير ملحوظ ، فكذلك تصوّر نسبية الزمكان: في الابعاد الكونية الكبيرة هو اقرب الى الوضوح. مجرّات ، نزولاً الى البنية الذرية.

نعم: القضية صعبة ، وليس من السهل ان تفتح مختبرات الدول المتقدمة أبوابها لنا، ولكن الحريص يتحايل حتى يفوز ، ومن روايات القرون الاولى ان جالينوس الطبيب كان لا يتخذ مساعداً لئلا يسرق علمه ويذيعه ، فتظاهر غلام بأنه أخرس واصنطع البلاهة ، فوثق به جالينوس واختاره

معاوناً، فلبث عشرين سنة يتعلم ويقتبس بصمت وفطنة ، حتى إذا تمّ علمه وأخذ كل إبداع جالينوس: نَطَق. فكذلك أسرار الرقميات ، مصونة ، ولكن الاختراق ممكن.

- وهذه الحماسة العلمية هي التي استبدتْ بي فجعلتني أنطق شعراً واختار القوافي ، فقلت في قصيدة سَمَّيتُها:

Quantum Theory Reflection Poem

أي قصيدة انعكاسات نظرية الكم . . . وهذه أول إذاعة بها:

طامحٌ نحو العُلى في دأبِ
ذاك نهجي في الحَيا ، في طلبي

أعشقُ السيرَ الحثيث المسرعا
صِفةٌ قد رَسَخَت في أدبي

قُل لنا هل من سَبيلٍ لنُهى
تمنحُ التطويرَ حرّ اللهبِ ؟

أمتى تحتاج في نهضتها
علمَ قرآنٍ وتوجيه النبي

فكرتي تُثرى بأسمى القِيَمِ
منهجُ التأصيلِ أورى شُهُبي

دعوتي تختار في خُطّتها
عِلمَ إنماءٍ وأقوى السببِ

ثم في مُختبرات الليزرِ
أو نوى الذّرات ينمو حَسَبي

تُرسُ آلاتي أخو مِحرابنا
مُهري " الرقمي " اربى خَبَبي

في رِحاب العلم زادت قُدرتي
منطق التخطيطِ أعلى رُتَبي

خُطتي تمنحُ فولاذي خُطىً
حاذياً مُستعمر الأرضِ أبي

أتبعُ الومضَ فتأتيني الرؤى
فيزياء الكمِّ أرضتْ أربي

إنما في ظاهرِ الرأي نَمَتْ
تجرباتٌ داحضاتُ الرِّيَبِ

أصلها: أن التمادي ضَرَرٌ
إمنعِ الظُلمَ ، أزِحْ كُلّ غَبي

وامنح الحُرَّ مجالاً كاملاً
ثُمّ رقِّ العُقَلا: تبقى الأبي

- وفي ترتيب القاموس/ ٦٣٨: رَسَخَ ، بفتح السين: أي ثَبَتَ.
- والخَبَب: ضربٌ من العدْو ، ومن عدو الفرس بخاصة ، وهو السُرعة أيضاً. القاموس/٤٣٢.
- والحَسَب: ما تعدّه من مفاخر آبائك ، أو الدِين والكرم والشرف في الفعل ، أو الفِعال الصالح. القاموس / ٣٥٩.
- ولفظ الفيزياء في البيت الحادي عشر يجب فيه كسر الزاي ليستقيم الوزن ، وهذا الكسر أصوب من التسكين الذي دَرَج عليه الناس ، لان الأصل الانكليزي للكلمة الزاي في مكسورة ، ونريد أن نرى في الدعاة علماء في فيزياء الكم من وزن ماكس بلانك وهايزنبرغ الالمانيان ، والأمير الفرنسي دو بروي ، ولعل أميرة الجزائر فاطمة مهاجري يفتح الله على يديها فتوحاً.
- وعبارة (مستعمر الأرض أبي) تشير الى أن أجدادنا السلف زمن

الحضارة العباسية بخاصة قد استعمروا الارض وكانوا حضاريين ، أي عمرو الأرض بالمدنية امتثالاً للتوجيه الوارد في آية (واستعمركم فيها) ، فنحن الآن نقتفي فِعلهم ، وخطوات الفولاذ: أننا نجعله يسير ويتحرك ، كما في عموم الآلات ، من خلال الهندسة.

● وكانت الاضافة الثالثة في الرؤى: الحوار ، ومحاولة تفجير الرؤى من خلال المناظرة والنقاش ، في الندوات والمؤتمرات ، ولكن الطريقة المثلى المقترحة: أن لا يكون الاكتفاء بوجود مجلس الشورى التنظيمي واللجان ، لأن عدد العقلاء والخبراء عادة ما يكون أكبر من ذلك ، فنقتصر على البعض إما لتسهيل اتخاذ القرار ، أو لأن البقية في انشغال ، ولكن لا يصح ان نحرم الدعوة من طاقاتهم الفكرية العامة ، فيكون التعويض ان نجمعهم في مجالس لها اختصاص موضوعي اربع مرات في السنة مثلاً من دون ان يكون لهم حق القرار ، بل الاشارة، فيكون مجلسٌ تخطيطي غير لجنة التخطيط ، ومجلس سياسيٌ غير القيادة السياسية ، وكذا في أمور الإعلام والتربية والتنمية ، فتكون الرؤية اقرب الى الصواب ، ويكون تعويض النقص إن منع الارهاق أهلَ سلطة القرار تناوش الصواب ، ثم يكون ضمان مطالعة آخر التقارير العالمية والكتب الاختصاصية واقتباس ما فيها إذا حالت زحمة يوميات العمل أهل القرار دون كثرة المطالعة وتتبع مواقع الانترنيت ، والمفروض ان عملية التغيير تستفيد من مثل هذه الفذلكة وتوجب ان يحصل حوار مكثف عَبر لقاء الخبراء وجهاً لوجه ، والتغيير أحوج من العمل النظامي العادي الى الرأي الناضج الدقيق ، لحساسيةٍ فيه وجوانب أمنية واحتياجٍ لتعامل مع حليف وشريك ، والشاب التغييري لا يفطن لمثل هذا التعقيدٍ ويحسب أن مجرد الاجتماع في الساحات والتظاهر في الشوارع يحل العقدة ، ولا يعلم أن الارتجال خطر ، وان اندفاعة الشباب تحتاج الى حكمة اهل الاختصاص في الخطوط الخلفية ، والى أصحاب الثقافة الموسوعية ، في حوارت صاخبة أو هادئة ، لتكثير الخيارات ، وإثراء الرأي ، والشباب لم ينتبه الى ان عملية التغيير بمصر كانت مرشحة لان تطول مثل اليمن وسوريا وليبيا لولا أن الجيش تدخّل واختصر الطريق ، وما يزال ما بعد التغيير يلزمه حوار العقول الذكية واهل الاختصاص، وذلك شرطٌ في نظرية التغيير ❑❑❑

٥ المعجزة الشبابية

❑❑ بكل ذلك: كادت النظرية التغييرية أن تكتمل ، ولكن كانت هناك معضلة لم أجد لها حلاّ ً، وأرهقني التفكير فيها وأنهكني كما أنهك أُلوفاً غيري من الدعاة ومكثنا في الحيرة المبهمة التي قد تؤدي الى اليأس ، وأن نعافَ حديثَ التغيير ، زهداً به.

أصل هذا الإبهام والحالة المغلقة: أن الدعوة تقادَمَ عهدُها ، وطالت المسيرة ، ومع ذلك بقينا نمثل " نُخبة " من الأمة فقط ، وأما أكثرية الأُمة فسادرة لاهية في أمور الدنيا ، وكَسَلتْ عن الصلاة ، وتعاملت بالربا والحرام ، وساءت أخلاقها ، وسفَرتِ النساء، وصار تقليد الغرب ، واختلط الفكر ، وانبعثتْ أنماط جاهلية. وهي أحوال أوجدت سؤالين:

- الأول: هل القلّة مؤهلة للإصلاح والتغيير ، والى متى نعظ والناسُ يعرضون؟

- والثاني: هل هؤلاء النماذج اللاهية من الناس هي التي أحرق لها نفسي وأسفك دمي وأُقلقُ راحتي وأستهلك وقتي وأجلب لها التنمية والحرية وهم على ما عليه من العصيان لله واللاأُبالية وقد اجتمعت فيهم السلبيات؟

❑ حالة جعلت الداعية يُصبح تغييرياً متحمساً ، ويُمسي كافراً بالتغيير ، معاتباً الأُمة التي تخذله ، وتتخلى عنه ولا تعترف بإخلاصه.

ثم فجأة تهجم الخواطر التي فيها الحلّ والجواب الشافي والدواء الكافي لمرض اليأس والكآبة ، وتكتمل النظرية ونختم على تمامها ونقول قولة أجدادنا: تمّتْ وبالخير عمّت.

❑ كان ذلك في ثنايا جَدَل دعوي عارم اعترى جميع الدعاة في العراق حين اختلفوا الى رأيين في التعامل مع الجهاد والسياسة والموقف من المعاهدة الأمنية مع أميركا ، وكنتُ ومازلت نصير الجهاد ، فحملني

إخوتي على أن أنطق بقول فصلٍ في الخلاف يطمئن معه المتشكك ويضع النقاط على الحروف ويهدأ معه وضعٌ ملتهب ، فكتبت سنة ٢٠٠٨ رسالة " نقض المنطق السلمي " الصريحة النقدية ، وعارضتُ إبرام المعاهدة ، وحصلتْ عاصفة ، ولكن جاءتني في خِضَـمّ معمعة البراهين والجدل إلهامات يتكون منها جواب صارم لمعضلة (النُخبة والأمة اللاهية) ، وصرختُ أني " وجدتُها وجدتُها " ، وخلاصتها: أن قوم موسى عبدوا العجل بعد مغامرة موسى عليه السلام البطولية بالذهاب الى فرعون ونهيه عن منكره ، وبعد ما نجاهم الله تعالى الى سيناء ، وقالوا: اذهب انت وربك فقاتلا ، ومع ذلك ما كان تخلّي موسى عن قضيتهم ، بل استمر يعمل لها ، وشاء الله أن يجعل له من ذرية اولئك الجبناء الفساق جنوداً يفتح بهم فلسطين بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى.

- هذا الإستنباط المجيب على السؤالين هو عندي أثمن اجتهاد توصلت اليه ، وأبلغ جزيئة في فقه الدعوة ، ونحن اليوم في حالة مماثلة: أمة لاهية قعدت بها السلبيات ، واعتدت علينا نحن الدعاة بالتكذيب واللمز والهجر، ومع ذلك نبقى أوفياء لقضية التغيير والجهاد ، لأنها شكل من العبادة الواعية لرب العالمين ، ولنا تعويض في أبنائهم من الشباب الصاعد النقي الجريء المعتز بالاسلام.

- وثقتي بالشباب قديمة ، أقدم من هذا التاريخ بثلاثين سنة وأوردتُها في " المسار " تحت عنوان (صولات أبناء العفراء) وقلت:

(اما الناشئ: فكلّه محاسن ، وكلّه حيوية ، وتصبر عليه سنوات قليلة فاذا هو الرجل الكامل ، المقدام المثابر) (حتى اذا رَشَـد احدهم وكان على ابواب الجامعة او الاستقلال بمهنة او الانخراط في مصنع: وجدته داعية وافر الفقه والحياء والنشاط دون هواجس تساورك نحوه. يبدو أنه يراد لنا تصور بعيد لدور الناشئة وإنشاء حركة لهم) (إن الشروع المبكر برعاية الناشئة يعتبر الضمانة الكبرى لحصول الدعوة على الجيل التنفيذي للمرحلة الأخيرة) (وإنها حاجة الدعوة فعلاً الى جيلٍ مقدام من الناشئة ، خفيف التبعات ، سريع الخطوات ، تائق الى روضات الجنات ، أنعِم به وأكرِم ..

ثمّ أنعِم.)[1] .

ولأن نقيبي الاول الاستاذ عبدالواحد أمان ربّاني في " الاسرة " حين كنت ناشئاً من ناشئة الدعوة: فانه مازال بعد ما يقرب من ستين سنة على تلك الاجتماعات المباركة ينظر إليّ أني مازلتُ ذاك الناشئ ، وكأنها ظاهرة في طباع النفس معلومة لعلماءِ النفس ، ولعمق هذا الشعور صرتُ أنا نفسي لا اعترف بشيخوخة واعتدّ بروح شبابية تغمرني وتجعلني كثير الترداد لأبيات أحمد الصافي . . .

سِنّي بروحي لا بعدّ سنيني
فلأسخرنّ غداً من التسعينِ
عمري سوى السبعين يركضُ مسرعاً
والروحُ ثابتةٌ على العشرينِ

● ولذلك صرت " رائد النهضة الشبابية " والخيمة التي تنطلق من عند عمودها النهضة الشبابية. والحمد لله كثيرا.

● وكان الذي قلتُه في " نقض المنطق السلمي " أن:
(أصل الفقه الدعوي في هذه القضية مبثوث بوضوح في ثنايا قصص القرآن الكريم، فإن الله تعالى أمر موسى عليه السلام وأسنده بوزيره هارون عليه السلام أن يذهبا إلى فرعون ويتبنيا قضية بني إسرائيل ويطالبا برفع المحنة التي أرهقتهم ، مع أنهم لم يخلص إيمانهم ، وفي عقيدتهم الإيمانية اضطراب هو أشد من سوء الأخلاق ، ويوضح ذلك قول الله تعالى : (وَأَوْرَثْنا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْن وَقَوْمُهُ وَمَا كَانواْ يَعْرِشُون ، وَجَاوَزنا ببَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون ، إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ

(١) المسار/١٤٥ آخر فصل ١٠

وَبَاطِلٌ مَّا كَانواْ يَعْمَلُون) الأعراف : ١٣٧ – ١٣٩.

ويقول تعالى : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذلِكَ فَقَالُواْ أَرِنا اللّه جَهْرَةً فَأَخَذتهُمُ الصَّاعِقَةُ بظُلْمِهِمْ ثمَّ اتَّخَذواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنا عَن ذلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبيناً) النساء : ١٥٣.

وهذه جهالات وعدة أنواع من الاضطراب في العقيدة ، وما كانت أيام جاهليتهم ، بل (مِن بَعْدِ مَا جَاءتهُمُ الْبَيِّنَات) ومن بعد نجاتهم ومجاوزة البحر وتدمير ما كان يصنع فرعون وقومه ، ومع ذلك فلم يترك موسى قضيتهم السياسية وقضية الحرية ، بل استمر يقودهم ويحاول إصلاحهم حتى بنى لهم دولة .

والدليل على ذلك مشروح في قوله تعالى : (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) يونس : ٨٣.

فهذه هي الإشارة المهمة التي تبين السبب وتقرر القاعدة ، فإن قوم موسى وإن لبثت فيهم اضطرابات العقيدة إلا أن منهم الذرية المؤمنة التي يطمع موسى أن يبني بها الدولة ويقاتل ، والحياة الاجتماعية وحدة واحدة ، والأبناء يعيشون مع الآباء ، ولا يمكن الفصل ، ولذلك التزم موسى قضية جميع القوم من أجل أن يتمكن من تربية الذرية ، وقد أتت آية أخرى على ذكر نموذجين من هؤلاء الفتية ، وذلك قوله تعالى : (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) المائدة : ٢٣.

مع أنهما كانا يقفان في عرصة واحدة مع المترددين الذين يقولون (فَاذهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنا هَاهُنَا قَاعِدُون) المائدة : ٢٤.

بل القرآن يروي نموذجاً لسبعين هم الفصيل الإصلاحي القتالي الدعوي الذي يحرص موسى على سلامته من أجل أن ينفذ الواجب ، وذلك قوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذتهُمُ الرَّجْفَةُ

قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ..)
الأعراف : ١٥٥.

فموسى هنا صريح في تمييز رجاله المؤمنين عن آخرين استولت عليهم العيوب ، وتعبير (اختار) كناية عن خُطة وبناء تنظيم والتعهد بمهمة دعوية وجهادية ، والحقيقة المختلطة لم تجعله يقعد عن تولي القضية والتصدي لواجب الوقت وبناء منظومة الإصلاح ، غير آبهٍ لمن يطرب لخوار العجل ولا لنكوص الجبناء ، وهكذا هي مهمة الداعية في كل قوم وفي كل زمان : يتبنى قضية الحرية على الرغم من وجود الأرهاط السيئة في قومه ، لأن الحياة الاجتماعية معقدة ومتداخلة ويختلط الصالح والطالح في العائلة الواحدة ، والداعية يطمع في الذريّة والفتية ، ويأمل أن يُخرج الله من أصلاب الغافلين والمغتابين والجبناء مَن يحمل هموم الدعوة والجهاد ويعمل على تقويم الاعوجاج ، أو يأمل توبة اللاهين ، ولذلك لن يتأخر عن ترشيح نفسه لقيادة قومه الذين لم يبرأوا من اللغط والبدع والسلوك الغلط ، لأنه لا يدري أين يكمن الخير ، فواجبه أن يتصدى لإصلاح الناس ، ثم الله يهدي من يشاء ، وهذا من مَواطن الفهم الدقيق لفقه الدعوة ، وفي القرآن الكريم شواهد أخرى تعضده).

❑ نخبة شباب التغيير واشتقاق الفقه الثوري

❑ وطفق هذا الفهم والاستخراج يدفعني نحو إيمان أكبر بأن الشباب في العالم العربي وفي عموم العالم الاسلامي هم مادة التغيير وإليهم الموقف الفاصل ، وأنهم طاقة عظمى ، وأن الله لما أراد تحقيق فتح حاسم: قذف الايمان في قلوب الشباب من بني اسرائيل وأوجد رابطة بينهم وأوحى الى موسى أن يقودهم نحو الفتح ، ثم روى لنا هذا الخبر في القرآن الكريم تلقيناً لنا وتعليماً صريحاً أننا في خطتنا الاستراتيجية يجب ان نعهد الى الشباب بحسم الامور ، المنتظم منهم معنا ، والموالي الذي يكتفي بالولاء والتعاون يوم النهضة ، والحليف الذي تتحد وجهته مع وجهتنا ، والسائب المنفرد المستقل الذي يحتاج خبرتنا ويُسند ظهره إلينا ويرجو أن نكفل

طفله من بعده إذا خرّ صريعا في عرصة الحرية ، فكل هؤلاء هم مادة التغيير وأهله وجُنده ، وواجب الدعوة ان تفتح صدرها الرحب الواسع الحنون لهم جميعاً وتصافحهم ، وتستوعبهم ، وتحتمل نقدهم وعتابهم ودلالهم وغَنجَهم ، وتهب المسيء منهم لمحسنهم ، وناقصهم لكاملهم ، ومغرورهم لمتواضعهم ، لتكوين كتلة تستطيع تحريك الحياة الثقيلة ، وسرعة ركضهم الى الموت وصبرهم في الشوارع والساحات على الرغم من الحصد وكثرة سقوط الشهداء وبأعداد ألفية: دليل ناصع على أنهم على الصراط المستقيم ونقاء الفطرة وصحة النية ، وأن ما يجري هو قدر رباني خيري على الدعوة أن تفهمه وتسايره وتندمج معه وتكون البشير به ، ومن أجل تخليد هذه اللمعات الفقهية والفخر بجيل شبابي صنع معجزاتٍ ستة حتى الآن بتونس ومصر وليبيا وسوريا ، ثم في غزة التي كانت لها الريادة ، مع استعداد واضح لصناعة معجزات أخرى في العالم العربي وإيران وعموم بلاد الاسلام: فإني نظمت قصيدة من بحر البسيط التام أذيعها هنا لاول مرة ايضا ، وبها ، وبقصيدة في الآخر ، ومع ما سبق من قصائد وأبيات: يستوي لك ديوان صغير من شعر الراشد أُسميه " ديوان النفير " ، ويكون الاسم الكامل لهذا الكتاب " تنظير التغيير وديوان النفير "، وفي هذه القصيدة التي أسميها " شباب التغيير " وأهديها الى الأبطال من شباب الأمة الذين حققوا التغيير وأتوا بشبه المعجزة أقول:

١ طال المسيرُ فدبّ الوهنُ في النَّفْرةِ يطغى على أورع العُبّاد في الزُّمْرةِ

• وفي القاموس أن الزمرة هي الفوج من الناس ، وهذا تقرير لحال نفسي سلبي بسبب طول مسيرة الدعوة بلا تحقيق حسم ، فنحن في نفير دام نصف قرنٍ من الزمان ، ولكن الطغاة يزدادون عُتوّاً ، فلربما اصاب العابدَ الورعَ ضعفٌ في الهمة ، ذاهلاً عن تراكم ايجابيات ستعصف لاحقاً.

٢ حالٌ من الشكِّ أنساني حديثَ البنا يقول صَحبي:لَهيبٌ زال عن الثورةِ

• أي أن هذا القلق الذي استولى سبّب فتوراً في حوار البناء والانتاج ، والدعاة يتهامسون: اين ذهبت حرارة البداية ، وصور جهاد فلسطين والقناة ، وعزائم التغيير؟ وهذه إلقاءات نفسية ووسوسة سببها طول الانتظار ، وإلا فان الدعوة بخير وتوسعت حتى صارت ظاهرة عالمية ، وتلك الحرارة وصور الجهاد ذهب بها الطغيان وقذْفِنا في السجون وتزويرات الإعلام وحصار المخابرات للاحرار.

٣ نَنصحُ والناسُ في زيغٍ عَتيٍّ وفي شكٍّ غَبيٍّ أثارا أبعدَ السَوْرَةِ

• والسَوْرة هنا معناها شدة الغضب وحِدّته. القاموس / ٨٢١ ، والعَتيّ هو المستكبر المجاوز للحدّ، كما في القاموس/ ١٠٥٠ ، فزيغهم شديد وبالغوا فيه.

٤ جهلٌ طغى بعد دهرِ الوعظ والمغْرَمِ وجُلُّهم لا يصلي:راحَ في سَكرةِ

• أي انهم جهلوا بعد بلاغين وموعظتين: بلاغ النصوص والتذكير ، وبلاغ أحداث السوء الضارة والفتن والمجازر والازمات المالية ، فكل ذلك من المغارم التي يجب ان يفهموها انها عقوبة ربانية لهم بسبب الزيغ والشك ، ولكن الضلال أسكرهم وأضعف فيهم بصيرة النقد والتحليل والتمييز وفهم حركة الحياة.

٥ ثُمّ غِناءٌ ولهوٌ باذخٌ دائمٌ شاعَ الرِّبا ، والنِسا في خِطْئةِ السَفْرةِ

٦ حالٌ من الدهشة الكُبرى أحاطت بنا هل نمضِ؟ أم نتركُ اللاهين في جَوْرةِ؟

• الخِطْء: الذنبُ والخطيئة ، كما في القاموس/ ٤٧٨ ، والجَورة: اي حالة الظلم، اي ظلمهم لأنفسهم حين اختاروا اللهو والحرام ، وظلمهم لغيرهم بسبب قلة التراحم وهدر الاموال في البذخ وليس في الإغاثة ومواساة الفقير.

٧ أهذهِ أُمّةٌ أُفدي لها مُكنتي؟ أهذه أُمةٌ أُنْمي لها نُصرتي؟

• أي هل يجوز صرف إمكاناتي وقوتي لأُمة لاهية؟ وهل أنصرُ قضاياها بالقول والعمل النافع والجهاد؟

٨ قد أورثتني جَهالاتُ الأُلى أسفا
متاهةٌ نفضتني ، أطلقتْ زَفْرَتي

• أي تركتني جهالات الناس حزيناً أُطْلِقُ الآهات وهزّت كياني.

٩ حتى وجدتُ جواباً حازماً شافيا
مِن فِتيةٍ رابطوا دَهْراً لدى الثغرةِ

• أي وجدت الامل في شباب استجابوا لنفير الجهاد ورابطوا في ثغوره التي هي القلاع والمنطلقات الجهادية ، أو لاحظوا أين تكون الثغرات ومواطن الضعف فسارعوا الى سد حاجاتها والدفاع عن الدين والامة.

١٠ (ذُرِيّةٌ) في ثنايا السَير قد آمنت
(من قوم موسى) أغاظتهم دُمى الكَبْرةِ

• أي جيلٌ شبابيٌ ، أثارتهم أخلاق التجبر والتكبر عند منافقي بني اسرائيل ممن عبدوا العجل وقعدوا عن نفير الجهاد وعاندوا موسى فكانوا كأنهم دمى العابٍ وتماثيل زائفة. الكَبْرة: التجبّر وأخلاق الكبرياء ، كما في القاموس/١٣٩٠ ، والدُمى جمع دُمية: الصورة المنقشة ، والصنم ، كما في القاموس/ ٥٦٦.

١١ الجمعُ عاندَ موسى أو صَلاهُ أذىً
سِوُى نفوسُ الذراري رُحْنَ في فَورةِ

١٢ والمُتْرَفون أُسارى جُبنِهمْ قُعَّدٌ
رُحْ أنتَ والربَّ قاتِلْ نحنُ في الحُفْرَةِ

• همزة أُسارى المضمومة يصح ان تكون مفتوحة ايضاً ، كما في القاموس/ ٥٤ ، واستطابة المكان السافل وملازمة الحُفَر: خصلة نفاقية مذمومة ، والنفوس الحرة تعشق المعالي والقِمَم ، وفي شعر التونسي الشابي: أن من لا يتعلم صعود الجبال

يعيش أبد الدهر بين الحُفَر.

١٣ شُبانُ موسى لَمن قادوا معارِكَـهُ
باب العماليق أضحى خِشبةَ الحَظْـرَةِ

• والحِـَظرة بفتح الحاء وكسرها ، فكأنه بكسر الحاء: اذا اشتققناها من الحِظار ، وهو السور من الاعواد يقي الابل الريح الباردة ، وبفتح الحاء: اذا كان اشتقاقه من الحظيرة ، وهو ما يحيط بالشيء من خشب وقصب. راجع القاموس/٣٧٨ والوصفان سواء ، وفي الآية " فكانوا كهشيم المحتظر " أي مثل الخشب المهشم ، لأن صاحب الانعام لا يبني الحظيرة بخشب جيد ، بل برديء الخشب والقصب واعواد الشجر الهشة ، فاقتحام الشباب لباب العمالقة كان رائعاً ، وهو من خشب صلب متين ، ولكنهم حطموه وجعلوه مثل اعواد حظيرة الغنم أو الإبل. وجمع شاب: شباب وشُبان. كذا في القاموس المحيط/٨٣٢.

١٤ حَيصَةُ يُهدانَ لم تحجِب قضيتَهم
عن سعي موسى: كَفَتْهُ ثُلّة المَوْرَةِ

• في القاموس/ ١٥٦٣: المورُ: الجريان على وجه الارض ، والتحرك ، وفي القرآن ان الجبال تمور مورا ، أي ان فتيان موسى انتفضوا فتحركوا وجالوا في أرجاء سيناء ثم فلسطين مجاهدين ، في شكل جمهرة عسكرية فدائية سريعة التحرك ، كمثل حركة ثوار ليبيا في صحرائها.

١٥ واليوم نرضى شبابَ الدعوةِ النُجَبا
وُرّاثَ جُنـدِ (الكليم) العازم الإمْـرةِ

• والكليم هو موسى عليه السلام ، وهو نبي من أُولي العزم من الرسُل ، وقد كلّمه الله تعالى. وقول الاية: " على خوف من فرعون وملئهم " فيها دلالة على أن هذه الذرية الشبابية قديمة التحقت بموسى يوم كان بمصر لذلك صاروا رجالاً عند فتح مدينة العمالقة فقالت الاية الأخرى: " قال رجلان ". وها هنا إشارةٌ خفية إلى أن حمل الدعوة في أيام الشدة ووجود الطغيان إنما هو صنعة شبابية محضة ، وهذا

تشريف قرآنيٌ لجيل شباب الثورات العربية.

[١٦] هُم أملٌ، هُم ذَراري الحسْمِ،هُم عُـدّةٌ هُم لعماليقِ (بنتاغونَ) في نَفْـرةِ

• اي هناك تشابه في طبيعة العدو ، فأعداء موسى كانوا العمالقة الجبارين ، وأعداء الامة الاسلامية اليوم هم مارينز البنتاغون العمالقة في سلاحهم المتفوق ، والشباب اليوم في نفير دفاعي ، ولهم نفوس اقوى من نفوس المارينز ، وإيمان واخلاق ورحمة، وبذلك نضمن تفوقنا على الغازي مهما مَلَك أعتى السلاح.

[١٧] دَعْ..دع عَبيد الدُنى في لهوهِم غُرَّقٌ وانهج بديعاً سريعاً في جَلا البؤرة

• اي فلنترك عبيد الدنيا ، والدُنى جميع دنيا ، ولْنسارع الى منهج إبداعي في تربية وتدريب الأُمة ، وهم جمع الشباب ، والتربية تصقل قلوب المؤمنين ، أي تجلوها حتى يكون صفاؤها اللامع.

[١٨] فِسق الملايين في عِلم الحياة صَـدَى حكمةَ ربٍّ يرى سَقيَ فَمِ الجَمْـرَةِ

• اي جهنم التي كأنها جمرة كبيرة ، ومن يتامل حكمة الله في خلق الخلائق يعلم ان الله تعالى خلق جهنم وجعل لها مورداً من الحطب يتمثل في الكافرين والعصاة الذين لا يتوبون اليه ، ومن المحال ان نُصلح كل المجتمع ، ولو سمى حذيفة كل المنافقين لاستوحش أن يسير عُمر في المدينة ، رضي الله عنهما ، لكثرتهم ، ولذلك كنا في وهم حين قلنا: نُصلح كل المجتمع ، بل هذه القصص وقوانين حركة الحياة تقول لنا ان نكتفي باصلاح بعضه ، وسطوة السلطة تروع البقية عن الاجرام والسوء.

[١٩] بل مستحيلٌ وفَا كلّ الأُناس لنا مهما دعونا بحُسن الفِقه والفِكْـرَةِ

[٢٠] هذي ظواهِرُ فافهم وانطلقْ واثقا أنت على فِقه قومٍ حالفوا خِيرَتي

• اي هذه ظواهر عامة في حركة الحياة ، واذا استوعبتها كنتَ في جانب الامان: لانك ستكون بمعية قومٍ ارتضوا تنظيري للتغيير ، والخِيرة هنا بمعنى: تفضيلي للرجال الاشراف وللافكار والخطط، كما في القاموس/ ٥١٥ ، اي ها هنا وصْفةٌ عمليةٌ لخارطة التحرك من الناحيتين الاسترتيجية والتعبوية ضبطتها لك بشروط توثيق للرجال تضمن تقديم الأوعى الافضل ديناً وعلماً ، والأمتن تنظيماً ، فتكون المسيرة أقوى ويُرجى لها النجاح.

[٢١] لا تيأسَنَّ ، فشأنُ الجاهلينَ الجَفا الجيلُ لؤلؤةٌ قد أبهرت نظرتي

[٢٢] مَن يعِ من سائر الإنسانِ مغزاك أو مِيزانَ فِقهكَ: هم كبريتُ ذو حُمرةِ

• واذا اراد العرب التمثيل حين وصف شيء بالنُدرة والقلّة يقولون: هو أندر من الكبريت الأحمر ، وهو فص الياقوت الاحمر الذي هو من الاحجار الكريمة كما في القاموس/ ١٣٩٠ ، وليس كبريت الاحتراق ، فمن يفهم من الناس مغزى الدعوة وموازينها في الاعمال السياسية والاجتماعية والاقتصادية هم أندر من الياقوت ، ولذلك تبقى ظاهرة إعراضهم عنا وقلقهم دوماً مهما بذلنا لهم الاحسان ، والبديل عنهم: ذريتهم من الشباب ، فسارع الى تنظيمهم وتربيتهم يكن مركز التوجيه الفكري والاعلامي والسياسي في الحياة في يدك ، وباقتدار وتفوق ، وذلك هو معنى البيت الآخر:

[٢٣] فهؤلاء لآلي العِقد فُم فانْظمِ بهمِ تَحُز مركزَ التوجيهِ في قُدْرةِ

[٢٤] واطلب من الآخرينَ الصفوَ من نُصْرةٍ يأتِكَ محضُ الولا من خاطر الخُطْرَةِ

• اي يأتك الولاء المحض من أشراف الناس. وفي القاموس/٤٧٩: الخُطْرُ: الاشراف من الرجال ، والخاطر: المتبختر ، والى اليوم نسمي الضيوف في العراق: الخُطّار ، وبلغني ان هذه الكلمة لازالت مستعملة في بلاد اخرى بهذا المعنى. أي كأن الخُطرة

الذين هم زمرة أشراف الناس حين يأتون للنُصرة بشعور الولاء: يمشي قائدهم امامهم متبختراً في استعراض ، وهي مشية مطلوبة حلال، لأنها في ساعة النُصرة التي قد تتطور الى حرب وتغيير ، والتبختر ساعة القتال حقٌ وسُنّة ، وتبختر الأرهاط الشريفة في يوم استعراض قوتك في السجال السياسي: أمر نافع لك ايها الداعية ، ويُظهركَ بمظهر القوي المسنود المتمكن ، فتزداد هيبتك ، ويضعف أمر أهل الفسوق. وفي وجود الخاطر والخُطرة إشارة الى أن الولاء سيكون ليس من الافراد فقط ، بل من الاحزاب الصغيرة والنقابات المهنية والجمعيات والقبائل وأفخاذ العشائر ، فيأتون لنُصرتك كتلة واحدة يتقدمهم الرؤساء والنقباء والشيوخ يتبخترون أمامهم بفاخر اللباس والسلاح ربما والشعارات والبيارق والهتاف والتكبير ، إظهاراً للعزة الايمانية ، وكتبَ الله ان ينصر نبيه بالرعب من مسيرة شهر ، وقد يكفي ان تقوم قوى التغيير بهذا الاستعراض فيكون النصر النفسي المعنوي ، ويكون كسب نصف المعركة بلا نار.

٢٥ فَرُصَّ صَفّاً وطوّر أبدع المنهجِ
واحرص على خط إحيا أربح التَجْرَةِ

• وهو خط مذهب إحياء فقه الدعوة ، إذ بين ثناياه تكمن شروح كل تفاصيل نظرية التغيير. قال في القاموس: ١٨٥: تَجَرَ تَجراً وتجارة.

٢٦ مقياسُ قومك أن توفى مصالحهم
فاعمل لإنمائها: تُنسَبْ الى أُثْرَةِ

• والأُثرة كما في القاموس/ ٣٧: المكرمة المتوارثة ، وهنا الاشارة الى ان الناس تريد منك عملاً تنموياً وفوائد ومصالح معاشية وفرص عمل وظيفي تنهي البطالة ، حتى قبل وصولك الى الحكم ، وذلك حق ، ويجب على الدعوة في سياساتها الاجتماعية والاقتصادية ان تراعي لا الاغاثة فقط للفقراء ، بل الممارسة الصناعية والزراعية والتجارية والخَدَمية ، بأنفاس تعاونية ، لتقديم فرص عمل وعرض بضاعة جيدة رخيصة ، وفي البلدان التي فيها بعض حرية بخاصة ، فتتكون تنمية شعبية تكون الدعوة هي القائدة المتزعمة لها ، فتؤدي الى تغيير سلمي من خلال الانتخابات يكفي به الله المؤمنين شر القتال ، وفي " العمارة الدعوية " دعوتُ لعمارة تعاونية نقدمها للفقراءِ على مذهب حسن فتحي بمصر توفر المساكن لهم بربع القيمة العُرفية.

٢٧ فافهم مقاديرَ رَبٍّ شاء ان يقسما
أنت القيادي ، والثاني أخو حَيْرةِ

• وهذا ما هو بتكليف يُثقل كاهل الدعوة ، بل هو تشريف وتمكين وعِزّ دنيوي يرفده رجاءٌ أن يكون عِزاً أُخرويا ايضاً ، فهذه التنمية ومهارات التنظيم والتخطيط والتحليل السياسي التي يكسبها الدعاة: ستجعلهم قادة للناس ووزراء ومدراء وسفراء ، بينما الآخر الذي تهيب من الانتماء التنظيمي وخاف الفكر التغييري سيبقى أسير أقداره التي عقلته ومنعته من اكتساب الخبرة والعلم وفن الإبداع ومهارة الادارة ، فهو حائرٌ محتاج لك أن تصافحه وتدله على الطريق الصحيح ، فيكون قد خلقه الله للجُندية والتنفيذ ، وانت صاحب الفكر والتخطيط ، وتعقد عزائم القرارات.

٢٨ هذا:فإن لم تُدارِ القافياتُ الجَوى
فحكمة الشعر أقوى من صَدى النَبرةِ

• والجوى: الحزن ، اي أني اجتهدتُ في اختيار هذه القوافي لك من أجل تقعيد المعاني وجعلها موازين في الحياة ، فاذا قصرت بلاغتها عن ان تهز دواخلك وتبدل الحزن الى طموح: فانه يكفيني أني جمعتُ لك الحكمة في متن واحد ، ووقع الحكمة واثرها أكبر من صدى نبرة البلاغة التي تريدها واستعصت عليّ ، ويكفيني أني اتقنت تنظير التغيير لك ولقومك ولكل الاحرار.

❑ الإضافات التركية لنظرية التغيير

❑ وكانت الحركة الاسلامية المباركة في تركيا قد نشأت في ظروف بعضها مشابه لظروفنا في البلاد العربية ، وبعضها مغاير مختلف ، وسطوة التيار العلماني الذي رعاه أتاتورك كانت عنيفة وتستند الى الجيش ، وللجنرالات رقابة على الساسة وانقلابات ، ولكن مع وجود دستور له بعض احترام ، وبعض حرية ، أو ان حجم السجناء أقل ، وظواهر التعذيب البشعة المعروفة في كل البلاد العربية غير موجودة ، مما ساعد على ذلك أن تختار الحركة الاسلامية منذ البداية وحتى النهاية الطريق السلمي المحض ، وأثبتت الأيام انه كان اختياراً صائباً يلائم الظرف التركي فعلاً ، والمفروض فينا نحن الدعاة العرب أن نعتقد أيضا أن خطة التغيير سلماً ومن

خلال العمل الفكري والسياسي والاجتماعي هي الأصل ، وان استعمال القوة استثناء توجبه الضرورة فقط ، وحتى الإقرار بتداول السلطة مما هو في التخريج الديمقراطي ركن وأساس لقبول مشاركة الاسلاميين في الحياة الاسلامية إنما هو إقرار اضطراري نرى حتمية اللجوء إليه بتسويغ من فقه المصالح والضرورات مهما خاف البعض من ان ذلك يعني قبولَنا بصعود حزب إلحادي الى الحكم ، مثل الحزب الشيوعي ، لان هذه حالة بعيدة التصور ، وفحص حال الامة يدل على أنها لازالت بخير ، وأن العروق الايمانية فيها مازالت نابضة ، على الرغم من شيوع الفسوق والعصيان ، وانها لن تنتخب كلها أو نصفها حزباً إلحادياً مادامت الانتخابات حُرة ، وليس فيها تزوير ، وهذا هو شرطنا إذا أرادوا منّا الإقرار بتداول السلطة ، وأما ان يكون فوز الاحزاب الالحادية بنصيب صغير فذلك محتمل ، ولكن الموازانات تقول بأنه فوز غير مخيف ، وتبقى كمية المصالح الاسلامية الممكنة التحقق أكبر جداً من السلبيات والمفاسد ، لان وجودنا وتمييز إخلاصنا وخططنا الجادة هو الذي سيفتح الطريق لنا للصعود التدريجي والتفاف الناس حولنا حتى نكون الاكثرية ونستلم الحكم بطريقة دستورية ، كالذي حدث في تركيا وأتاحت ثورات الربيع العربي أن يبدأ حدوثه في البلاد التي تحررت من الطغاة ، تونس ومصر وليبيا ، واحوال فلسطين تشهد لصحة ذلك أيضاً ، وكل الدلائل تشير الى احتمال حدوث ذلك في سوريا واليمن اذا اكتمل تحريرهما ، بل بعض البلاد خافت الثورات فسمحت بالممارسة الاسلامية ، مثل المغرب ، والتطورات في الكويت وموريتانيا تشير الى احتمال سماح الحكومات بمشاركة اسلامية ، وحتى الجزائر مرشحة لفوز الاسلاميين فيها اذا عادت الحركة لوحدتها او وجدتْ سبيلا لتحالف وتنسيق وتعاون على الأقل ، والسبب في كل ذلك ان نمط الحياة تغيّر جذرياً ، غيرته القنوات الفضائية وحياة الانترنيت والموبايل والاموال والافكار والتنميات التعليمية والدراسات الجامعية والتخصصات وجمعيات المجتمع المدني ونموها وانتشار خبر النموذج الحضاري وآثار الحرية في العالم وانفضاح الجانب الاستعماري الاحتكاري في خطة العولمة الاميركية من خلال سقطتها وخطيئتها في العراق ، ثم نمو التيار السلمي الاخضر في اوربا بخاصة ، وصعود الصين ، وآثار زوال الشيوعية

عالمياً ، وعمران ماليزيا كبلد اسلامي ، وبعض اشارة خفية في شخصية الرئيس اوباما ، وردود الفعل النفسية لطيش الطغاة وزيادتهم لوتيرة الظلم وضعف رؤيتهم لمعاني هذه التطورات في أنماط الحياة والاحوال العالمية ، ثم الآثار الايجابية لتراكم ثورة الفكر الاسلامي والاعمال الخيرية الاغاثية وثورة التوسع العظيم في بناء المساجد في انحاء الارض ، والآثار الايجابية لامتداد زمن السلم عالمياً دون حدوث حرب عالمية ثالثة ، مع مشيئة قَدَرية ربانية تنتصر للدماء والآهات وزفرات المساجين ، وأموال ربانية نفطية جاءت مجاناً بلا صناعة ولا تجارة أغنت الشعوب فتكونت الطبقة الاجتماعية الوسطى بين الفقراء وحاشية المستبدين من شيوخ وسلاطين وملوك فصار هناك وعي سياسي يدفع مَن في الوسط الى المشاركة في القرار وانتهى عهد خنوع المستضعفين: كل ذلك جعل الاولوية لطريق التغيير السلمي مع بقاء خيار الاجازة الشرعية لاستعمال القوة ، وجعل حصول نتيجة ايجابية وتغيير فعلي ممكناً وواراداً ، ولذلك أنا مؤمن اليوم اشد الايمان بجدوى الاصرار على سلوك طريق التغيير السلمي والصبر على ضريبته وإبطائه ، وأرى ان نعلن الاقرار بتداول السلطة كما تريد الديمقراطية ، وأضع أمام الشباب الفائر عشرين شرطاً للإذن باستعمال القوة، وذلك لأني لا أخاف المستقبل ، بل التيار الاسلامي هو المتفوق ، واسلام الناس الى ازدياد ، والامثلة الاستثنائية في العراق وافغانستان والصومال وليبيا لا تغير من حقيقة ان بقية الامة يمكنها ان تنال حقوقها وحريتها من خلال التغيير السلمي ، وذلك هو الذي يفسر صواب لجوء الدعوة الى تبديل بعض عباراتها المخيفة في وثائقها الى عبارات خفيفة ، لانها تترفق ، ولا تريد الاجفال بعد ان ضمنت المآل.

❑ وكانت رحلة عودة تركيا الى الاسلام قد استغرقت نصف قرن تماماً ، والذي مهّد للعمل السياسي الاسلامي التركي هو العمل التربوي الايماني القديم الذي بدأه وغرسه ورعاه الامام المصلح بديع الزمان نورسي من خلال رسائله المسماة: رسائل النور ، وجماعة قرائها والمؤمنين بها الذين حملوا اسم طلاب النور ، او حركة النور ، وذلك منذ عهد أتاتورك وعصمت اينونو ، ولكن الذي أطلق زناد السعي السياسي هو رئيس وزراء تركيا الماسوني التائب عدنان مندريس ، حين خطب سنة ١٩٥٤ وقال:

يجب ان تعود تركيا الى أمجادها العثمانية ، فكانت حملته هذه سبب إعدامه ، رحمه الله، وان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر ، وكان قد أرجع الأذان الى المساجد ، وسمح بنشر الكتب الاسلامية ، فبدأت اليقظة ، ومن اعوان مندريس آنذاك اثنان من الشباب عهد إليهما بالتخطيط الصناعي بخاصة والتنموي بعامة ، هما: دميرل ، وأربكان. أما دميرل فأسس حزب العدالة بعد ذلك وبدأ النوريون يسندونه انتخابياً مقابل السماح لهم بالعمل والنشاط ، فاتّسعوا ، وأما أربكان فلبث مع نمطه الصناعي حتى كان إماماً فيه واعترفت بفضله الاوساط الحكومية والشعبية، فأسس بعد دهرٍ حزبه الاسلامي الهوية في غير ما صراحة ونجح واستطاع ان يكون في السبعينات عامل الترجيح لأحد الحزبين الآخرين المتنافسين ، فاستفاد من وسطيته هذه ، وصار نائب رئيس الوزراء ، وقرر نجدة مسلمي قبرص عسكرياً ، فارتفعت اسهمه شعبياً ، ولبث في صعود ، وجاء القدر برئيس الوزراء أوزال الذي نجح في انتزاع حقوق من العسكر وبدأ يقلم أظافرهم ، وانتج سعي أربكان وأوزال نوعاً من التقدم للحركة الاسلامية بقي يصعد ويتنامى ، ولكن أربكان كانت فيه بقية من مركزية ونمط قديم في الزعامة ، فتجاوزه بعض اتباعه واستقلوا عنه ، وهم مجموعة اوردغان وعبدالله جُل، واحمد داود اوغلو ، وكأنهم لمسوا عمق الاختراق الاميركي للاوساط السياسية التركية ، فرأوا تطمين أميركا ان زحفهم المتصاعد لا يعني معاداتهم لها ، وانهم يتفهمون مصالحها ، مما جعلها لا تمانع في استلامهم الحكم اذا فازوا ، ورأى أربكان في ذلك خيانة وتبعية ، وانتقدهم نقداً لاذعاً واتهمهم ، ولكنهم تأولوا ورأوا ذلك من ضرورات السياسة وانهم يناورون قدر الاستطاعة ، ولكلٍ اجتهاده ، وبهذا انفتح أمام اوردغان ورهطه باب تقديم الخدمات التنموية لتركيا ، فأحبه معظم الشعب، وانتخبه ، ثم أجاد مرة ثانية وبنى الجامعات والمدارس ورفع الرواتب وحارب الفساد الاداري وقضى على المديونية ، وساعدته الايام في انتعاش اقتصادي حين توسع تجارياً مع جمهوريات آسيا الوسطى وشعوبها التركية الاصل ، ثم مع البلاد العربية وانتفاح سوق في العراق بعد الاحتلال، فزاد تأييد الشعب له وفاز بشكل كاسح تفيد التقديرات معه أن شأن العسكر والعلمانية العارمة المتحالفة معه قد انتهى، ثم زادته مواقف

تأييده لغزة قبولاً لدى الاوساط الاسلامية العالمية ، وتلك هي مسيرة التغيير التركية السلمية الناجحة.

❑ وهنا في هذه التجربة التركية ثلاث إضافات لنظرية التغيير:

• الاولى: نمط الخدمات المدنية التنموية وإقامة الدليل على أن دعاة الاسلام ليسوا اهل دروشة وسذاجة ، ولا غرامهم العنف كما يشيع عنهم الاعداء ، وإنما هم مثقفون كبار ، ورجال صناعة ومشاريع ناجحة ، واهل إبداع وخطط تنموية ، وهم أنصار الفقراء وذوي الدخل المحدود ، ولهم سعي إيجابي في تقليل البطالة ، ونزاهة توفر عشرات المليارات سنوياً وتنقلها من المتاهة والايادي الفاسدة الى الموطن التنموي ، وهكذا يجب ان تفعل كل مجموعة تغييرية في بلدها ، قبل التمكين وبعده، لضمان وقوف الشعب معها ، وذلك هو قولي في قصيدتي السابقة: ميزان قومك أن توفى مصالحهم، فاعمل لانمائها تُنسَب الى أُثرةِ ، وكانت جبهة الانقاذ في الجزائر قد فهمت هذا المعنى وقدمت انواعاً من الخدمة للفقراء والفلاحين عبر المجالس البلدية ، ونجحت نصف نجاح ، حتى كانت تقود حملات تنظيف الشوارع والأسواق ، فارتفع رصيدها وشكرها الناس وانتخبوها ، فجفل العسكر واهتزت فرنسا ، وكان منعها ، واختلط ذلك بموقف لها موغل في الاحتكارية والسلبية تجاه الزعيم محفوظ نحناح وجماعته ، وأظهرت الجبهة كِبْراً وإدلالاً وإنكاراً لحقوق شركاء الساحة ، فساعدتْ أخطاؤها على صيرورة وجودها الى ضَعف ، وتبدلت حقائق الجزائر الآن والمعادلات السياسية والنفسية ، ونجحت المخابرات الفرنسية في استدراج شباب يزعمون الاسلام الى عنف ومجازر ، فتكدرت الصورة الناصعة ، وتأخر كل الوضع الاسلامي في الجزائر ، وكأن بوادر الانتعاش تعود الآن من خلال تلامذة محفوظ وجيل جديد من الانقاذ يعي المناورة ويتواضع ، وكنتُ في يوم من ايام التسعينات حاضراً في غرفة عمليات في سويسرا أثناء ذروة ايام الانتخابات التي فازت فيها الجبهة ، والخط الهاتفي مفتوح لساعات بينها وبين آخن بألمانيا والجزائر وعباس مدني ، وعصام العطار ويوسف ندا يدعوان مدني الى قبول حماس ونحناح كشركاء وحلفاء ، وهو يرفض رفضاً قاطعاً ويقول وأنا اسمع: بل يأتوننا كافراد

لنقبلهم ولن نقبلهم كجماعة ، ويقول: لقّنني اساتذتي في الثورة الجزائرية قبل أربعين سنة أن لا نقبل جماعة تتحالف. ولبثوا يلحون عليه وهو يستقتل في الامتناع ، حتى أصابهم اليأس وفشلوا في زحزحته عن قراره ، وكانت النتيجة ان مجموع الاصوات التي حصلت عليها جماعة نحناح كثيرة ويؤبه لها وليست قليلة ، وإن كانت نتائج فوز النواب فعلاً محدودة ، ففي الدائرة الواحدة يفوز الأكثر أصواتاً ، ولكن ليس معنى ذلك أن منافسه يحوز الصفر ولا شيء ، بل اصواتٌ أكثر من أصوات ، فيكون الترجيح ، ولو جمعتَ الاصواتَ التي لم يفز أصحابها بمقعد لكان الرقم كبيراً وتالياً لمجموع أصوات من فاز.

• والاضافة الثانية: أولوية الحرية ، ورفع شعار: " الحرية أولاً " خلافا للمشايخ ، ففي جو الحرية يُتِم التيار الاسلامي نموه ، وتكون التنمية الاقتصادية والمؤسسات والمشاريع والجمعيات ، وأعمال الدعاية والإعلام والفكر والتربية وبناء المنابر ، وقد أوردنا الجواب الذكي لأوردغان حين قال: لم نأت لتطبيق الاسلام بل لنمنح الناس الحرية التي يعمل في ظلها من يبتغي الحكم بالاسلام.

• والاضافة الثالثة: التلطف مع أميركا ، وهذه قضية بيدنا ان نجعلها من الحق ، وبيدنا أن تكون من الباطل ، بحسب سلوكنا ونوايانا ومدى فقهنا ووعينا ، وطبيعتنا النفسية الايمانية ، ولا شك أنها مسألة نسبية الصواب ، ففي بلاد مثل العراق حين تغزوه أميركا عدواناً وبطراً: يكون الجهاد هو الجواب الصحيح ، والغلطة لا التلطف ، ومذهبي في ذلك واضح ، ولكن في بلاد اخرى نريد فيها التغيير السلمي وتكون لأميركا مصالح فيها وتسعى لنفوذ وتأثير بواسطة ساسة يوالونها اصطنعتهم من العلمانيين: يكون انتزاع الحقوق شيئاً بعد شيء ، وتكون الحكمة في سياسةٍ لا تؤدي الى إجفال أميركا ونزولها بثقلها لمنعنا ، وذلك أن نبعث لها إشارة تطمين الى ان نفطنا سيباع لها ، واننا سوف لن نقترف التفجير وما تخافه من الارهاب ، ولن ننقل المعركة الى دارها كما هي خُطة بن لادن ، بل نريد نيل الحرية والاستقلال الحقيقي، وعندئذ يكون التعاون بين الدول مستساغاً ، وهذا منطق جائز شرعاً وعرفاً، وان كنا أول من ينكر على سياسة شديدة الليونة

مع اميركا مثل سياسة حكامنا الضعفاء التي وصلت الى درجة الذوبان في التيار الاميركي ، وذلك هو الفرق ، والحلال الذي نجيزه في السياسة قد ينقلب الى شبهة ثم الى حرام بحسب درجة عملنا به وتفسيرنا له ، والقلب يشهد ، والفقهاء يراقبون ، والموقف الشعبي قرينة ، ومخافة الله بذرة إيمانية لا نجيز لمن لا يحملها أن يتحدث بسياسة اسلامية.

• وثورات الربيع العربي لم تبرأ من مداخلة أميركية علنية أو سرية ، علنية في ليبيا من خلال حلف الاطلسي ، ونصف علنية في مصر من خلال اتصالها بقادة جيش يعاونوه مالياً ، وثلث علنية في سورية من خلال جمعيات إسناد الديمقراطية ، والظاهر أن بن علي طاغية تونس فهم أن فرنسا تضغط عليه ومن ورائها أميركا ، فقرر سرعة الاستقالة فاهتز موقف مبارك ، والسرّ وراء كل هذا الزهد الاميركي بحلفائها الطغاة القدماء أنها شعرت من خلال تحليلات دوائرها الاستخبارية ان المدّ الاسلامي في العالم العربي يتصاعد ، وان القنوات الفضائية منحت للعرب وعياً ، ولذلك فإنها إن لم تسارع الى تغيير هؤلاء الطغاة من خلال محاولات تستطيع تحقيق بعض التوجيه القيادي فيها فإنّ المدّ الاسلامي سيكون هو أداة التغيير فتكون المشكلة أكبر ، ولذلك رضيت بالمنطق الواقعي الذي يجعل للاسلاميين بعض تأثير وحصة لو شاركت في التغيير بدل أن يحدث تغيير لا حصة لها فيه ، وعند بدء القرن كانت المخابرات الاميركية قد نشرت تقريراً تتوقع فيه صعود الاسلاميين في عدد من الاقطار خلال خمس عشرة سنة ، مع نصيحة للبيت الابيض أن يدخل على الخط وتكون له حصة بدل الحرمان التام.

• ففي حال مثل هذا كيف نتصرف؟ أنترك أميركا وفرنسا وحلف الاطلسي في تصرف حُر ونقعد نتفرج ، وبخاصة ان أميركا لا تبعث جيوشاً أرضية لتحتل البلد لنعلنه جهاداً ضدها؟ أم نحاول المنافسة ، وهم رجال ونحن رجال ، ونحاول تقليل شرّها ما استطعنا؟ وسمعت داعية يبالغ فيقول: هناك ألف جهة دولية وحزبية وفردية تريد أن يكون لها حصة في التغيير المصري، حتى اسرائيل. وهو صادق من حيث وصف كثرة الجهات الطامعة ، والموازانات العقلية والمصلحية ، ثُم قواعد العمل السياسي،

والفهم الأمني: كل ذلك وغيره يدعونا الى تفضيل المشاركة في التغيير وتحقيق حصة اسلامية نجعلها أصلا ينمو مع توالي السنين مهما كان الأمر من فوز شركاء غيرنا يتعاملون علانية او سراً مع أميركا ويحفظون مصالحها، ونحن نخاف أن يكون إحجامنا وتكون سلبيتنا اسبابا في استبداد طاغية جديد تستثمر اميركا موجة التغيير من خلال حضورها وتجعله يركب الموجة ويسرق الثورة ويعيدنا الى السجون ويُدخلنا محنة اخرى ، فدفاعاً عن انفسنا نشارك ، ونرضى بالحرية التي لا يعضدها حكم اسلامي ، لننمو في أمان ، ونؤسس مؤسساتنا وندع الناس يفهمون لُغتنا وفقهنا ونظرنا الاستراتيجي لاصلاح الحياة وأبعادنا الحضارية ، فإنّ قلّةَ منابرنا والحجْرَ عليها هو الذي جعلهم لا يفهمون فكرنا ومواقفنا ، ومع ذلك فقد اثبتت نتائج الانتخابات بتونس ومصر والمغرب أنهم ينحازون لنا عاطفياً ، ويعترفون ببذلنا ، والتصويت لنا صورة من صور الشكر والاعتراف ، فكيف لو انضاف الى ذلك تفهيم من خلال إعلام حُر ، وصحف ، وكتب ، ومحاضرات ، وندوات ، وحوارات ، ومؤتمرات !! الفهم سيكون اكبر وأعمق جزماً ، والتطور التغييري يشتغل لصالحنا ، والأربعين بالمائة مرشحة لأن تكون سبعين بالمائة وثمانين ، والأمر مرشح للدوام والاستمرار الطويل اذا نجحنا في تقديم نموذج من التنمية الحكومية والشعبية بخاصة ، والبركة الربانية تتنزل على مقدار نقاء النوايا ورفعة النفوس ومتانة العزائم ، ولذلك أنا أجلس في البرلمان أو مجلس الوزراء وبجنبي عضو أو وزير متفاهم مع أميركا ، ولا يضيرني ذلك، إذ للاخلاص بهاء يجعل صورتي أجمل من صورته ، وللفقه بلاغة تجعل لغتي أنفذ من لغته ، وفي داخلي سَكينة تجعل منطقي أوضح من منطقه ، والناس تقارن وتحكم ، واذا استعمل المهزوم اساليب الأكاذيب والإشاعات: فانا الله يبعث ملائكة تدافع عنا ، وتذيع في الناس أن الله تعالى يعلم صدق حُب الدعاة له: فأحبوهم.

● وأما ان الاساليب الانتخابية الديمقراطية مشوبة ببقايا تزوير ، وان المال الكثير الذي في ايدي منافسينا يلعب دوراً لصالحهم ، وأن حجم الإعلام غير الاسلامي يبقى أكبر من حجم إعلامنا الاسلامي: فهذه كلها ظواهر غير مخيفة ، وهي الى ضعف مع الايام ، والوعي الانتخابي عند الناس

يزداد ، وذلك لصالحنا ، وسطوتنا وهيبتنا وأموالنا ونوادينا تزداد ، وإعلامنا دائب في تعلّم الفصاحة ، ولذلك نحتمل الخلل الوقتي ، لما عندنا من يقين بأن الزمن يتكفل بتعديل الميزان ، ولو تأمل الدعاة في طبيعة حركة الحياة لعلموا أن التدرج ظاهرة من ظواهرها ، وان المحاسن لا تولد كاملة، بل تكون بذرة صغيرة ثم تنمو ، وأن التغيير لا تتمحض نتيجته لك مهما حرقت نفسك ، لوجود كافر ومنافق ومصلحي وواهم لا تستطيع إلغاء حقهم في ان ينافسوك ، ولكن تجعل غايتك حيازة الأكثرية ، وبعدها تتحمل الاشواك التي تلذع جنبك واصبعك، وكل وردة جميلة تحتها على عودها بعض اشواك ، والذي يرى كيف أن صوتاً واحداً في الاسماعيلية سنة ١٩٢٨ صار عشرات الملايين من الاصوات في العالم كله: يمكن ان يوقن ان تغييراً لنا نصفه وثلثه ، والثلث كثير: سيتحول الى تغيير مفاتحُ ثلثيه بأيدينا إذا أجدنا المناورة وعرفنا السياسة ووثق جُندنا بقادتنا ، وإذا نظرنا الى طبيعة التبدلات الاستراتيجية المتجاوزة للمحليات والتعبويات: ادركنا ضخامة ما تحقق لنا فعلاً حتى الآن من خلال الربيع العربي ، وإذا علمنا ان الأصل فلسطين وإدامة جهادها وحرية غزة ، وانها القضية المركزية: وضح لنا ان الدنيا بخير ، وأن نعمة الله وافرة ، وان تحرير فلسطين في النهاية سيكون هو هبة التغيير في النهاية ، وان هذا التحرير هو الذي سيكتب آخر فصول التغيير.

❑ الإنسان أوردغان . . المصيبُ العَجلان

❑ ويبدو لي ان اوردغان كان ينطلق من مثل هذا الكلام ، ويؤمن بهذه المعاني حين اعطى لأميركا اشارة تطمين لا أعلم عنها شيئا ولكن أربكان انتقدها وجعله من أجلها من أهل جهنم ، وأنا اتوقع الاخطاء من أوردغان، ولا أراه بعين التقديس كما يراه كثير من الدعاة الترك والعرب ، واعترف بفضله وصواب خطته عموماً من غير ان ازعم له عِصمة ، واستطيع ان أقف عند بعض تصريحاته وأفعاله فأقول تخميناً أنها هي موضوع تفاهمه مع أميركا ، وأنه قد أخطأ في ذلك ، ويبقى هو الثقة المبتكر لطريقة سلمية في التغيير أغرتنا أن نقلدها ، وأنه هو ورهطه فقهاء في تنظير التغيير ، ولكنهم استعجلوا فذهبوا في تطمين أميركا حبّتين زيادة.

❑ الخطأ الاول: ذهابه الى خطأ حماس في قرارها رفض الصلح الدائم وعدم اعترافها باسرائيل التي هي حقيقة واقعة ، وهذا أكبر سقطاته التي ليس من الصعب ان نلمس فيها جانب إرضاء أميركا. وهو قد نَصَر غزة ، ووقف مواقف جريئة ضد اسرائيل ، وقلص التعاون التركي الاسرائيلي في الجانب العسكري والأمني ، ولكنه يريد كل ذلك على طريقة انور السادات في (حرب التحريك) حين عبر القناة وحقق نصراً من أجل دفع إسرائيل لقبول الصلح معه ، فهو يريد ان تكون حماس في موقف قوي لاجبار اسرائيل على ان تخفف شروطها في الصلح ، بينما مشروع حماس ان تسعى لهدنة طويلة لعشر سنوات من دون اعتراف باسرائيل ولا تنازل عن حق عودة اللاجئين، وفقه الاستاذ القرضاوي في كتابه عن " الجهاد " يؤيد مذهب حماس في الصلابة وضرورة عدم الصلح والاعتراف الدائم.

❑ الخطأ الثاني: عرضه وتنفيذه لوساطة بين اميركا والفصائل الجهادية العراقية لإنهاء القتال والالتحاق بالحكومة مقابل مناصب وامتيازات ، لكنه لم يكن منحازاً للمقاومة بشكل حاسم ، فحصل تخدير للمجاهدين من دون تحقيق نتيجة ، وهذه قضية لا يعرفها معظم الناس. واوردغان على العموم يتخبط في العراق ولم يمارس دوراً قوياً في إسناد اهل السُنّة بمقابل دور ايران الكاسح في اسناد الشيعة ، وأحد مظاهر تخبطه انه جعل السفاح الطاغية الدموي المجرم محمد جواد المولى مستشاراً للحكومة التركية في الشأن العراقي ، لأنه تركماني من اهل تلعفر في العراق غرب الموصل ، مع انه هو الذي اسس (فيلق بدر) في ايران بالتعاون مع الحكومة الايرانية، ومارس خطة تقتيل أعيان أهل السنة في العراق تحت رعاية الاحتلال الاميركي ، وله تاريخ اسود ، وسبب ثقة اوردغان به انه تركماني يظن فيه الإخلاص لتركيا ، مع انه مستعد لبيع ألف تركيا لصالح خطته الطائفية ، مما يشير الى بقايا شعور قومي تركي في اوردغان، وقد بلّغناه بحال المولى هذا وإجرامه ، ونصحناه بتركه وتعيين مستشار سني ، ولكنه أعرض عن نصحنا ، ولذلك حصل نشاط اختراقي من الأحزاب الطائفية العراقية للمجتمع التركي والى حد يشكل خطورة مستقبلية ، وعلى الاخص حين نلاحظ وجود نصف مليون علوي في اسطنبول اصلهم من علوية منطقة قره حصار في اقصى شرق تركيا ، واقامت الاحزاب العراقية معهم

الآن اقوى العلاقات وترعاهم وتبث دعوتها في صفوفهم ، واوردغان لا يأبه ويستهين بالامر ، لضعف في وعيه التاريخي ، حتى انه ذهب الى حسينياتهم في عاشوراء اواخر سنة ٢٠١٠ وخطب فيهم عن إيمانه بالدرس الثوري في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه ، تقرباً لهم وطمعاً بأصواتهم الانتخابية ، فعاتبه في ذلك شيخه رئيس علماء الشرع الحنيف في تركيا وأنكر عليه ان يبلغ هذا الحد في المداراة.

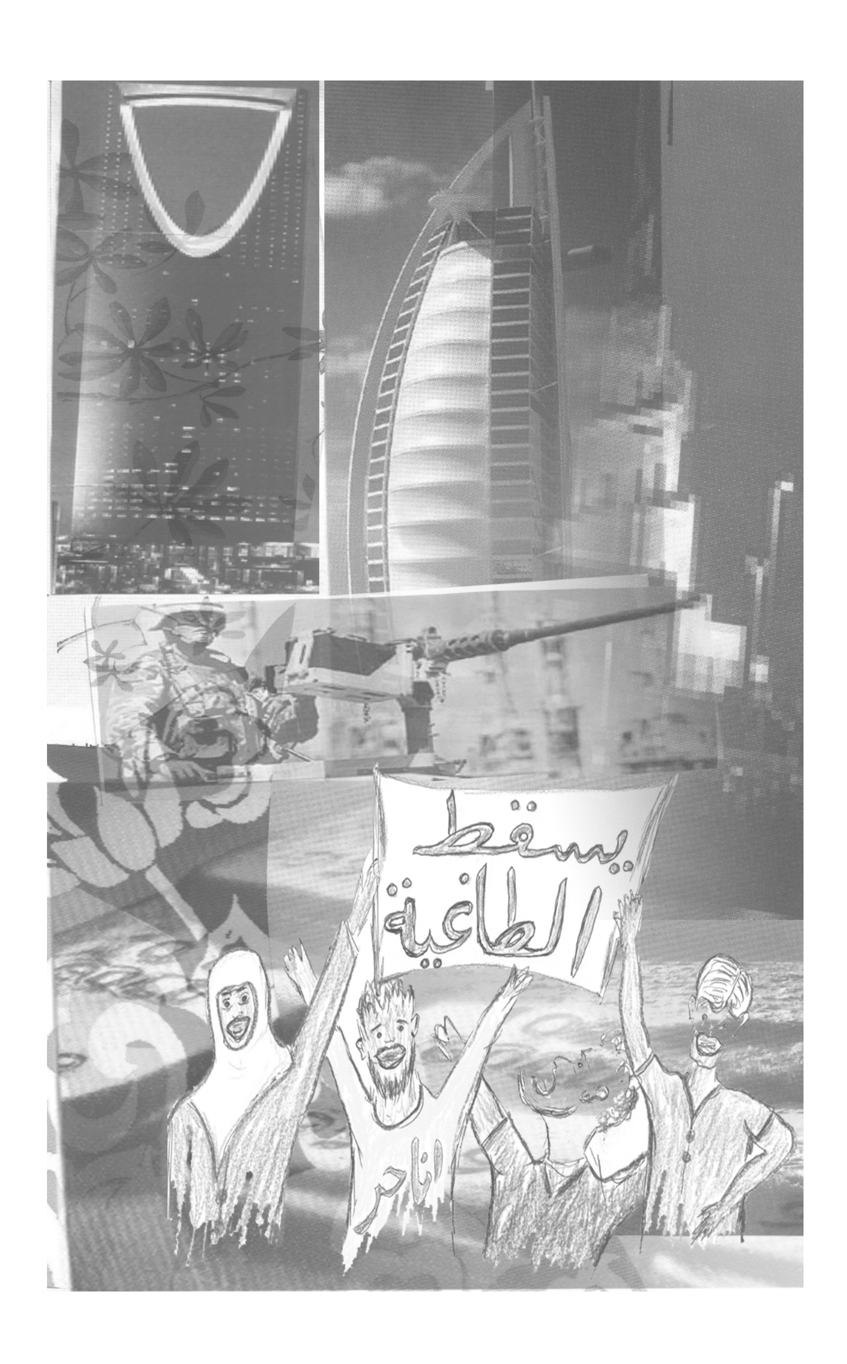
▫ الخطأ الثالث: إعراضه عن اختراق ايراني قوي للمجتمع التركي مدفوعاً بشعور عداوة صفوية تريد أن تنتقم من فعلة السلطان سليم في كسر شوكة الشاه اسماعيل الصفوي بمعركة تبريز ، وأخطر هذا الاختراق سعي إيران الدائب لبناء تنظيم لحزب الله في شرق تركيا بخاصة ، وبناء الحسينيات ومراكز التبشير الخمينية في اسطنبول ومدن اخرى ، واسناد ساسة يوالونها، حتى أن رئيس المعارضة الآن هو شخص علوي ، وذكر اوردغان ذلك ، ولكن بأنفاس الاشارة الى خطر بشار الاسد وليس بأنفاس الاشارة الى خطر ايران ، وهو في تهاونه هذا على أشد الخطأ ، وسيندم لاحقاً، لأن العامل التاريخي والبدعي هو الذي يقود الموقف الايراني لا الدبلوماسي ، وكما ان اميركا ساعدت ايران على اختراق منظومة الأمن الاستراتيجي العربي فانها تريد أن تساعد أيضاً وبموازاة ذلك على ان تخترق ايران منظومة الامن التركي ، لغايات بعيدة تريدها اميركا كان الرئيس نيكسون قد نبّه إليها وكتب في مذكراته ان أكبر خطأ ارتكبته السياسة الاميركية أنها لم تستثمر الخلاف الشيعي لأهل السنة ، واوصى الرؤساء من بعده ان يستدركوا ويستثمروه ، وأنا لا استبعد ان تكون اميركا اوحت الى اوردغان ان يسلك دبلوماسياً مع ايران ، وتخدعه بأن القصد هو احتواء ايران بينما هي تريد ان يتحقق هذا الاختراق ، واوردغان يظن انه يرضي اميركا بذلك وفي نفس الوقت يقوم بتحييد إيران ، فيحقق مكسبين وليس مكسباً واحداً ، ذاهلاً عن النوايا الحاقدة التي تضمرها إيران.

▫ الخطأ الرابع: تأخره في اكتشاف ضرورة إزاحة القذافي وتصريحه بأن القتال في ليبيا خلاف بين أشقاء ومحاولته الصلح ، ومهما قيل انه يداري الاستثمارات التركية في ليبيا بذلك: إلاّ أن خاطراً يقع في القلب أنه إنما

يقف هذا الموقف الوسط لانه كان يلمس ان اميركا في المرحلة الاولى من الثورة الليبية ما كانت ترغب في ازالة القذافي نهائيا ، وإنما تقليم اظافره والضغط عليه وتحصيل تنازلات منه وعبودية تامة لها ، ولم يستدرك أوردغان إلاّ قرب نهاية الثورة بعدما بات من المرجح سقوط القذافي.

- وخطأ خامس يمازجه صواب ، أو صواب يحمل في ثناياه احتمالات الخطأ ، وهو موقفه المتحمس في إسناد الثورة السورية على حكم النصيرية وبشار الأسد ، وهو موقف جريء نلمس واقعيته من أنه مشتق من حالة خلاف قديم بين تركيا وسورية ، ومن انه يتخلص بذلك من امتداد الالتفاف الايراني بعد العراق ليطوّق تركيا من جنوبها بحكم اسناد ايران لسورية ، فكأنه طوق ايراني من الشرق والجنوب به وبالتهديد اليوناني تكون تركيا محاصرة لولا الثغرتين جهة البحر الاسود والبحر الابيض، وفي موقف اوردغان ايضا مقدار من صدق الرغبة بدافع إيماني لاسناد الاحرار العرب ، ولكن الخوف في ان يكون كل ذلك بسبب انه يلمس اندفاع اميركا في طريق إزاحة حكم الاسد لإتاحة صلح بين سورية واليهود لا شروط فيه ، لذلك ننتظر ونحكم على ما يكون من تصرف اوردغان بعد زوال الأسد ، فإن كان سيتحمس لإغراء سورية الثورية بعقد معاهدة السلم مع اسرائيل فمعنى ذلك أنه هو سفير اميركا للثوار وتريدهم أن لا يجفلوا منها فترسل لهم صديقاً وديعاً ينجز المهمة بعدما لمست من ان ضغطها المباشر يخيف الثوار وغيرهم ، ويشهد لهذه السفارة أن وزير الخارجية الاول في حكومة اودرغان قبل أحمد داود كان قد زار دمشق مراراً وعلناً ساعياً في صلح مع اسرائيل ولكن الدعاة العرب من عادتهم النسيان والتأويل ، ثم سننتظر مرة اخرى لنرى إن كان اودرغان بعد الصلح السوري الاسرائيلي سيسعى في مد قناة المياه من سد أتاتورك الى اسرائيل لانقاذها من العطش ، فإنّ سد أتاتورك أنما تم انشاؤه من أجل هذا الغرض ، وهو أمام قرار استراتيجي أبرمه مجلس الامن التركي سابقاً بحجز المياه وإيصالها الى اسرائيل ، فإن لان ولم يقاوم وروى عطش اسرائيل: فاعلموا ان مقالة أربكان في وجود تعهدات أوردغانية لاميركا مقالة صحيحة ، فإن استثمر الظروف الجديدة وتغيُّر المعادلات الاقليمية والدولية: فيكون الدليل في ذلك على أنه تاب ورجع الى الأصل وأنه كان متأولاً ومرناً أمام ضرورة ،

والايام هي التي ستصدّق او تكذّب الظنون ، وبعض الظن إثم ، ولكن بعض الظن حزم أيضاً ووعي ونباهة ، وعيبنا اننا نقع في تقديس المصلح المحسن ، واوردغان بطل ، ومحسن كبير ، وسياسي بارع ، وتنموي ناجح ، وأحد مناقبه: أنه بنجاحه أوقد شعلة الربيع العربي وكان أحد الاسباب في اتقادها ، وانا معجب به ، وله مبايع ، ولكنه قبل كل ذلك إنسان يمكن أن يقترف الخطأ اذا اجتهد ، وانتصارات اميركا في تحرير الكويت ثم في احتلال العراق: جعلته يصدق مقولة ان اميركا دولة لا تُقهر وأنها سيدة العالم ويجب التفاهم معها ومسايرتها الى حدٍ ما وما كانت الازمة المالية قد حدثت لتعظه، وما كان الجهاد العراقي قد حقق النصر بعد على الجيش العاتي ليفهم ان التطمين درجات ، وان درجته الدنيا جائزة شرعاً وسياسة ، وان فقه الدعوة يقول بها ، ولكن تحول التطمين الى وعود والتزامات فيه بأس ونظر ❑❑❑


يسقط
الطاغية
انا حر

٦ تلخيص وإسقاط

❑❑ بالاضافات الثلاث التي اضافتها الحركة التركية الى تنظير التغيير ، اي الخدمة التنموية، واولوية ايجاد جو الحرية ، والحد المقبول شرعاً في عُرف المؤمنين من تطمين أميركا بخاصة والغرب بعامة: تنتهي صياغة التنظير ، أو حدّه الأدنى على الأقل، وذلك مهم ، لأنّ الفكر يقود العملا ، مثل رعدٍ بعد برقٍ جلجلا ، كما علّمنا إقبال.

ولكننا نستطيع ان نرى في الثورات العربية ظاهرة ما هي بغريبة ، بل هي منطقية متوقعة: أنّ القوة التنفيذية الفعلية هي أقل حجماً وإتقاناً وتجربة مما يفترضها التنظير الفكري والتأمل ، لان التنظير أحلام مجانية وسياحات عقلية وتمنيات نفس تعشق الحرية ، وأما التنفيذ فمأسور الى الطبيعة الانسانية المزدوجة الحال بسلبها وإيجابها ، وأمامه عوائق مخابراتية ومالية، والاحرار تحركهم عقائد شتى وتنظيمات متنافسة ، مع مطامع تزاحم الإخلاص ، ثم إن التجربة جديدة بعد دهر من الخوف ، فيكون من الطبيعي أن تتخلف درجة التنفيذ عن درجة وضوح النظرية ، بل حتى ما نزعمه من الوضوح النظري: هو خاص بالدعاة وبقلّة من الشباب الريادي الذي قاد الآخرين ، ولم يتحقق لكل من نزل الساحة.

❑ لهذا فان التنظير بحاجة الى تفصيلات وفروع خططية عديدة كي ينضج، ونضوجه نحتاج اليه لادارة عمليات التغيير في بلاد لم تمارسه بعد، ولعمليات تصحيح مسار الثورات التي نجحت اذا انحرفت وسرقها سارق ، والذي يقدم هذا التفصيل هو التخطيط الفعلي الذي مارسته أجزاء الدعوة الاسلامية في الاقطار ، واقترح على القياديين اقتفاء أثر الخطة العراقية التي وضعت سنة ٢٠٠٦ ، وهي تعتمد المعادلة الرئيسية التي وضعها الامام حسن البنا كأساس ، أي تربية الفرد ، ثم العوائل ، لتكوين مجتمع اسلامي، تنبثق عنه حكومة اسلامية ، تشارك في النهضة الحضارية للأمة ،

وتنشر الاسلام عالمياً وتبشر بالايمان.

ومالت الخطة مثلاً الى اعتبار تسمية مفردات تربية الفرد بعشرة انواع من التربية العلمية والعملية: التوحيد وصحة العقيدة ، وفقه الحلال والحرام واحكام الشرع ، والاخلاق الايمانية ، والفاعلية الايجابية الاصلاحية ، في مسائل اخرى تنتهي الى تربيته على تحسين وضعه المعاشي وفقه الاكتساب ، والارتفاع عن حد الفقر. وفي تكوين العوائل سميت برامج لتربية الاولاد والبنات ، وانشاء جمعيات الخِطبة والتزويج، وثقافة الزواج الناجح ، في قضايا مشابهة. وفي البناء الاجتماعي عشر توجهات ، من الاغاثة وبناء المساجد وانشاء الجمعيات ومحاربة الموبقات والمخدرات والزنا ، واشاعة الحجاب والستر ، مروراً بالعمل التنموي الشعبي ومحاولة إنهاء البطالة ، في قضايا أخرى ، وخلال ذلك يكون التحضير للحكومة الاسلامية ، بتدريب حكومة ظل وجهاز دولة تدريباً شاملاً يشمل الوعي السياسي والاداري والتنموي والقانوني ، مع إعداد دستور إسلامي نقترحه ، وقوانين ، أو صيغ تعديلية للقوانين المدنية والتجارية والجنائية ، ثم إبراز رموز وزعامات ومجموعة تصلح كأعضاء برلمان ، رجالاً ونساءً ، مع ترويج أدب سياسي يتغنى بالحرية ، وتربيات إبداعية ، والنمط المعماري والفن وعوالم الجمال ، ووضع خطة تنموية وتدريب خبراء في الصيرفة الاسلامية وإدارة الشركات والاستثمار والصناعة والزراعة وانواع الخدمات التعليمية والصحية واقتصاد النفط وعموم التوجهات الحضارية ، والتعرف الواسع على افراد مجموعة التكنوقراط المخلصين لقضايا الامة ممن اقتبسوا الخبرة العالمية من الغرب والشرق ، مع علماء واساتذة جامعات يمهرون في فهم الواقع والنقد والتخطيط الاستراتيجي والمرحلي ، مع الترويج لتحييد الجيش والقوات المسلحة ورصدهما لتحقيق الدفاع والامن بعيدا عن اسلوب الانقلابات العسكرية ، ومنع الفساد الاداري.

❑ بمعنى: ان البطولة ليست في انزال طاغية عن عرشه فقط ، بل البطولة الأكبر أن تحقق نهضة في البلد بأياد خبيرة مخلصة ، وتنصر الفقراء ، وتنجح في التنمية واستثمار خامات البلد ، وتمنح الناس إنجازاً ، وتحقق لهم المصالح وتسعى دائباً في تشغيل جيل الشباب بخاصة وتمكينهم من

الزواج وسكنى بيوت لائقة ، وهذه واجبات جبارة بسببها قلنا ان المهمة مهمة تنظيمات لا افراد فقط ، وان الثائرين الذين تضايقوا من وجود رجال التنظيمات الاسلامية معهم في الساحات كانوا على خطأ ، فهؤلاء الرجال مؤمنون ولا تحركهم عصبيات حزبية بل روح اسلامية بنّاءة ورغبة خدمةٍ للامة ودوافع إخلاص ، والاحتكاك بهم والتعامل المباشر معهم هو الدليل على صدق زعمهم ، والامر يحتاج مراكز دراسات ومعاهد تدريب ومؤتمرات وسلسلة ندوات وبحوث وخطط فرعية ، ولا تستطيع ذلك غير التنظيمات ، وأمّا أن العلماني والقومي لا يجد له تنظيماً واسعاً وان الاسلامي منفرد في الساحة: فذلك فضل الله ولم نظلم احداً ، وهذه النتجية كانت لها مقدمات من الصبر على اللأواء والبذل وسعة النشاط اليومي والدأب المستمر حتى قطفنا الثمرة تأييداً وانضماماً من الناس وثقة واعترافاً بالسبق وتثمينا لصواب المواقف ، وغيرنا كسل وتعب ولم يشأ أن يبذل وأيد الاحزاب المنفردة بالسلطة ومال الى فكر غامض فأنكره الناس في يوم التعريف ، والله يرفع ويخفض ، بيده الملك ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

❑خلاصة تنظير التغيير ومعالمه الرئيسة

▫ الآن فقط يمكن أن يفهمنا القارئ اذا قلنا: ان نظرية التغيير هذه ليست نتاج جلسة من التأمل السري والعمل العقلي المجرد الذي يشبه الاحلام والتمنيات ، وإنما هي تراكمات جزئية من وحي الواقع والمعاناة والتفاعل النفسي المباشر مع الظروف والصعوبات والمشاكل والظواهر احتاجت الى اربعين سنة لتنضج وندرك تماما منطقها وفقهها وحججها وجوامعها الشرعية والفلسفية ، فهي فكرٌ راكز وسياقُ معادلات متكاملة ، وكانت تحضيراً طويلاً لموسم الحسم ، وأصعب ما كان فيها هو الصبر والانتظار المرهق للمعنويات ، فالاشواق تريد الهجوم الصاعق ، وحكمة التخطيط تحجز وتطلب السكون الايجابي والفوران داخل المِرْجَل لا خارجه ، وكم من مستعجلٍ انشق عن الحركة ولم يصبر ، ونجيبٍ أراد الحرية بلا ثَمَن من الاستعداد فاعتراه الملل وتقاعد عن العَمَل ، وكان الزمن يمر لصالح

الطغاة والظروف تخدمهم ، حتى أتاح الله نعمة الفضائيات والانترنيت والموبايل فانقلبت الاحوال وصار الظرف يخدم الاحرار.

❑ ولو رجع القارئ الى سياق العرض لأدرك أن ركن النظرية قام على تأسيس منطق فقهي يقبل تغيير حاكم ظالم أو عاجز ، دون اشتراط كفره ، وجواز قتاله إنْ رَفَض التنحي ، والتأصيل يصعد بذلك الى الجُويني إمام الحَرَمين ، والى السلف. وكانت أول إشارة: أنّ اسلوب الانقلابات العسكرية يسير الى ضعف ، وأن الثورات الشعبية هي البديل ، مع الاعتراف بجيل الشباب وطلبِ أن يكون له مَن يمثله في القيادات الدعوية. ومن أجل موقف شعبي عارم: كان لابد من اعتماد ولاء الناس والاكتفاء به وحصر طلب الطاعة ممن يرفد في الخلف ، فالدعوة تقود الطاقات. ولتفعيل المشاركة: ينبغي التخصص العلمي والمهني ، والانطلاق من فهم حضاري شامل ، حتى الفن والجمال والعمارة لها ادوارها ، ونهتم بالسيطرة على حركة النُخبة المتعاملة في السياسة والفكر في كل بلد ، والتي قد لا تتجاوز الخمسة بالمائة من عدد سكانه، لان السواد الاعظم لا يؤثر في التغيير ، ولكن علّمتنا التجربة ان نضع شروطاً لقبول جُند التغيير وصعود بعضهم الى مراتب القيادة وتكليفهم بالمناصب، وان نربيهم بأنواع التربيات الإيمانية والاخلاقية والادارية والابداعية والسياسية ، وأن نخطط لهم ، ونوجد المنابر والمؤسسات الاعلامية ، من صحف ومواقع انترنيت وفضائيات ، ثم نهتم بالرفد النسائي وننميه ، وبالأطفال ، وفق الدراسات النفسية ، ونصنع الذكاء الخارق بضم أجزاء الذكاء المتمثلة في النموذج الوسط من الناس ، ونوجد الشجاعة الفائقة الحد ، من ضمّ شظاياها أيضاً ، ونرعى العامة الفقراء النجباء اصحاب المهن الأساسية في الحياة الذين تتمثل فيهم بقية الفطرة ، من عاملٍ وفلاّح ونجّار وحدّاد وخبّاز وجندي وحارس وسائق ، ونؤسس صناعة ، طمعاً في غطائها الأمني والسياسي ، وفي آثارها النفسية الايجابية وتنميتها لطباع الصلابة والتحدّي والأداء المنضبط بحساب ، ويكون نماء ذلك بفكر اجتهادي وسطي يقيس ويتبع المصالح والمقاصد بحراسةٍ من علم الاصول، ثم تمكين بعض الاذكياء من صالحي المؤمنين ان يكونوا علماء شريعة يزيحون وعّاظ السلاطين ومرجئة السلفية الذين انكروا الطواف حول

القبور وشغفوا بالطواف حول القصور ، أو ثلّتهم العراقية التي خمد في قلبها الأزيز فصافحت المارينز ، وان نردف الفكر الاجتهادي بتعليل فلسفي عقلي ، ونرعى جهاد فلسطين ، وجهاداً في كل بلد يغزوه كافر ، ونبرأ من البدعة ، ونقاوم الخطة الفارسية لاختراق الأمنين العربي والتركي ، والأمنين الافغاني والباكستاني ، ولا نسمح للصفوية الجديدة أن تشاركنا في تغييرنا العربي او الأعجمي، وعلينا أن نمرّ بعدة عواصم عربية نحررها ونغيّر فيها إذا أردنا تحرير فلسطين ، وتمكين القيادات الرقمية الشبابية الصاعدة فرضٌ، وفي الروح البدوية الصحراوية عِصمةٌ ونوع ضمانٍ أمام الغزو الثقافي النفسي الأخلاقي الغربي ، ولنا أملٌ في تحصيل إنجاز بعون الله ، لوجود تفوّق تنظيمي ، ونفسي ، وإبداعي ، وصِحّي ، وتخدمنا خطط تنموية جريئة شَرَعنا بتنفيذها ، وتساعدنا مهارتنا في فيزياء الكم ونوايا مؤكدة ان نتقنها ، وسوف نبقى نتبنّى قضية الامة الاسلامية والتغيير والجهاد مهما أظهرَ شطرُها انواع الفسوق والمعاصي ، لأن التغيير يعتمد على الجيل الشبابي والذرية أكثر من اعتماده على كهول استبدت بهم صعوبات العيش فتثاقلوا الى الأرض ، وجيل الناشئة إذا ربيناه سيكون هو القوة التنفيذية ، ويساعده الجو الآمن حين اخترنا أن تكون الحريةُ أولاً ، وسنحاول خدمة الناس لينحازوا لنا ، وأميركا تسعى لتغيير يحفظ مصالحها ، ولا بأس ان نَدَعها تطمئن الى براءتنا من إرهاب ، مع استمرار بيع النفط لها ، من دون ان نلبي رغبتها في إبرام صلح مع اسرائيل ، ولا إيصال مياه تروي عَطشَ العدو ، وخلال ذلك نربي الدعاة واصحاب الولاء ، ونقوم بتدريب حكومة ظل ، بوزرائنا ووكلائهم ، وبألف مدير وسفير وبرلماني وخبير تنموي ، ونُبرز الرموز وننشر الادب السياسي ، ونشيع أغاني الحرية ، وندوّن صِيغاً مُثلى نقترحها لدستور وقوانينَ وخُطط تنموية ، ونضع ميثاقاً لتحييد القوات المسلحة وتكليفها بحراسة البلد فقط ، ونعلن قبول تداول السلطة عبر الانتخابات الحرة ، ثم نصعد الربوة ونهتف بالتكبير والأذان ، ونمنح العفو والأمان. فاذا اتبعنا كل أجزاء هذه النظرية: نرجو ان نكون قد أجدنا اتخاذ اسباب نجاح التغيير ، ويقِف صلحاؤنا في المحاريب يدعون الله تعالى أن يرسل الملائكة تحمل الينا التمكين ، وشرحُ كل ذلك في كتبي العشرين.

❑ الاسقاطات التربوية والتنفيذية لكتلة الفكر التغييري

❑ وكل ذلك قول نظريٌ يراد له إنزال على الواقع ، ويجب أن تحتفل به عزائم تبذل الوسع في تطبيق مغزاه ، وتحويله الى خُطة ملزمة وجداول تنفيذية محدودة بزمن وأرقام وعوامل مساعدة ورقابة وتقويم ومرحليات ، وبقواعد سيطرة وغرفة عمليات وأنفاس استراتيجية تلحظ التعبويات.

• اول الواجب التربوي: تداول مكثف للفكر السياسي الاسلامي المعاصر، مع تأصيله بالرجوع الى قول الجُويني في الغياثي مما هذّبتُه في كتاب " الفقه اللاهب " وشرحته في الجزء الرابع من كتابي " اصول الافتاء والاجتهاد في فقه الدعوة " ، ويشمل ذلك ندوات ودورات ونشر بحوث ، وجعل هذا الفكر ثقافة سائرة في أوساط الناس بعامة، والشباب والدعاة بخاصة.

• دراسات عن انحسار اسلوب الانقلابات العسكرية ، تشاع.

• دراسات نقدية لثورات الربيع العربي في مرحلتها الاولى ، ما لها وما عليها.

• دراسة عن الاساليب التي اتبعتها ثورة الخميني وفنون التعبئة الجماهيرية، والتحول الثوري في رومانيا وبولندا وعموم اوربا الشرقية ، واسلوب التظاهر والضغط.

• الولاء ومغزاه وفنون تحصيله ودور الاعلام فيه والرموز والادب ، والتدريب على فن العلاقات العامة ، ووضع خطة عملية لتوسيع دائرته وقيادة الطاقات.

• معنى التخصص ، وتعداد انواع التخصص العلمي والمهني ، وخطة فعلية لاختيار ألف مبدع من الدعاة وعامة الشباب وإعانتهم على تعميق تخصصهم وعكسه على الحياة اليومية لمسيرة التغيير ، ويشمل ذلك: الفن وأهله.

• خطة تطبيقية تجعلنا نِصف عدد النخبة الممارسة للسياسة والفكر في البلد.

- أنظمة داخلية ووصايا ولوائح تحدد الشروط وقواعد الجرح والتعديل.
- خمس خطط لانواع التربيات الايمانية ، والاخلاقية والادارية والابداعية والسياسية، وتوفير مربين ومدربين ومناهج وقاعات ونوادٍ ومنطلقات ، ومركز تنسيق تربوي يشرف على العملية تتراكم فيه الخبرة والوثائق والمناهج والتقارير والمراجع.
- مكتب تخطيط ورقابة وتقويم.
- جريدة ، ومجلات اسبوعية وشهرية: عامة وللشباب والاطفال والنساء ، ومواقع انترنيت وفيس بوك وتويتر ذات صور ولقطات فيديو مسجلة وبعدة لغات ، مع فضائية أو تنسيق مع فضائية، واستثمار امكانات الفضائيات الاخرى ، وصناعة طبقة واسعة من الاعلاميين والمحللين السياسيين لتحريك كل هذه المؤسسات.
- جمعيات نسائية ، ويعهد لها برعاية الاطفال وفق دراسة نفسية علمية وتطبيق اساليب الابداع والتفوق المبكر.
- جمعيات المجتمع المدني ولجان ومجالس ، كلها قد تبلغ المائة عدداً، لضمّ شظايا الذكاء والشجاعة والخصال الحسنة الى بعضها وتكوين حُزَم منها مكثفة ذات قوى خارقة وتركيز استعمالها لتحقيق مواقف حاسمة.
- التوسع في الاغاثة ونجدة الفقراء وايجاد فرص العمل لهم وتربية العامة.
- نحاول تأسيس معامل وصناعات وتكوين جيل من المهندسين والعمال المهرة.
- نؤسس مجمعاً للعلم الشرعي والفكر الاصولي وتكوين نخبة من العلماء.
- نؤسس مركزاً للدراسات الاستراتيجية والسياسية وتفريغ باحثين في كل جزء من قضايانا يقومون بإمداد القيادات والاعضاء بالتحليلات ودراسات الواقع.
- جهادنا في فلسطين ماضٍ ونحرس مكتسبات غزة.
- الأمن العربي والتركي والافغاني والباكستاني مترابط ، وكله جزء من أمن امة الاسلام، ونرفض البدعة والطائفية والتوترات.

• نقود جيل الشباب بقيادات رقمية نختارها ونرعاها وندربها ونفرغها.

• نحافظ على روح البداوة والفطرة والاصالة.

• التنظيم ماضٍ ، ونستمر في تمتينه ، ولا يغني عنه تيار ، وهو سبب تفوق.

• وندرس علم النفس وطب النفس ونوجد علم نفس جهادي وثوري وتغييري ، وعلم نفسٍ دعوي عام ، من خلال مركز للدراسات النفسية.

• نتوسع في التدريب الابداعي والاداري عن طريق مراكز تخصصية ومدربين اسلاميين.

• نضبط طعام جيل التغيير ، ودواءهم ، ونمنع الخمور والمخدرات والتدخين ، ونشيع الرياضة والمشي والسباحة والالعاب ، لضمان تفوق صحي.

• نضع خطة تنموية طموحة لكل بلد ذاتِ شقين حكومي وأهلي ، ونختار مجلس خبراء التنمية في كل بلد من الدعاة وأفاضل الناس ، ونعقد مؤتمرات تنموية شعبية في المساجد والجمعيات والنقابات ، ونجعل التنمية ثقافة عامة ، ونحذو حذو التنمية الماليزية والتركية.

• ندفع عددا لدراسة الدكتوراه في علم فيزياء الكم والفيزياء النظرية ، ونجمعهم في مؤسسة علمية للوصول الى تكوين علماء كبار لهم وزن عالمي ، وتحاول عناصرنا الصناعية نقل التكنولوجيا المتقدمة وإقامة صناعة كمبيوترية ، والتوجه نحو الشرق والصين الصاعدة.

• نبقى اوفياء لقضايا الامة مهما اعترى الناس الفسوق.

• جيل الناشئة في كل بلد إذا ربيناه بأعداد تبلغ عشرات الالوف يكون التغيير أسهل.

• نسعى لتغيير يكفل الحرية في مرحلة اولى نعمل خلالها لاقناع الناس بالعودة الى حكم الاسلام عن طريق انتخابنا ، ونرشح للرئاسة وللانتخابات البرلمانية.

• نقضي بالحسنى وإلاّ فبيدٍ من حديد على أية عناصر إرهابية متطرفة تتخذ من الاسلام شعاراً ولكنها تلجأ للتفجير والتوتير والقتال.

- مصالح الغرب في نفطنا توجب علينا التلطف وانواعاً من التعاون الدولي من دون أن نمس استقلالنا.
- لا نعقد معاهدة صلح دائم مع اسرائيل ، ونسعى لنقض ما سبق إبرامه بالحكمة والتدرج ، ولا بأس من هدنة لعشر سنوات مثلا.
- مياه الفرات ودجلة والنيل محرمة على بني اسرائيل.
- ندرب الف ذكي ، داعية ومخلص ليكونوا اعضاء حكومة التغيير.
- ندون دستوراً نقترحه ، وقوانين ، وخطط تنمية ، ونشيع ادب الحرية والسياسة.
- القوات المسلحة تحرس الوطن ولا نقبل انقلابها ونغيره بثورة شعبية.
- نقبل كاحزاب اسلامية تداول السلطة مع العلمانيين بطريق الانتخاب.

❑ الاسلاميون أمام تجربات عملية التغيير وما بعدها

❑ قد قلنا ان العملية التغييرية نهضة شعبية عامة لا يحتكرها مسلم ولا مجموعة شباب يجمعهم الفيس بوك ، وكل بلد يصطف في صفوف عملية التغيير فيه عدد كبير من الاحزاب والتيارات والعسكريين والساسة المدنيين والافراد والفقراء وعشاق الحرية، ولا نزعم انها للاخوان ولا للسلف ، ولا للعلماني والقومي ، ولا للشباب ، بل هي لجميعهم ، حتى أميركا لها حضور وتدفع بمؤيديها للصدارة ، وفرنسا ، وايران، بل حتى لاسرائيل ربما ، أو تحاول اسرائيل استثمار ظروف ما بعد التغيير ، ومن القرائن على ذلك اندفاعة واسعة لشراء الاملاك في تونس من قبل اليهود ، فطريق التغيير سُوق تنافسي مفتوح لكل أحد ، ولذلك ليس من العيب ولا من نوايا الاحتكار ان يعمل الاسلاميون على تقوية احوالهم وتنميتها ليكونوا هم التيار الاقوى وليضمنوا تصويت الناس لهم في الانتخابات ليقدموا منهاجهم في حكم البلد بالاسلام ، ولماذا لا يكون ذلك طالما انهم يحترمون الآليات الانتخابية ولا يمارسون تهديداً ولا تزويراً.

لذلك يجب أن ندل الاسلاميين على طريق النمو والقوة.
وأول ذلك ان يعلموا انهم أمام أكبر تحديات ثلاثة.

• التحدي الاول: الفقر ، وعجز بعض الاغنياء عن فهمنا وفهم وظيفتهم في الحياة ، وهذا الربيع العربي قد نجح فيه الشباب ، ونجح الشجعان الفقراء ففازوا بالشهادة وسالت الدماء ، وسقط في الامتحان الاغنياء ، واستولى عليهم بخل ، فلا نامت أعين البخلاء ، وبعضهم تبرع بقليل يحسب أنه يمنعنا بذلك عن نقده ، ولا والله ، ولا اقول: حتى نراهم يكررون قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه في تجهيز الجيش، بل أقول: حتى نراهم على مثل ما يفعل اغنياء اليهود من التبرع السخي لجمعياتهم الصهيونية ، وهل من داء أدوأ من البخل؟ لا والله.

والحلّ: ان نترك لهؤلاء الاغنياء أموالهم ، فان الله لا يباركها ، ولنمض في خُطة تكوين طبقة جديدة من رجال الاعمال الدعاة لهم إيمان يزينه الوعي التغييري ، واقتحامهم لهذا المجال الصعب تلزمه دورات في الصيرفة الاسلامية وتقارير عن الفرص الاستثمارية في العالم ، ولكن الأهم من ذلك ان نعلمهم صيغ الدعاء لله تعالى الرازق الواهب أن يتقبل نواياهم ويوفقهم للنجاح ويحرسهم من الغش والعدوان والحسد ، هي صيغ يجب ان تكون بليغة طرية ، ولذلك جعلت نفسي نائباً عنهم فابتكرتُ لهم من شعري أبياتاً طريفة ولقنتهم ان يقولوا صباح كل يوم وعند كل صفقة وعقد:

يا غنياً رازقاً من شَكَره
أغدِقِ المالَ وفيراً سُكَّرَه

أعْطِنا حِلّاً صُراحاً رائقا
لا مشوباً بحرامٍ يأسِرَه

بارِكِ العقدَ وضاعِف مَوردَه
أربِحِ الصفقَ ومَنِّعْ خَسَرَه

أوضِـحِ الـغـامـضَ مِـنـهُ ، يَـسِّـرَه

أبـعِـدِ الـحـاسِـدَ وارفـعْ ضَـرَرَه

هـب لـنـا الابـداعَ فـي تـنـفـيـذِهِ

هــب ذكــاءً وطِـبـاعـاً مُـثـمِـرَه

نَـجِّـزِ الـمـأمـولَ وَفْـراً حـاصِـلُـه

وأتِــحْ مــالاً ودَفِّــقْ فَــجَــرَه[1]

ربَّــنــا نــحــن نــريــدُ الإغــتــنــا

بــنــوايــا خــامَ أرضٍ نَــعْــمُــرَه

نَـنْـقُـلُ الـمـالَ لِـكـفٍّ وَضُـأت[2]

دِرهـــمٌ نَـــحَّـــى رِبــاءً كَــدَّرَه

بــزكــاةٍ ســنُــوافــي مَــن زَكــا

فـاغـفـرِ الـشُـبـهـةَ واجـعـلْ مَـيـسَـرَه

ثـمَّ فـتـوى الـفُـقَـهـا نَـلـزمُـهـا

كــوكــبٌ أجــرى مَـداراً قَـمَـرَه

● التحدي الثاني: الخروج من ضِيق التنظيم وشروط الطاعة الى سعة الولاء وقيادة الطاقات الاسلامية والعلمية والتنموية والمالية ، وهي طبقات عريضة

(١) الفَجَر: العطاء والكرم والمعروف والمال ، وكُثْرَتُه. ترتيب القاموس/١٢٢١

(٢) من الوضاءة التي هي الحسن والنظافة. ترتيب القاموس/ ١٧٥٩

جداً يصل حجمها الى سبعين ضعف عدد المنتمين ، وهي طاقات سائبة الآن ولا تنسيق بينها، ويلزمها ان تتعاون وتدور حول محور ثابت مركزي، وهذا المحور يمكن ان تمثله الدعوة الاسلامية المعاصرة اذا انفتحت وتجاوزت حدود التنظيم وشروطه الصعبة وآخت كل من يقول لا إله إلا الله ، وتعاونت حتى مع نصراني مخلص يرى ما نرى، وها هنا موطن الخطأ في اجتهاد الدكتور جاسم سلطان حين نفى صواب التنظيم وآمن بصناعة تيار فقط ، وتلك هي علّة كل من يتحمس لشيء فيبالغ في النظر الأُحادي وينكر الوسطية ، وأنا والدعاة نعتقد ان التنظيم حق وواجب تمليه الملاحظات الشرعية والواقعية ، ويؤيد ذلك المنطق العقلي ، وفوائد العمل الجماعي كثيرة لا تحصى ، ويجب ان يبقى الخط الخلفي التنظيمي حياً ودفاقاً يُمد أرهاط التغيير وحشوده بعناصر خبيرة مجربة صقلتها التربية وتعلمت الانضباط وروح التعاون، ولكن بمقابل ذلك نلحظ وجود طبقة عريضة من خيار الناس ولها اختصاص ربما لا ترغب في أن يأمرها وينهاها أحد ، وتحب التعاون من غير التزام وطاعة ، وعددها كبير جداً هو اضعاف أضعاف مَن رضي بابداء الطاعة ، ومن أجلهم نقول بوجوب انفتاح الدعاة نفسيا ومعاشرة هؤلاء كإخوان لهم والاستفادة من جهودهم وقابلياتهم ، وجيل الشباب جزء من هذه الطاقات ، وهذه قاعدة قديمة في فقه الدعوة وعاها الامام البنا وأرشد الاخوان اليها ، وعلّمهم ان يطلبوا تأييد هؤلاءِ ونُصرتهم ، ولكن مع الايام وبسبب المحن والسجون حصل شبه انغلاق وصارت العلاقة التنظيمية هي الاقوى، ثم مع الايام زاد خوف هؤلاء الاخيار لظنهم ان قربهم من الدعاة فيه خطر ، وهي دعاية روجتها المخابرات في كل بلد ، فتضخم عدد الاخيار السائبين مع الايام، وصار من اللازم توكيد الوصية القديمة وتجديد فقه الولاء ، وجاءت أحداث ربيع التغيير لتزيد الظاهرة ، وقد انتهينا من تقرير انها جزء من تنظير التغيير ، ولكن في هذا الاستدراك أُريد أن نمنح هذا الجزء أهمية استثنائية ، ويبدو لي أن الصورة المثلى للاستفادة من الاخيار ان نجعلهم مثل التيار الأخضر الاوربي وعنايتهم بالبيئة ثم تطورهم الى إنكار ظلم العولمة الاميركية وغيرها وانتصارهم لكل المستضعفين ولهجهم بحقوق الانسان ، فنبني مثل هذا التيار في عالمنا الاسلامي وعالم الجاليات الاسلامية في اوربا واميركا

واستراليا وعموم العالم، ونختار له زعيما من مجربي الدعاة ، وله أعوان في كل قطر وسكرتاريات ، ودوائر استشارية ، ونؤسس له ولاعوانه قناة فضائية يتحدثون من خلالها ، ومواقع انترنيت بكل اللغات ولكل الشرائح ، مع مجلة الكترونية ، ودار نشر ، وجمعيات ومثابات ومراكز تدريب ومعاهد بحث ومواطن احتفالات ومؤتمرات وندوات واوقاف استثمارية ، بحيث يصل عدد أنصار التيار الى عشرين وثلاثين مليون حُر في الامتداد العالمي ، وتكون لهم صيحة واحدة إنكارية على كل طاغية نريد إزاحته ، فيحصل ضغط عارم ، ويطلب هذا التيار الجارف نُصرة الاحزاب الحرة في العالم ، وجمعيات حقوق الانسان والنقابات ، وهيئة الامم ، ومشاهير الرموز السياسية والفكرية والادباء والشعراء ، والذي أفهمه ان نجاح بعض الثورات العربية ووصول رأي الاحرار العرب عبر الفضائيات الى كل الشعوب جعل هذا الامر الصعب سهلاً ، وان الطريق ممهد لبروز زعيم عالمي وعشرات من أعوانه ، وان عشرة ملايين موقع الكتروني سيتم تسخيرها لنشر اقوال ومواقف واحكام هذا الزعيم وتياره ، والعالم الاسلامي يغلي ، وفقراء العالم الثالث في استنفار ، وفاز مقتحمٌ يفهم انه لها ، وحتى عقلاء الغرب بدأوا يدركون الخطر اليهودي وغسيل المخ الذي تعرضوا له من خلال الإعلام ومدى جهالة الطغاة الذين حكومنا فظلمونا.

وقد شرح الاخ خيرت الشاطر ان الاخوان يعملون الان بخطة سُميّت عرفاً: مية بمية، اي ان الاخوان يتعهدون ويمارسون الآن تربية وتدريب وتطوير مائة من أبناء الشعب النابهين مقابل كل مائة من الاخوان ، ، أي العناية بمثل عدد الاخوان بمصر، وهذا شيء جيد ، ولكن يجب ان يكون الهدف الوصول الى الف بمائة ، أي عشرة اضعاف الاخوان ، لسعة المجتمع وكثرة الاخيار غير المنتظمين ، ثم يجب ان تعمم هذه السياسة على جميع الاقطار ، مع ان التيار هو أمر أوسع ولا تشترط فيه التدريبات، بل هو ولاء على بُعد ، وتوحيدُ وجهة وموقف ، ويمكن ان يرتفع الى مائة بواحد.

• التحدي الثالث: الحفاظ على التربية الايمانية الروحية والاخلاقية عند نزول الدعوة الى غَمرة العمل السياسي والانشغال بحيثيات التغيير والتنمية

ويوميات الممارسة البرلمانية والوزارية والادارية وسعة العلاقات العامة ورعاية التيار المؤيد ومتابعة الاخبار، فكل ذلك منهك ويلهي ويغري البعض بتأخير الصلاة عن وقتها وقلة تلاوة القرآن والتفكر والعيش المسجدي ، فتذبل الروح مع مرور الايام ، وتسري الى القلوب قسوة ، وقد يجنح البعض الى تفكير دنيوي ومشاركة في المغانم ، وإنما الذي ميّز الاخوان وأنجحَ عملهم وأدى الى قبول الناس لهم هو تجردهم وسمتهم الايماني وأخلاقهم العالية وعيشهم مع القرآن وانطلاقهم من المساجد ، فاذا ضعفت حقيقتهم الايمانية فان جمرة التغيير ستخبو ، ولذلك يجب ان تقوم فيهم رقابة قيادية ومنهجية تديم الوتيرة التربوية يوم الانغماس الكثيف في السياسة ، مما هو متوقع في المرحلة القادمة، وهذا سهل في اللسان والتخطيط صعب في عالم الواقع.

ثم كيف تضمن الدعوة وحدة الموقف واجتهاد اعضائها وتأويلهم لمعنى السياسة والتغيير؟ فانّ تجاربَ في بعض الاقطار تشهد باحتمال نشوء اجتهادات عند البرلمانيين والوزراء والمدراء تخالف ما عليه القيادة من فهم، او ربما تخالف ما عليه فكر الاخوان من ثوابت ، والحياة السياسية فيها عقد معاهدات وتحالفات وحروب وتأييد ومعارضة ، ومن الطبيعي جداً أن تتباين وجهات النظر وتقدير المصالح والمفاسد ، فكيف نأمن أن لا يعصف التأويل عواصفه؟

وعندي: ان علاج الاختلاف في الاجتهاد أسهل من علاج خواء الروح، لان شيوع العلم الشرعي يقلل منه اذا امتلكت الدعوة طبقة من العلماء الفقهاء تفتي وتفصل في المواقف الشبهة ، والوعي السياسي الذي تحويه تقارير معاهدنا السياسية تقلل منه كذلك ، وأن تكون قيادة الدعوة هي القيادة السياسية نفسها ضمان آخر ، ولكن ضعف التربية الايمانية هي الأخطر ، ولكن يقل هذا الخطر أيضاً إذا اقررنا وتعارفنا على معنى هذه التربية وتفسير الايمان ، وان مقياس الانتعاش او الذبول ليس هو عدد ركعات النوافل والتهجد مهما كانت حقاً بعد الفرض الذي لا فخر فيه ، ولا عدد ختمات القرآن ومطالعة كلام الغزالي وابن القيم في المقامات ، ولكن ان نفهم ان الايمان هو حالة يقظة وانتباه وتجرّد عند الاداء وطلب

للمصالح ، فمن المنطق أن يتعب السياسي ويضيق وقته عن تلاوة ومطالعة وتهجد ، ولكن يبقى انتباهه عامراً ، فهو في عبادة مادام يقظاً ، والتغيير عبادة ، والنزول الى الشارع عبادة ، وممارسة الحكم والادارة والتنمية كل ذلك عبادة ، ومعارضة اميركا وجهاد اسرائيل وتغذية الانترنيت بالرأي هو في المقياس الاصولي عبادة ، وممارسُ هذه الاشكال كلها صاحب إيمان وتربيته ناجحة حتى لو قلّت نوافله ، ولكن البأس في أن يحتل حب الدنيا بعض القلب ، وينسى أحدنا فضل الله تعالى ثم فضل اخوانه في ايصاله الى منصبه ، ويلين لاميركا ويأخذ عمولة ، فهناك عندئذ البأس ويكون الرجوع الى خلوات المساجد وادامة التلاوة وتحصيل ركيعات بعد الفروض، فانها وسائل جلب الايمان وانمائه ، والدعوة امام هذه الظواهر لا خيار لها غير تعليم التوبة وتداول كلام الزهاد وإتقان السجود والإخبات.

- فإذا اجتازت الدعوة هذه التحديات الثلاثة . . . أقررنا لها بالنجاح ❑❑❑



خاتمة

❑❑ أما بعد: فسيقول إخوان لي: كشفتَ السر ، فسيغلق بقية الحكام العجزة الطريق. واقول: بل فوائد توعية الشباب باصول التغيير ونظريته وفقهه اكثر نفعاً وهو سبب ترجيح الجهر ، والظلمة لا يمكنهم دائما ان يحجروا ويغلقوا الطرق ، لأن النقمة عندئذ تزداد ، ويكون الانفجار أسرع، فهُم في ورطتين ، وتأمين خروجهم من إحداهما يعني بالضرورة الارتكاس الحتمي الى قعر الاخرى وتعجيل أجلهم.

● وسيقول مشفقون: كشفت نفسك ، ونخاف أن يغتالوك أو يخطفوك أو يسجنوك. فاقول: علّمني نقبائي قبل ستين سنة أن اهتف بأن الموت في سبيل الله أسمى ما أتمنى ، وقد مللتُ الانتظار ، فعسى أن يبعثَ أحمقُ منهم جُلوازاً له يقتلني فتكون الجنة أقرب ، وقد قضيت وطري من الدنيا ، وأنا مشتاق الى أن أطبق منهجيتي الابداعية في استثمار الخلود ، والتي شرحتها في " عبير الوعي ". وأما سجني في آخر حياتي فخلوة إجبارية واستعداد أتمناه قبل موتي ، وإذا سُقيت الكلمة بالدم راجت ألف ضِعف ، وإذا سُجِن القلبُ الحُر اتصلت به قلوبٌ عَدّها عشرة ملايين.

❑ ثم أما بعد:

● فهذا التنظير للتغيير دستور وميثاق عمل ، وأُقدّمه لحشود التغيير التي لم تتحرك بعد في بلاد تنتظر النضوج ، ولأبطال آخرين استطاعوا التغيير ولكن بعض اللصوص يترصدون لسرقة الثورة ، وماذا يفهم مثل " شلغم " وباذنجان في ليبيا من لغة الحرية وقد أمضيا السنوات الطويلة في خدمة طغيان القذافي وجنونه وفوضويته ثم زعما لانفسهما شوقاً الى الحرية ، وكان أجدادنا يقولون: إنّ الحياءَ نقطةٌ في الجبين ، فاذا سقطت لا ترجع، وكذا العفاف السياسي: لا يرجع إذا أهدى نفسَه لطاغيةٍ ساعةً من نهار ،

بلاغ ، فهل يُهلك إلاّ القوم الفاسقون !!

● وجميل ان نتذكر ان نشيد الاخوان الرسمي يوجز نظرية التغيير فتقول أبياته:

هو الحقُّ يحشد اجناده ويعتدّ للموقف الفاصلِ
فصفّوا الكتائبَ آســادَه ودُكّوا به دولةَ الباطــلِ

● فهناك اصطفافٌ ، وفصلٌ ، ودَكّ.

● وأنا أرشح كتابي هذا أن يكون منهجاً تربوياً لكل جنود التغيير ، المنتظم منهم والسائب الفردي ، العربي والعجمي ، فانه ثمرة تأمل وحوار جماعي على مدى عقود من السنين ، وخلاصة مذهبٍ في فقه الدعوة روته كتبٌ شرحتْ نقطة المنطلق في حركة الحياة ، والرؤى التخطيطية الراسمة للمسار ، واصول الاجتهاد عند عبور السالكين المدارج ، بل أرشح كتابي لأبعد من ذلك: ان يكون منهجاً جامعياً في مادة فقه الدعوة في كليات الدراسات الاسلامية في جامعات البلاد التي ثارت واسقطت الطغاة ، غزة وتونس ومصر ، وليبيا ، وفي اي بلد يتحرر ، وفي تركيا واندونيسيا ، ويمكن حذف بعض فقراته في هذه الحالة مراعاة لأصول الدبلوماسية اذا كان الظرف لا يسمح بتقريره كما هو.

وعلى الاقل: يمكن ان يتخذه الثوريون من شيوخ الشريعة منهجاً لحلقات الدراسة التي يعقدونها لتلامذتهم ، ويضيفوا شروحهم وتجربتهم.

● ومن أهم الاستعداد: الاقتراب من جموع الشباب ، وإخراج قيادات رقمية تقودهم تفهم لغتهم وتعرف على اي وتر تضرب ، وقاد " عامر " في قَطَر ما سماه " المقاومة الالكترونية " أيام معركة غزة ، وعاونه ثلاثمائة اختارهم من الشارع ، فنشروا فقه غزة بكل اللغات.

❑ وضمانة نجاح التغيير ، ثم استمراره بحكمة ، وصيانته من السرقة: وجود تنظيم دعوي يقود كل حشود العملية التغييرية ، لأن العملية صعبة وتخصصية وقد دخلت على الخط دول ذات مهارة وخبرة وكيانات تنظيمية ، ولا يفل الحديد إلاّ الحديد ، ولا يستطيع الافراد المتفرقون أو الذين تجمعوا لِتَوِّهِم وعلى عَجَل أن ينافسوا أجهزة دول عريقة في هذه

الصنعة.

إن قيام جماعة منظمة ذات ممارسة جهادية أو تغيرية: أمر يعني العديد من المعاني الضخمة الايجابية:

- أول ذلك: معنى أن هناك من أبناء الامة مَن يترك الكسل والأنانية والخوف ويتنازل عن بعض حقوقه وامواله واجتهاده من أجل إصلاح حال الامة ورعاية مستقبلها وإعادة بناء ما يخربه الطغاة.
- ومن ذلك: برهنةٌ على ان معاني الايمان والجهاد والامر بالمعروف وتحدي الظالمين ونُصرة الضعفاء مازالت عامرة حية نابضة ، وان الامة بخير ولم تيبس عروقها.
- ومن ذلك: ان معنى الحرية يُجيد المسلم فهمه ويستوعبه ويدرك ابعاده ويسعى اليه ويجد فيه صورة فِطرته ومثالاً لأصله الصافي.
- ومن ذلك: ان الفكر يصادف مجال نمو حيوي خلال الحياة الجمَاعية الدعوية ، يظهر ويتكامل وينضج وتتعدد أشكال الإفصاح عن القيم الطاهرة المثالية ، وتكون الحوارات واللمعات الاجتهادية سبب عمرانه.
- وليس آخر ذلك: ان حركة الحياة دائبة ، وان الحياة يمكن ان تنعطف وتتبدل قيادتها من الايادي الملوثة الى الايادي المتوضئة ، وللقلوب إرادة تنتزع السلطة من فاسق ومستعمِر ، وتجبههما ، وتدفعهما ، وتزيحهما ، لتكثر الجباه الساجدة.

وكل ذلك من العطاء الايجابي الذي يظن المستعجل أنه قد اندثر وصار من حديث المثاليات الحالمة ، ولكن الانتفاضات أثبتت بقاء الارواح الحرة كأبدع ما تكون ، وفي الحديث الشريف: مَن قال: هَلَك الناسُ: فهو أهلكُهم.

بل الناس في عافية ، وإنما هو رانٌ على القلوب يكفيه الصقل والغسل بماء التوبة ، ومواعظ موسم تعيد الفطرة.

- وحتى في ايران ، هناك بقيةٌ لها أمل في أن تُصلح ما أفسدته الصفوية المعاصرة ، تتمثل في التيار الاصلاحي الذي ينتظر اليوم نتيجة الثورة السورية ، فاذا زالت السيطرة النُصيرية المتحالفة مع ايران: فإن التيار الاصلاحي سيتحرك نحو تغيير سلمي ضاغط ، وتكتيكه الذي يتبعه الان هو الإضراب عن الاشتراك في الانتخابات احتجاجا على حق الحكومة دستورياً في أن تلغي ترشيح من تشاء ، لذلك يتخوف رجال الإصلاح من أنهم إذا ترشحوا ستلغي هيئة

الانتخابات ترشيحهم ، ورجال الإصلاح يأملون من باب آخر أنهم إن غابوا عن الانتخابات فإن الخلاف الموجود حالياً بين خامنئي ممثل الخمينية وبين أحمدي نجاد وأنصاره سيتعمق كثيراً إلى درجة حصول معارك بينهما ، لأن أحمدي نجاد يعتقد بقرب ظهور المهدي المنتظر وأن المهدي سيسنده ويكون معه ، وذلك يلغي الحاجة لولاية فقيه ينوب عن المهدي ، فالتيار الإصلاحي يريد تأجيل إحداث ثورة على النمط العربي إلى ما بعد الإنتخابات التي ستجري في شهر آذار ٢٠١٢ من أجل أن يكون الانشقاق الحكومي بين الجناحين عاملاً مساعداً على فوز ثورتهم. ولا يبرأ التيار الإصلاحي من آثار شعوبية، ولكنه يحقق نقلة وسطى قد تعقبها نقلة اخرى ، وفي هذا التيار ابراهيم يزدي وعبدالكريم سروش تلميذ علي شريعتي ، وهما ورّاث الاعتدال الذي تميز به قديما مهدي بازركان وخطّه الفكري المعارض للخمينية ، ثم في التيار وزير الداخلية السابق عبدالله نوري وخاتمي رئيس الجمهورية السابق ، وموسوي وكروبي وهما يقبعان في السجن الان ، وتلامذة آية الله منتظري ، ويقدر المراقبون ان نصف الشعب يؤيد الاصلاحيين ويمكن أن يثور معهم ، وزادت هذه النسبة بعد حماقات نجاد بالتهديد باغلاق مضيق هرمز ، وهناك مَيلٌ من أهل السنة لهم ، ولذلك فإن من المحتمل جداً أن تنجح الثورة الإيرانية الإصلاحية وينتهي أمر الخمينية وأمر نجاد ومهدويّته المزعومة، وهذا التغيير ضروري في السياق الحاضر ، لانه سيؤدي الى ضمور خطة التوسع الايراني في المنطقة والانكفاء نحو معالجة مشاكل الداخل الايراني ، وذلك وصفٌ مستقبليٌ لابد منه ، بدونه تكون الخطوة الثانية في مسيرة التغيير العربي خطرة جداً ، لاحتمال أن تستثمرها ايران لتحقيق توسع ما كان يحلم به أحمدي نجاد رئيس ايران، ويتضاعف الاختراق وينهار الامن العربي في جناحه الشرقي ، واذا لم يصعد التيار الاصلاحي في ايران الى الحكم فإني أرى الحفاظ على الجبهة الشرقية كما هي منعاً للاحتمالات السلبية ، وعندئذ يكون من الأفضل ان تتحول خطة التغيير في الخندق المواجه للصفوية الى مطالبة بإصلاح وحريات وحقوق دستورية وتنمية راشدة وتجميد لفكرة الصلح مع اسرائيل ، وهذا تكتيك يفهمه العقلاء من العرب وأبناء الصحراء ، ولكني أخاف أن تدخل أميركا على الخط وتؤجج صراعاً وتغييراً في غير وقته الملائم تحقيقاً لنصيحة الرئيس نيكسون في مذكراته بضرورة تمكين الصفوية وفسح المجال لها أن تصول وتجول انتقاماً من الوجود السني الذي جاهدها على طول الخط ، والسياسة عالم عجيب ، وينبغي أن لا تخدعنا ظواهر الامور وخُطَب أحمدي نجاد الرستمية الكسروية الكورشية الإخمينية ، فان اتفاقات الباطن غير ذلك ، وهي النافذة ، وقد كتب الله على بعض المؤمنين النظر التبسيطي ، وسيخدعهم الخَبُّ ، ويندمون ❑❑❑



محمد أحمد الراشد

- بلغ المؤلف الرابعة والسبعين ، وسِنّهُ بروحه الشبابية وليس بعدّ سنينهِ ، ويريد أن يمكّنه الله أن يَسْخَر من التسعينِ.
- تخرج بكلية القانون بجامعة بغداد وأخذ الفقه والحديث عن علماء العراق من السلفية والمقلدين ، وهاجر وساح في العالم وحضر المؤتمرات وحاور قادة الدعوة الاسلامية ومفكريها ، وتفرغ لإحياء فقه الدعوة وتعليم الشباب الانماط الابداعية والمناهج الحضارية.
- آخر كتبه: " العمارة الدعوية " في نظرية الجمال وما يمكن ان تحققه الدعوة من ترويج فن العمارة ، ونَشَره د. طارق السويدان من خلال داره: مؤسسة الإبداع الفكري ، و " بوارق العراق " و " أخبار عراقية " في التعريف بالقضية العراقية المعقدة من منظور اسلامي ، ثم " رسائل حركة الحياة " ، وكتب " النفس في تحريكها الحياة " و " عبير الوعي " و " رؤى تخطيطية " ونَشَرتها دار الأمة بالرياض.
- ومن أهم كتبه: " أصول الإفتاء والاجتهاد في فقه الدعوة " بأربعة أجزاء و" منهجية التربية الدعوية " و " رسائل العَين " و " المسار " و " صناعة الحياة " و " المنطلق " . . وله أشرطة بصرية وسمعية كثيرة. .
- وقام بتهذيب كتب " مدارج السالكين " لابن القيّم ، و " شرح العقيدة الطحاوية " و "الغياثي " للجويني وسماه " الفقه اللاهب " وهو من أهم المتون التي أسست للفكر الاسلامي السياسي وصارت أصلاً لنظرية التغيير المعاصرة.
- وله دراسة تعتبر نموذجية في منهجها في " الدفاع عن ابي هريرة " رضي الله عنه.
- وهو المربي والمرجع لمعظم الاجيال الشبابية الدعوية في العالم ، يعلمهم الاجتهاد والنظر الحُرّ والتخطيط والسلوك المنهجي والفكر التنموي ونزعة التغيير. .
- ولذلك عاداه الطغاة . . وهو يكرههم . . • • • •


ويبقى الاسلام هوالحل
الجزيرة
غرق
غرق
إذا انتهيت من مطالعة هذا الكتاب
فالرجاء أن تعطيه إلى ابن عمك وصديقك وجارك
لتشارك في توعيتهم